جامعة البطانة

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد السابع - العدد الأول - يونيو ٢٠١٩م

تقرأ داخل العدد:

الموضـــــوع	الصفحة
التعامل المشروع مع المخالفين في الدين دراسةٌ من خلال السنة النبوية **د. حليمة عبدالله زيد الشمراني و د. ابتهاج الطيب النيل**	9
الدلالات والدروس المستفادة من غزوة بدر الكبرى **د . عثمان بشير محمد بشير**	37
الرسائل القصيرة جداً في الأدب العربي إلى عصر التقنية **د.عبد الرحمن بن حسن المحسني**	71
المرأة في شعر المتنبي بين الموروث الأدبي والتوظيف الوجداني **د. الريح المبارك حاج علي**	123
جمالية التجنيس في شعر لسان الدين بن الخطيب **أ. د. حسن أحمد علي حيدر، د. عبدالفتاح محمد سالم السيد**	145
شعرية المتعاليات النَّصيَّة في ديوان محمد الثبيتي **د. خالد عبَّاس مصطفى عبد السلام.**	177
تجهيز ومعالجة المعلومات وعلاقته بالقدرة على حل المشكلات ل.... **د. يحيى أحمد محمد الماحي**	219
فاعلية العلاج باللعب في خفض حدة الاضطرابات ... **د. إقبال عبد الرحمن حسن الشاذلي، د. محمد حسين عبد الباسط ترجوم**	263
أثر معايير حوكمة الشركات على كفاءة إدارة رأس المال العامل.. **د. علاء الدين مساعد يوسف عمر**	317
Reading Comprehension Classes: Importance, Problems and Solutions **Dr: Amani El Tayeb Hasab El rasoul Mohammed**	

مجلس الإدارة

أ. د. أنور أحمد عيسى راشد مدير الجامعة (رئيساً)

د.عمر عبد الرحمن العبيد أحمد

عميد البحث العلمي والنشر والترجمة (نائباً للرئيس)

هيئة تحرير المجلة الإنسانية الاجتماعية:

د. بشير أحمد يوسف	رئيساً للتحرير
د. عمر عبدالرحمن العبيد	مديراً للتحرير
د. حسن بشير حسن	مقرراً
د. سمية الخليفة محمد المهدى	عضواً
د. مرتضى خالد عبد المحمود	عضواً
د. الصديق أحمد القرشى	عضواً
د. بركات محمد أحمد	التدقيق والمراجعة اللغوية
رؤى عبدالسلام مصباح	سكرتارية

الهيئة الإستشارية:

أ. د. حسن عبدالرحمن حسن

أ. د. بكري الطيب موسى

أ.د. قاسم يوسف بابكربدري

أ. د. عصام الدين برير آدم

أ. د. عبدالباقي عبدالله أحمد

أ. د. نعمات علوان شعبان

أ. د. شبلي بدران الغريب

أ. د. عبدالله محمد الأمين النعيم

أ. د. حيدر خوجلي أحمد

أ. د. أحمد أبراهيم أبوسن

أ. د. محمد غالب عبدالرحمن

أ. د. إبراهيم محمد شريف خيري

أ. د. حسن عباس حسن

أ. د. عبدالرؤوف أحمد عباس البدوي

أ. د. عبدالرحمن أحمد الشيخ الفادني

مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

شروط النشر في المجلة:

تقبل المجلة الأبحاث المكتوبة باللغتين العربية والانجليزية.

عنوان البحث يجب أن يكون مختصراً قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويفضل أن يكون في حدود 15 كلمة، ويجب ألا يكون العنوان عاماً بدرجة لا يمكن معها تحديد هوية البحث.

يوضع اسم الباحث، المؤسسة، أو الأكاديمية أو الجامعة التي يعمل بها، عنوان البريد الالكتروني ورقم الهاتف في صفحة مستقلة.

يرفق الباحث ملخصين للبحث باللغتين العربية والانجليزية ويجب أن يكون موجزاً ومحتوياً على العناصر التالية: تقديم وأهمية البحث، أهداف البحث، منهجية البحث وأهم النتائج والتوصيات ولا يزيد عدد كلماته عن 400 كلمة، كما يجب أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الانجليزية صحيحة ومتخصصة ولن تقبل الترجمة الحرفية للنصوص عن طريق مواقع الترجمة على الانترنت.

يقدم البحث على مقاس الصفحة A4 باستخدام خط 14 (Simplified Arabic) في البحوث باللغة العربية و(Time New Romans) في البحوث باللغة الإنجليزية، ويكون تباعد الأسطر (1.5) سم، وتكون الهوامش (2.5) سم من جميع الجهات.

يجب أن تتسم البحوث المقدمة للمجلة بالحداثة والمواكبة مع الإلتزام بالمنهج العلمي.

التأكد من صحة إجراءات التحليل الإحصائي (إن وجد).

ترتب المراجع في نهاية البحث هجائيا وفقا للنظام الآتي:

الكتب: اسم الشهرة، الاسم)، عنوان الكتاب، (سنة النشر)، دار النشر - مكان النشر. ويفضل التوثيق داخل النص على طريقة (هارفارد).

شروط النشر:

- يقدم البحث في نسخة ورقية واحدة و قرص مدمج (CD)
- يجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة ولا يقل عن 15 صفحة.
- يقدم الباحث أو الباحثون تعهداً موقعاً يفيد بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في أي جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه ونشره فى المجلة.
- في حالة البحث جزءً من رسالة منشورة للدكتوراه، أو الماجستير، أو جزءاً من كتاب منشور على الباحث أن يوضح ذلك.
- يتحمل المؤلف، أو المؤلفون وحدهم مسئولية محتوى بحوثهم وتكون الأفكار التي ترد فيها معبرة عن آرائهم ولا تتحمل المجلة أي مسئولية جراء تلك الآراء.
- الباحث مسؤول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسؤولة عن أية سرقة علمية تتم فى هذه البحوث.
- تخضع الأبحاث المقدمة للمجلة للتحكيم ويتم اعتماد القبول النهائي بعد كل التعديلات التي ترد من المحكمين (على مرحلتين).
- لهيئة التحرير حق الفحص الأولى للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه، وفى حالة قبول لجنة التحكيم له يخطر الباحث شفاهياً، وريثما تتم بقية إجراءات النشر يخطر بكتاب رسمى، ثم يدرج البحث فى قائمة الأنتظار كل بحسب دوره، كما أن لها الحق فى تحديد أولوية نشر البحوث.
- يقبل البحث بشكل نهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.

- فى حالة قبول البحث للنشر تؤول حقوق النشر كافة إلى المجلة، ولايجوز نشره فى أى منفذ نشر آخر ورقياً أو الكترونياً دون أذن كتابى من المشرف العام.
- يسدد الباحث الرسوم المقررة عند تسليم البحث، ولا يحق له استردادها في حالة استبعاد البحث وعدم نشره.
- يتم تقديم البحث الكترونياً من خلال بريد المجلة الالكترونى: عناية مدير التحرير

Omeralobied1982@gmail.com whatsapp 0123213921



كلمة العدد

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام علي سيد السادات، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أولي الأمر والعزم.

يسعدنا نحن في مجلة البطانة للعلوم الإنسانية والاجتماعية أن نطل عليكم بإصداره جديدة، نرجو لها الرضا القبول. وقد توزعت ملفاتها أبواب مختلفة في اتجاهات المعرفة غير أن واقعنا المعيش من جانب والتحولات الكبرى في عالم اليوم يدعواننا إلي أعادة النظر في كثير من قضايانا الحرجة والملحة حتى نسهم في أصلاح هذا الراهن ولا يتأتي ذلك الا عبر الطرح الجاد والفكرة الصادقة والرؤية الثاقبة لهذه الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية فالحمد لله من قبل ومن بعد ولا يفوتنا أن نزجي اسمي آيات الشكر والامتنان لكل الإخوة الباحثين والمهتمين لما يصلون به هذه الاصداره جهداً علماً ثم رضاً وإرشاداً حتى نرتقي درجات الرضا خدمة للعلم والبلاد والعباد.

نفتتح هذا العدد بالإسلاميات بموضوع عنوانه (**التعامل المشروع مع المخالفين في الدين دراسةٌ من خلال السنة النبوية**) للباحثان د.حليمة عبدالله زيد الشمراني و د. ابتهاج الطيب النيل، يليه بحث (**الدلالات والدروس المستفادة من غزوة بدر الكبرى**) للدكتور/عثمان بشير محمد بشير.

وفى ملف اللغة العربية يتناول الباحث السعودى د.عبد الرحمن بن حسن المحسني بحثاً عنوانه (**الرسائل القصيرة جداً في الأدب العربي إلى عصر**

التقنية (دراسة تأسيسية: نحو منحى فني نقدي جديد) حيث يعد هذا الموضوع جديداً في طرحه من خلال استعراضه للرسائل القصيرة يليه بحث **(المرأة في شعر المتنبي بين الموروث الأدبي والتوظيف الوجداني)** للدكتور الريح المبارك حاج علي . يليه بحث بعنوان **(جمالية التجنيس في شعر لسان الدين بن الخطيب)** للباحثين د. عبدالفتاح محمد سالم السيد و أ.د. حسن أحمد علي حيدر ونختم هذا الملف **(شعرية المتعاليات النَّصيَّة في ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة «مقاربة سيميائية»)** للدكتور/ خالد عبَّاس مصطفى عبد السلام.

وفي ملف علم النفس يتناول الدكتور/ يحيى أحمد محمد الماحي **(تجهيز ومعالجة المعلومات وعلاقته بالقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة)** ويلي ذلك بحث عنوانه **(فاعلية العلاج باللعب في خفض حدة الاضطرابات السلوكية لدى أطفال التوحد (دراسة تجريبية بمراكز التوحد)** للباحثين : الدكتورة/ إقبال عبد الرحمن حسن الشاذلي والدكتور/ محمد حسين عبد الباسط ترجوم.

وفي ملف الاقتصاد يتناول الدكتور/ علاء الدين مساعد يوسف عمر **(أثر معاييرحوكمة الشركات علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف السودانية (دراسة ميدانية)** .

وفي ملف اللغة الإنجليزية تتناول الباحثة أماني الطيب حسب الرسول محمد موضوعا عنوانه

Reading Comprehension Classes: Importance, Problems and Solutions (A case study of the Faculty of Education Hasaheisa)

وفى الختام نلفت أنظار الإخوة الباحثين والقراء الأُ يدخروا جهداً في أبداء الملاحظات الناقدة البناءة ، كما نعتذر للإخوة الباحثين الذين وقعت بعض الأخطاء غير المقصودة في منشوراتهم، ونؤكد أن قدرات هيئة التحرير مهما تسامت تبقى محدودة وقاصرة، بل وعاجزة على بلوغ الكمال أو حتى ملامسة حدوده. نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى هو نعم المولى ونعم النصير.

التعامل المشروع مع المخالفين في الدين
دراسةٌ من خلال السنة النبوية



إعداد:

د. حليمة عبدالله زيد الشمراني و د. ابتهاج الطيب النيل

الأستاذان المساعدان في الحديث وعلومه

في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب

في جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل

بالمملكة العربية السعودية

مستخلص البحث:

يوضح هذا البحث المنهج النبوي لكيفية الاندماج الواعي للمسلمين مع غير المسلمين، وبالتالي يتسنى للمسلم المحافظة على الهوية الإسلامية مع الاستفادة منهم، كما يوضح التعامل المشروع مع المخالفين في الدين، سواء كانوا أهل ذمة، أو كفاراً معاهدين، أو محاربين.

وقد سلكنا في منهج البحث الاستقراء والتتبع في جمع الروايات من كتب السنة، وقمنا بتخريج الأحاديث والآثار، فإن كانت في الصحيحين، أو أحدهما يُكتفى بذلك، وإن كانت في غيرهما؛ يتم تخريجها من كتابين من كتب السنة على الأقل، مع ذكر حكم الأئمة على الروايات، دون دراستها، إن وجدنا من حكم عليها، وإلا درسنا أسانيدها.

وقد خلص البحث إلى أن التعامل المشروع قسمان هما: الأول ما كان في المعاملات والمصالح الدنيوية وقد عبرنا عنها بمبحث الاستفادة والمشاركة، مثل: استعمالهم واستئجارهم، والمتاجرة معهم، والاستطباب والعلاج عند أطبائهم، والاستعانة بهم في صد العدوان عن المسلمين عند الحاجة، والآخر هو المعاملة الحسنة مثل: الإحسان إليهم، وصلة القريب ذا الرحم منهم، وقبول هديتهم ومكافأتهم عليها، ونكاح الكتابيات من نسائهم، وإكرام الضيف منهم، وإجابة الدعوة إلى وليمتهم، والتلطف معهم.

Abstract:

This research clarifies the prophetic approach of the careful blending of Muslims with non-Muslims، in a way enabling the Muslim to preserve his Islamic identity while benefiting from the non-Muslim. The research states the legitimate dealings، as per Islamic law (Sharia)، with non-Muslims whether they are people under pact، or infidels in fight with Muslims or in treaty.

This research is conducted by means of induction and tracking in collecting

the narrations from Sunnah Books. The narrations were extracted in the following manner. If the narration is in one of the Saheehain، then it is enough otherwise the narration must be extracted from at least two Sunnah Books. In any case، the judgment of the scholars، if found، on the narration is reported without studying the narration and if no scholar's judgement is found، then .the narration is studied

The research findings state that the legitimate dealings fall under two categories. The first category is related to daily life interests which is discussed in the "benefiting and collaborating" section. Examples of such dealings with non-Muslims are in using and hiring them، trading with them، medical treatment under them، and allying with them، when needed، to repel the aggression against Muslims. The second category is related to showing nice treatment to the non-Muslims. Examples of such dealings are being kind to them، being in touch with the in-laws، accepting their gifts and rewarding them، marrying from their women، honoring the guest and accepting their .invitation، and showing kindness to them

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

نادى الإسلام إلى حسن التعامل مع الناس بسماحة، وإحسان، مهما اختلفت أديانهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾(1).

ما يعنينا في بحثنا هذا هو ما وقع في العصر الحالي ونزل بأبناء الأمة الإسلامية جَرَّاء التعايش مع الثقافات والمجتمعات الغربية؛ نتيجة اختلاط المسلمين مع غير المسلمين، سواء كانوا مقيمين في ديار المسلمين أو أقام المسلمون في ديارهم إقامة إجبارية، أو اختيارية، فكان التعايش والتأثر مع أبناء تلك الدول سواء كان دينياً، أو اجتماعياً، أو ثقافياً، أو فكرياً، أو اقتصادياً. وسنقوم في هذا البحث - إن شاء الله تعالى - بإظهار التعامل المشروع والمباح، بعد أن بحثنا سابقاً موضوع التعامل الممنوع مع المخالفين في الدين(2)، فآثرنا أن نكمل في هذا البحث التعامل المشروع مع المخالفين في الدين، ولا نلتزم فيه بجمع كل ما عَرَضَ لنا من تعامل مباح ولا حصره؛ إنما ما نراه شائع ومنتشر في العصر الحالي وعلى قدر استطاعتنا.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع في توضيح:

التعامل المشروع والمباح الذي أجازه الإسلام مع غير المسلمين.

المنهج النبوي لكيفية الاندماج الواعي للمسلمين مع غيرهم، وبالتالي يتسنى للمسلم المحافظة على الهوية الإسلامية مع الاستفادة منهم.

ما ورد من صور وأمثلة للتعامل المشروع مع المخالفين في الدين في السنة النبوية.

منهج وطريقة البحث:

سلوك منهج الاستقراء والتتبع في جمع الروايات من كتب السنة.

تخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة، فإن كانت في الصحيحين، أو أحدهما يُكتفى بذلك، وإن كانت في غيرهما؛ يتم تخريجها من كتابين من

(1) سورة الممتحنة، آية: 8-9.

(2) تمت الموافقة على نشر البحث في عام 1438هـ، وذلك في مجلة أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية.

كتب السنة على الأقل.

الاكتفاء بحكم الأئمة على الروايات، دون دراستها، إن وجدنا من حكم عليها.

عزو الآيات القرآنية في الحاشية للسور.

عند تخريج الأحاديث يكون ذلك بذكر الكتاب، ثم الباب، ثم الجزء والصفحة، ورقم الحديث أو الأثر بين قوسين.

شرح غريب الأحاديث والآثار.

الترجمة للأعلام الموجودين في البحث، ما عدا رواة الأحاديث والآثار.

العزو في الحاشية للمرجع، مع ذكر لقب المؤلف، دون ذكر ما يتعلق به من معلومات الطباعة والنشر، وإرجاؤها إلى قائمة المراجع في آخر البحث.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة تحتوي على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج وطريقة البحث وخطته، وتمهيد، ثم مبحثان كالتالي:

المبحث الأول: الاستفادة والمشاركة. وتحته أربعة مطالب كالتالي:

الأول: استعمالهم واستئجارهم.

الثاني: المتاجرة معهم.

الثالث: الاستطباب والعلاج عند أطبائهم.

الرابع: الاستعانة بهم في صد العدوان عن المسلمين عند الحاجة.

المبحث الثاني: المعاملة الحسنة. وتحته خمسة مطالب كالتالي:

الأول: الإحسان إليهم.

الثاني: صلة القريب ذا الرحم منهم، وقبول هديتهم، ومكافأتهم عليها.

الثالث: نكاح الكتابيات من نسائهم.

الرابع: إكرام الضيف منهم، وإجابة الدعوة إلى وليمتهم.

الخامس: التلطف معهم.

وفي نهاية البحث خاتمة تحتوي على أهم النتائج المستخلصة من البحث، وقائمة للمراجع، وفهارس.

تمهيد:

مفهوم المخالفين في الدين:

قبل الدخول إلى الموضوع نريد أن نوضح هنا من المقصودون بالمخالفين في الدين في بحثنا هذا؟ المقصود بهم الذين خالفوا المسلمين في العقيدة وهم نوعان كما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان المشركون على منزلتين من النبي ﷺ والمؤمنين؛ كانوا مشركي أهل حرب يقاتلهم ويقاتلونه، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه"(1).

قال ابن القيم - رحمه الله- (2): «الكفار إما أهل حرب، وإما أهل عهد، وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان... أهل الذمة عبارة عمن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله، بخلاف أهل الهدنة، فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مال، أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، وهؤلاء يسمون أهل العهد، وأهل الصلح، وأهل الهدنة، وأما المستأمن؛ فهو الذي يَقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها»(3).

فالمقصود هنا التعامل مع النوع الثاني وهم أهل العهد الذين لا يقاتلون المسلمين ولا يقاتلهم المسلمون، سواءً كانوا مقيمين في بلاد المسلمين، أو

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق- باب نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن، 7 - 48 (5286).

(2) محمَّد بن أبي بكر بن أَيوب الزرعي ثمَّ الدِّمَشْقِي، أَبُو عبد الله ابْن قيم الجوزية. تفنن فِي علوم الإِسلام كانَ عَارِفاً بالتفسير، وبأصول الدين، وَالفِقه وَله اعتناء بِعلم الحَدِيث، والنحو، وَعلم الكلام والسلوك توفي سنة إِحْدَى وَخمسين وَسَبْعمائة.

يُنظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن محمد بن مفلح، 2 - 384-385.

(3) أحكام أهل الذمة، محمَّد بن أبي بكر ابن القيم، 2 - 873-874.

كان المسلمون مقيمون في بلادهم لمصلحة دنيوية.

المبحث الأول: الاستفادة والمشاركة

المطلب الأول: استعمالهم واستئجارهم:

إن جواز استعمال غير المسلمين أو استئجارهم مقيدٌ بالأعمال التي ليس فيها ولاية على مسلم، وليس فيها نوع استعلاء من غير المسلم على المسلم، فيجوز أن يعمل عند المسلم في صناعة، أو بناء، أو خدمة (1).

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «واسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً مِنْ بَنِي الدِّيلِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا - الخِرِّيتُ: المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلف فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلاَثٍ، فَارْتَحَلاَ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ الدِّيلِيُّ، فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ». أخرجه البخاري في صحيحه (2).

وثبُتَ أن النبي ﷺ عامل يهود خيبر على أموالهم. عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: لَمَّا فَدَعَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، قَامَ عُمَرُ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ،...» أخرجه البخاري في صحيحه (3).

إن استئجار المشركين عند الضرورة وغيرها جائز حسن؛ لأن في ذلك ذلة وصغار لهم، وإنما قال البخاري في ترجمته: إذا لم يوجد أهل الإسلام. ومن أجل أن النبي عليه السلام إنما عامل أهل خيبر على العمل في أرضها إذ لم يوجد من المسلمين من ينوب منابهم في عمل الأرض،

(1) تسهيل العقيدة الإسلامية، للدكتور عبدالله الجبرين، ص610.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة- باب استئجار المشركين عند الضرورة، أو إذا لم يوجد أهل الإسلام، 3 - 88- 89 (2263- 2264)، وكتاب مناقب الأنصار- باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، 5 - 58 (3905).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط- باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك، 3 - 192- 193 (2730).

حتى قوى الإسلام واستغنى عنهم وأجلاهم عمر بن الخطاب، وعامة الفقهاء يجيزون استئجارهم عند الضرورة وغيرها. قال المهلب: وفيه من الفقه ائتمان أهل الشرك على السر والمال إذا علم منهم وفاءً ومروءة، كما استأمن النبي عليه السلام هذا الدليل المشرك، وهو من الكفار الأعداء المطالبين له، لكنه علم منه مروءة ووفاء ائتمنه من أجلهما على سره في الخروج من مكة (1).

ومن العلماء من منع إجارة الخدمة خاصة، وجَوَّز إجارة العمل، وفرَّقوا بينهما بأن إجارة الخدمة تتضمن حبس نفسه على خدمته مدة الإجارة، وذلك فيه نوع إذلال للمسلم وإهانة له تحت يد الكافر فلم يجز، كبيع العبد المسلم له (2).

عَنْ مَسْرُوقٍ، حَدَّثَنَا خَبَّابٌ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا، فَعَمِلْتُ لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، فَاجْتَمَعَ لِي عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: «أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ فَلاَ»، قَالَ: وَإِنِّي لَمَيِّتٌ ثُمَّ مَبْعُوثٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ»، قَالَ: فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لِي ثَمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ، فَأَقْضِيكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا، وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أخرجه البخاري في صحيحه (3).

ومما سبق يظهر أنه ينبغي التفريق بين استخدام أو استعمال المسلم لمخالفه في الدين في أمر من الأمور، وبين جعله صاحب سلطة ونفوذ، والعكس من ذلك كما جاء في قصة خباب -رضي الله عنه- ومحاولة تأثير العاص بن وائل عليه؛ لترك دينه وجعل ذلك شرطاً لتحصيل أجرته.

(1) شرح صحيح البخاري، لابن بطال،6 - 387.
(2) أحكام أهل الذمة، محمَّد بن أبي بكر ابن القيم، 1 - 665.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع- باب ذكر القين والحداد، 3 - 60 (2091)، وكتاب الإجارة- باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب،3 - 92 (2275).

المطلب الثاني: المتاجرة معهم:

قد تقدم أن رسول الله ﷺ شارك اليهود في زرع خيبر وقسمة ثمرها. وقد سئل الإمام أحمد: عن الرجل يشارك اليهودي والنصراني؟ قَالَ: يشاركهم، ولكن يلي هو البيع والشراء، وذلك أنهم يأكلون الربا ويستحلون الأموال. ثم قَالَ أبو عبد الله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) (1).

والتعامل معهم في الأمور الدنيوية جائز في الأمور المباحة، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إِلَى أَجَلٍ، وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ». أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (2).

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً؟ - أَوْ قَالَ: أَمْ هِبَةً»- قَالَ: لاَ، بَلْ بَيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (3). ومعنى مُشْعَان: يريد أنه متنفش الشعر يقال رجل مشعان الرأس وشعر مشعان إذا كان ذلك متنفشاً (4).

وقد ثبت أن النبي ﷺ جعل فداء بعض أسرى بدر الذين لا مال لهم أن يعلموا أبناء الأنصار الكتابة. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ». أخرجه أحمد في

(1) أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، ص 106.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع- باب شراء الإمام الحوائج بنفسه وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اشْتَرَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَلًا مِنْ عُمَرَ وَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِنَفْسِهِ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جَاءَ مُشْرِكٌ بِغَنَمٍ، فَاشْتَرَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَاةً، وَاشْتَرَى مِنْ جَابِرٍ بَعِيرًا، 3 - 62 (2096)، وباب شراء الطعام إلى أجل، 3 - 77 (2200)، وكتاب الرهن- باب من رهن درعه،3 - 142 (2509)، وباب الرهن عند اليهود وغيرهم،3 - 143 (2513)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة- باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر، 3 - 1226 (1603).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع- باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، 3 - 80 (2216)، وكتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها- باب قبول الهدية من المشركين، 3 - 163 (2618)، وكتاب الأطعمة- باب من أكل حتى شبع، 7 - 69 (5382)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة- باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، 3 - 1626 (2056).

(4) غريب الحديث، محمد بن عبدالله بن قتيبة، 1 - 343.

مسنده، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في السنن الكبرى (1).

قال ابن القيم - رحمه الله -: وهذا يدل على جواز الفداء بالعمل، كما يجوز بالمال (2).

المطلب الثالث: الاستطباب والعلاج عند أطبائهم:

قد يحتاج الإنسان في طلب العلاج لبعض الأمراض المستعصية أن يذهب إلى طبيب يهودي أو نصراني، وذلك جائز إذا كان اليهودي أو النصراني خبيراً بالطب ثقة عند الإنسان جاز له أن يستطبه (3).

عن سعد - رضي الله عنه - قال: مرضت مرضاً أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي فقال: «إنك رجل مفؤود، ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلُدَّك بهن» أخرجه أبو داود في سننه، والضياء في الأحاديث المختارة، وابن سعد في الطبقات الكبرى، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (4).

(1) أخرجه أحمد في مسنده، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، 4 - 92 (2216)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب قسم الفيء والغنيمة- باب ما جاء في مفاداة الرجال منهم بالمال، 6 - 523 (12847). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وعلَّق الذهبي: صحيح. المستدرك على الصحيحين، 2 - 152 (2621). أخرجه الإمام أحمد عن علي بن عاصم والحاكم والبيهقي عن علي بن عاصم وخالد بن عبدالله، كلاهما علي بن عاصم وخالد بن عبدالله، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس. وفي الإسناد علي بن عاصم بن صهيب الواسطي. قال النسائي: متروك الحديث. وسُئِلَ عنه أحمد بن حنبل فقال: يكتب حديثه. وسُئِل عنه مرة أخرى: فقال: هو والله عندي ثقة، وأنا أحدث عنه. ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، 6 - -325 331 (1348). وقد تابع خالد بن عبدالله بن عبدالرحمن الطحان (علي بن عاصم) في روايته عن داود بن أبي هند، وخالد بن عبدالله قال عنه ابن حجر: ثقة ثبت. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 189 (1647). وداود بن أبي هند القشيري، مولاهم أبو بكر أو أبو محمد البصري، قال عنه ابن حجر: ثقة متقن، كان يهم بأخرة. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 200 (1817). وعكرمة أبو عبدالله مولى ابن عباس أصله بربري. قال عنه ابن حجر: ثقة ثبت. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 397 (4673). وبالنظر إلى إسناد خالد بن عبدالله، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة؛ فهو إسناد صحيح. أما رواية الإمام أحمد عن علي بن عاصم فلعلها ترجع إلى توثيقه لعلي، والله أعلم.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمَّد بن أبي بكر ابن القيم، 3 - 102.

(3) مختصر الفتاوى المصرية، لبدر الدين البعلي، 517-518.

(4) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الطب- باب في تمرة العجوة، 4 - 7 (3875)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، 3 - 243 (1050)؛ وابن سعد في الطبقات الكبرى، 3 - 146؛ وأبو نعيم في معرفة

ورجل مفؤود: أي يوجعه فؤاده فيتقيأ دماً(1). والمراد بفليجأهن: أي فليدقهن. وبه سميت الوجيئة، وهو تمر يبل بلبن أو سمن ثم يدق حتى يلتئم(2). واللدود كل ما يوجَرُه الإنسان من أحد شقيه ومنه قيل لجانبي الوادي اللديدان (3).

قال علي الملا القاري(4): قال الشُرَّاح: وفيه جواز مشاورة أهل الكفر في الطب؛ لأن الحارث مات في أول الإسلام ولم يصح إسلامه (5).

المطلب الرابع: الاستعانة بهم في صد العدوان عن المسلمين عند الحاجة:

ثَبُتَ أن النبي ﷺ استعان بقبيلة خزاعة وحالَفَها مسلمها وكافرها في صلح الحديبية، وعاضدوه في قتاله لقريش في فتح مكة.

عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالاَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ،

الصحابة، 2 - 779 (2073). أخرجه أبوداود قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن سعد رضي الله عنه، وابن سعد من طريق محمد بن عمر، والضياء من طريق محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، كلهم عن: ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن سعد. قال المنذري: قال أبوحاتم الرازي: مجاهد لم يدرك سعداً، إنما يروي عن مصعب بن سعد عن سعد. وقال أبو زرعة الرازي: مجاهد عن سعد مرسل. ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود وحاشية ابن القيم، للعظيم آبادي،10 - 256. قلت: إسناد أبي داود معل بإرساله، إلا أن متنه مروي بإسناد متصل عن سعد -رضي الله عنه- عند أبي نعيم في معرفة الصحابة من طريق إسحاق عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد بنحو حديث أبي داود وابن سعد والضياء، وبذلك يكون محمد بن سعد قد رواه عن أبيه سعد. ينظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم، 2 - 779 (2073). وإسحاق بن إسماعيل الطالقاني، قال عنه ابن حجر: ثقة تكلم في سماعه من جرير. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 100 (341)، وإسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، قال عنه ابن حجر: ثقة حجة. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 109 (479)، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، قال عنه ابن حجر: ثقة. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 480 (5904). وعلى ما سبق فإسناد أبي نعيم صحيح. والله أعلم.

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الأثير، 3 - 405.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الأثير، 5 - 152.

(3)غريب الحديث، حمد بن سليمان الخطابي، 1 - 195.

(4) الشيخ ملا علي قاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة، وسكن مكة وتوفي بها. صنف كتباً كثيرة، منها: شرح مشكاة المصابيح، وشرح مشكلات الموطأ، وغيرهما. توفي عام 1014ه. ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، 1 - 445 (217)؛ والأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، 5 - 12.

(5) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي الملا القاري، 7 - 2722 (4224).

فَلَمَّا أَتَى ذَا الحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا البَيْتِ، لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ». أخرجه البخاري في صحيحه (6). وغدير الأشطاط: موقع ورد في حديث الحديبية، وهو موضع قرب عسفان، على مرحلتين من مكة على طريق المدينة(7). ومعنى محروبين: أي مسلوبين منهوبين(8).

قال الخطابي - رحمه الله - (9): "وفيه أن النبيﷺأرسل الخزاعي وبعثه عيناً ثم صَدَّقه في قوله وقبل خبره وهو كافر وذلك؛ لأن خزاعة كانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ مؤمنهم وكافرهم، أَحلُفٌ كانت بينهم في الجاهلية ولعله أيضاً لم يجد من المسلمين من ينوب عنه في تعرف الخبر والتجسس والبحث عن أمر العدو»(10).

وقد استعان ﷺ بصفوان بن أمية في يوم حنين (قبل إسلامه)، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعَارَ مِنْهُ أَدْرَاعًا يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ: أَغَصْبٌ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «لَا، بَلْ عَمَقٌ مَضْمُونَةٌ» أخرجه أبو داود في سننه، وأحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك(11).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي- باب غزوة الحديبية، 5 - 126 (4178).

(7) المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد شراب، ص 28.

(8) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الأثير، 1 - 358.

(9) الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البُسْتي، الخطابي، صاحب التصانيف. ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة. صاحب التصانيف النافعة الجامعة، منها «معالم السنن» و «غريب الحديث» و«إصلاح غلط المحدّثين» وغيرها. توفي سنة 388هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، 17 - 23؛ وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، 4 - 471-472.

(10) معالم السنن، حمد بن سليمان الخطابي، 2 - 326.

(11) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب البيوع- باب في تضمين العور، 3 - 296 (3562)، وقال: هذه رواية

ومعنى عمق مضمونة: أي عارية مضمونة، كما جاء في لفظ الحديث عند أحمد، والحاكم(1).

وقد يقول قائلٌ أن ما سبق من أدلة تعارض رد النبي - صلى الله عليه وسلم- على الرجل المشرك الذي عرض عليه أن يشارك مع المسلمين في القتال بقَوله ﷺ : «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ». أخرجه مسلم في صحيحه(2).

وفي معرض الرد على ذلك بالتوفيق والجمع بين الأحاديث قال الصنعاني - رحمه الله- (3): «وقد جُمِعَ بأوجه منها ما ذكره البيهقي عن نص الشافعي أن النبي ﷺ تفرَّس الرغبة في الذين ردهم فردهم رجاء أن يسلموا فصَدَّق الله ظنه». وفيه نظر؛ لأن قوله: «لا أستعين بمشرك» نكرة في سياق النفي تفيد العموم. ومنها أن الأمر في ذلك إلى رأي الإمام،

يزيد -يعني ابن هارون- ببغداد وفي روايته بواسط تغير على غير هذا، وأحمد في مسنده، مسند المكيين- مسند صفوان بن أمية الجمحي، عن النبي صلى الله عليه وسلم،24 - 12-13 (15302). وقد أخرجه الحاكم في مستدركه ثم قال: وله شاهد عن ابن عباس، ثم حكم على حديث ابن عباس بأنه صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وعلَّق الذهبي: على شرط مسلم. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، 2 - 53-54 (-2300 2301). قلت: أخرجه أبوداود عن الحسن بن محمد، وسلمة بن شبيب، وأخرجه الحاكم من طريق يحيى بن أبي طالب كلهم الحسن وسلمة ويحيى بن أبي طالب وكذا الإمام أحمد عن يزيد بن هارون، حدثنا شريك، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أمية بن صفوان بن أمية، عن أبيه. ويزيد بن هارون السلمي، أبو خالد الواسطي، قال عنه ابن حجر: ثقة متقن عابد. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 606 (7789). وشريك بن عبدالله النخعي، قال عنه ابن حجر: صدوق يخطىء كثيراً تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة وكان عادلاً فاضلاً عابداً شديداً على أهل البدع. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 266 (2787). وعبد العزيز بن رُفَيع الأسدي، أبوعبدالله المكي، قال عنه ابن حجر: ثقة. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 357 (4095). وأمية بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، قال عنه ابن حجر: مقبول. ينظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص 114 (555). الحديث بهذا الإسناد ضعيف، حيث لا متابع لأمية بن صفوان؛ إلا أن للحديث شاهد بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد حكم الحاكم على حديث ابن عباس بأنه صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، 2 - 54 (2301).

(1) مسند الإمام أحمد، مسند المكيين- مسند صفوان بن أمية الجمحي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، 24 - 12-13 (15302)، والمستدرك على الصحيحين، للحاكم، 2 - 53-54 (-2300 2301).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير- باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، 3 - 1449 (1817).

(3) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بابن الأمير، ولد سنة 1099هـ، وتوفي سنة 1182هـ، وله مصنفات جليلة حافلة منها: سبل السلام اختصره من البدر التمام للمغربي، والعدة جعلها حاشية على شرح العمدة لابن دقيق العيد، وغيرها كثير. ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، محمد بن علي الشوكاني، 2 - 133-139.

وفيه النظر المذكور بعينه. ومنها أن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رُخِّصَ فيها»(1).

المبحث الثاني: المعاملة الحسنة:

إن المقصد الرئيسي من مرونة الإسلام في معاملة المخالفين له معاملةً حسنةً هي دعوتهم إلى الإسلام، أو رعاية لحق العهد علينا نحوهم، ومن الخطأ أن تُفهم مرونة التعامل هذه بمعنى الرضا والمشاركة لهم في معتقداتهم الباطلة، وهناك فرق بين حب المخالفين في الدين وموالاتهم، والتعامل معهم بالحسنى. ومن التعامل معهم بالحسنى ما يلي:

المطلب الأول: الإحسان إليهم:

يستحب للمسلم الإحسان للكافر الفقير، لقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَحْسِنُوَا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(2)؛ ولأن المسلمين قَبِلوا من أهل الكتاب الجزية، وعاملوا أهل الذمة بكل إحسان وعدالة؛ ولأنّه يُدرج ضمن الدعوة إلى الإسلام، فإذا رأى الكفّار من المسلمين هذه المعاملة الكريمة، والأخلاق الفاضلة كان ذلك مدعاة لدخولهم في الإسلام. كما في قصة ثمامة، بَعَثَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(3).

ويدخل تحت الإحسان إليهم جواز دفع الزكاة إلى المؤلفة قلوبهم من الكفار: قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا

(1) نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، 7 - 264.

(2) سورة البقرة، آية: 195.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة- باب الاغتسال إذا أسلم، وربط الأسير أيضاً في المسجد، 1 - 99 (462)، وباب دخول المشرك المسجد، 1 - 101 (469)، وكتاب الخصومات- باب التوثق ممن تخشى معرته، وباب الربط والحبس في الحرم، 3 - 123 (-2422 2423)، وكتاب المغازي- باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، 5 - 170 (4372)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير- باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، 3 - 1386 (1764).

وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (1).

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ رَجُلًا لَمْ يُعْطِهِ وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مؤْمِنًا؟ قَالَ: «أو مُسْلِمًا» قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا». قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» يَعْنِي: فَقَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ» أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(2).

قال العيني - رحمه الله- (3): «في قوله: (إني لأعطي الرجل) أي: أتألف قلبه بالإعطاء مخافة من كفره إذا لم يعط»(4).

المطلب الثاني: صلة القريب ذا الرحم منهم، وقبول هديتهم، ومكافأتهم عليها:

تُستحب صلة ونفقة المسلم على أقربائه من الكفار لقوله تعالى: ﴿ وَإِن

(1) سورة التوبة، آية: 60.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، 1 - 14 (27)، وكتاب الجمعة- باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، 2 - 10 (923)، و كتاب الزكاة- باب قول الله تعالى: (لا يسألون الناس إلحافاً) (البقرة 273) وكم الغنى، 2 - 124 (1478)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان- باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، 1 - 132- 133 (150)، وكتاب الزكاة- باب إعطاء من يخاف على إيمانه، 2 - 732- 733 (150).

(3) أبو محمد، محمود بن القاضي شهاب الدّين أحمد بن موسى، الحلبى الأصل، القاهري، الحنفي، المعروف بالعيني، ولد سنة 762ه، تولى قضاء الحنفية بالقاهرة، شرح صحيح البخاري في كتابه المسمى عمدة القاري، وشرح معاني الآثار للطحاوي، وغيرهما، توفي سنة 855ه، ودُفِنَ في القاهرة. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، 9 - 415؛ والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، 2 - 294-295.

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدرالدين العيني، 1 - 195.

جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ (1)، وفي الحديث عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَ فَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نعَمْ صِلِي أُمَّكِ». أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(2).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا» أَوْ قَالَ «ذِمَّةً وَ صِهْرًا،...». أخرجه مسلم في صحيحه (3).

والمقصود بالذمة هي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم (4).

إن البر والصلة للأقارب الكفار لا تستلزم المحبة والموالاة المنهي عنها بحق الكفار لعموم الآية في حق الكافر محارباً أو غيره حيث قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ (5).

إن الله تعالى منع من التودد لأهل الذمة بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) فمنع الموالاة والتودد وقال في الآية الأخرى ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ

(1) سورة لقمان، آية: 15.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها- باب الهدية للمشركين، 3 - 164(2620)، وكتاب الأدب- باب صلة المرأة أمها ولها زوج، 8 - 4 (5979)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة- باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين، 2 - 669 (1003).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم- باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر، 4 - 1970 (2543).

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، 16 - 97.

(5) سورة المجادلة، آية: 22.

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ وقال في حق الفريق الآخر ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ وقال ﷺ «استوصوا بأهل الذمة خيراً» وقال في حديث آخر: «استوصوا بالقبط خيراً» فلا بد من الجمع بين هذه النصوص وإن الإحسان لأهل الذمة مطلوب وأن التودد والموالاة منهي عنهما(1).

وقد زار رسول الله ﷺ عمه أبا طالب في مرض موته وهو مشرك، وحرص على دعوته إلى الإسلام، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ - لعمه: «قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة». فقال: لولا أن تُعَيِّرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَّشَاء). أخرجه مسلم في صحيحه(2).

قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾(3).

أخرج البخاري وغيره من حديث عائشة قالت: «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقبل الهدية ويثيب عليها»(4).

قال الشوكاني(5): «والأحاديث في قبوله الهدية والمكافأة عليها كثيرة وذلك معلوم منه ﷺ وأما كونها تجوز بين المسلم والكافر؛ فلأن النبي ﷺ كان يقبل هدايا الكفار ويهدي لهم كما أخرجه أحمد والترمذي والبزار من حديث علي قال: «أهدى كسرى لرسول الله فقبل منه وأهدى له قيصر

(1) الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، 3 - 14.
(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان- باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، 1 - 55 (42).
(3) سورة الممتحنة، آية: 8.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب المكافأة في الهبة، 3 - 157 (2585).
(5) علي بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه، من أهل الاجتهاد. يماني من صنعاء. ولد بها سنة 1173ه. له كتب، منها: القول الشافي السديد في نصح المقلد وإرشاد المستفيد. مات بالروضة من أعمال صنعاء سنة 1250ه. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، 5 - 17.

فقبل، وأهدت له الملوك فقبل منها»، وأخرج أبو داود من حديث بلال: «أنه أهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم عظيم فدك»، وفي الصحيحين من حديث أنس: «أن أكيدر دومة أهدى لرسول الله ﷺ جبة سندس»، وأخرج أبوداود من حديثه: «أن ملك الروم أهدى إلى النبي ﷺ مشتقة سندس فلبسها»، وفيهما أيضاً من حديث علي - رضي الله عنه - «أن أكيدر دومة الجندل أهدى إلى النبي ﷺ ثوب حرير؛ فأعطاه علياً فقال: «شققه خُمُراً بين الفواطم»(1).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: رَأَى عُمَرُ حُلَّةً عَلَى رَجُلٍ تُبَاعُ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ابْتَعْ هَذِهِ الحُلَّةَ تَلْبَسْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَإِذَا جَاءَكَ الوَفْدُ؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذَا مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ»، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا، بِحُلَلٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ مِنْهَا بِحُلَّةٍ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ أَلْبَسُهَا وَقَدْ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ؟ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا تَبِيعُهَا، أَوْ تَكْسُوهَا»، فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(2).

المطلب الثالث: نكاح الكتابيات من نسائهم:

يجوز نكاح الكتابية فقط دون المشركة، لقوله عزَّ وجلَّ: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ)(3). وكان التحريم قد نزل في سائر الكفار في تزويج نسائهم من المسلمين، ثم أحل تزويج نساءِ أهل الكتاب من بينهم بنص القرآن، حيث قال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ

(1) نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، 6 - 5-6.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة- باب يلبس أحسن ما يجد، 2 - 4 (886)، وكتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها- باب هدية ما يكره لبسها، 3 - 163 (2612)، وباب الهدية للمشركين، 3 - 164(2619)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة- باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع، 3 - 1638 (2068).

(3) سورة البقرة، آية: 221.

أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ)(1)، إن المقصود من الآية أن الله سبحانه أباح للمسلم المحصنات من أهل الكتاب، وفعله أصحاب نبينا ﷺ فتزوج عثمان نصرانية، ثُمَّ أَسْلَمَتْ عَلَى يَدَيْهِ، وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية، وتزوج حذيفة يهودية. أخرجه البيهقي في السنن الصغرى، وابن شبة في تاريخ المدينة(2). والحكمة من نكاح الكتابيات هي الرغبة في دعوتهن إلى الإسلام، كما ظهر ذلك من إسلام زوجة عثمان - رضي الله عنه - النصرانية.

المطلب الرابع: إكرام الضيف منهم، وإجابة الدعوة إلى وليمتهم:

إن إكرام الضيف الكافر يُعدُّ من معاملته بالحسنى؛ لعموم قَولَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّام، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(3). فالحديث يشمل الغني والفقير، والمسلم والكافر، والبر والفاجر. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(4).

وقد يحدث إشكالٌ هنا مفاده أن هذا الحديث يعارض قوله ﷺ: «لَا تُصاحب إلا مؤمناً، وَلَا يأكل طعامك إِلَّا تقيٌّ» أخرجه أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه(5).

(1) سورة المائدة، آية: 5.

(2)أخرجه البيهقي في السنن الصغير، كتاب النكاح-باب تحريم حرائر أهل الشرك دون أهل الكتاب، وهم أهل التوراة، والإنجيل من بني إسرائيل، وتحريم المؤمنات على الكفار كلهم قال الله عز وجل: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) [البقرة: 221] إلى قوله: (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) [البقرة: 221]، 3 - 47 (2458)؛ وابن شبة في تاريخ المدينة، ما سن عثمان رضي الله عنه من الأذان الثاني يوم الجمعة، 3 - 981. قال ابن كثير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن إدريس، حدثنا الصلت بن بهرام عن شقيق، قال: تزوج حذيفة يهودية،... إلى أن حكم على الإسناد بقوله: وهذا إسناد صحيح. ينظر: تفسير القرآن العظيم، 1 - 437.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق- باب حفظ اللسان، 8 - 100 (6476-6475)، وكتاب الأدب- باب إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه، 8 - 32 (6135)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب اللقطة- باب الضيافة ونحوها، 3 - -1352 1353 (48).

(4) فيض القدير، عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي، 4 - 260.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب- باب من يؤمر أن يجالس، 4 - 259 (4832)؛ والترمذي في جامعه، أبواب الزهد– باب ما جاء في صحبة المؤمن، 4 - 178 (2395) وقال الترمذي: هذا حديث حسن

ويمكن الرد على ذلك بأن المراد من حديث: «لَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ، وَلَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا»، غير الضيافة مما هو أعلى في الإكرام من مؤاكلتك معه وإتحافك إياه بالظرف واللطف(1).

قال الخطابي: «إنما جاء هذا في طعام الدعوة دون طعام الحاجة؛ وذلك أن الله سبحانه قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ ومعلوم أن أسراهم كانوا كفاراً غير مؤمنين ولا أتقياء، وإنما حذر -عليه السلام - من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب»(2).

وقيل: يجوز أن يكون المراد بقوله: «لا يأكل طعامك إلا تقي»، يريد به المواكلة التي توجب الألفة، وتؤدي إلى الخلطة، فإن المواكلة أوكد أسباب الألفة، وأحكم دواعي الخلطة، وأوثق عرى المداخلة، والاستئناس، ومخالطة من ليس بتقي، والاستئناس به والألفة معه تغر الإنسان، وتخل بالدين، وتذهب المروءة، وتوقع في الشبهات، وتؤدي إلى تناول المحرمات، فكأنه صلى الله عليه وسلم حذر من مخالطة الأشرار، ونهى عن مصاحبة الفجار؛ لأن مخالطة الفاجر لا تخلو من فساد يلحقك منه(3).

وقد أطعم النبي ﷺ المشركين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَافَهُ ضَيْفٌ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ، فَحُلِبَتْ فَشَرِبَ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلاَبَ سَبْعِ شِيَاهٍ، ثُمَّ أَصْبَحَ مِنَ الغَدِ، فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ، فَحُلِبَتْ فَشَرِبَ حِلاَبَهَا، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» أخرجه الترمذي في

إنما نعرفه من هذا الوجه.

(1) فيض القدير، عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي، 4 - 260 بتصرف.

(2) عون المعبود وحاشية ابن القيم، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، 13 - 123؛ وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن المباركفوري، 7 - 64.

(3) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار، محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، ص 243.

جامعه، وأحمد في مسنده(1).

وأجاب النبي ﷺ يهودياً دعاه إلى طعام. عَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وإهالة سنخة فَأَجَابَهُ. أخرجه أحمد في مسنده، والضياء في الأحاديث المختارة (2). ومعنى إهالة سنخة: الإهالة الدسم، والسنخة المتغيرة (3).

كما يجوز إن نزل المسلم ضيفاً عند الكافر - من غير قصد التحبب إليه بذلك -، الأكل العارض معه، أو وليمة عارضة، أو وليمة عامة. وأكل من طعام يهودية أتت به إليه. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلاَ نَقْتُلُهَا، قَالَ: «لاَ»، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (4).

المطلب الخامس: التلطف معهم:

من التلطف معهم تهنئتهم بزوجة أو ولد أو قدوم غائب أو عافية أو سلامة من مكروه ونحو ذلك، ولكن ليحذر الوقوع فيما يقع فيه الجهال

---

(1) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الأطعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب ما جاء أن المؤمن يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء، 3 - 329 (1819)؛ وأحمد في مسنده، الملحق المستدرك من مسند الأنصار بقية خامس عشر الأنصار، حديث أبي بصرة الغفاري، 45 - 202 (27226). قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، 20 - 424 (13201)، و21 - 344 (13860). قال: حدثنا عبد الصمد وعفان، حدثنا أبان، حدثنا قتادة، عن أنس؛ والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، 7 - 87 (2494)؛ من طريق عبد الصمد ببقية إسناد أحمد. دراسة الإسناد: عبدالصمد: هو ابن عبد الوارث بن سعيد العنبري، مولاهم التنوري، أبو سهل البصري. قال عنه ابن حجر: صدوق ثبت في شعبة. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ص 356 (4080)، وعفان هو ابن مسلم الباهلي، أبو عثمان الصفار، قال عنه ابن حجر: ثقة ثبت. قال ابن المديني: كان إذا شك في حرف من الحديث تركه، وربما وهم. وقال ابن معين: أنكرناه في صفر سنة تسع عشرة -ومائة- ومات بعدها بيسير. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ص 393 (4625)، وأبان هو ابن يزيد العطار، قال عنه ابن حجر: ثقة له أفراد. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ص 87 (143)، وقتادة هو ابن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري. قال عنه ابن حجر: ثقة ثبت. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ص 453 (5518). وبالنظر لحال رجال الإسناد، فالحديث صحيح بهذا السند. والله أعلم.

(3) غريب الحديث، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، 1 - 503.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها- باب قبول الهدية من المشركين، 3 - 163 (2617)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام- باب السم، 4 - 1721 (2190).

مـن الألفـاظ التـي تـدل علـى رضـاه بدينهـم، كمـا يقـول أحدهـم: متعـك الله بدينـك، أو يقـول لـه: أعـزك الله أو أكرمـك إلا أن يقـول: أكرمـك الله بالإسـلام وأعـزك بـه ونحـو ذلـك، فهـذا فـي التهنئـة بالأمـور المشـتركة (5).

ويدخـل فـي بـاب التلطـف عيادتـه إذا مـرض، كمـا عـاد النبـي -صلـى الله عليـه وسلم- الغـلام اليهـودي. عَـنْ أَنَـسٍ - رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ -، قَـالَ: كَانَ غُـلاَمٌ يَهُـودِيٌّ يَخْـدُمُ النَّبِـيَّ ﷺ، فَمَـرِضَ، فَأَتَـاهُ النَّبِـيُّ ﷺ يَعُـودُهُ، فَقَعَـدَ عِنْـدَ رَأْسِـهِ، فَقَـالَ لَـهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَـرَ إِلَـى أَبِيـهِ وَهُـوَ عِنْـدَهُ فَقَـالَ لَـهُ: أَطِـعْ أَبَـا القَاسِـمِ ﷺ، فَأَسْـلَمَ، فَخَـرَجَ النَّبِـيُّ ﷺ وَهُـوَ يَقُـولُ: «الحَمْـدُ لِلَّهِ الَّـذِي أَنْقَـذَهُ مِـنَ النَّـارِ». أخرجـه البخـاري فـي صحيحـه (6).

ومـن التلطـف عـرض الإسـلام عليـه، وتعزيتـه فـي ميّتـه، وبـدؤه بالتحيـة للضـرورة والحاجـة، إذا اقتضـت المصلحـة الشـرعية ذلـك (7).

ورد فـي الصحيـح: (أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ رَكِـبَ عَلَـى حِمَـارٍ عَلَـى قَطِيفَـةٍ فَدَكِيَّـةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَـامَةَ بْـنَ زَيْـدٍ وَرَاءَهُ يَعُـودُ سَـعْدَ بْـنَ عُبَـادَةَ فِـي بَنِـي الحَـارِثِ بْـنِ الخَـزْرَجِ قَبْـلَ وَقْعَـةِ بَـدْرٍ، قَـالَ: حَتَّـى مَـرَّ بِمَجْلِـسٍ فِيـهِ عَبْـدُاللَّهِ بْـنُ أُبَـيٍّ بْـنُ سَـلُولَ وَذَلِـكَ قَبْـلَ أَنْ يُسْـلِمَ عَبْـدُ اللَّهِ بْـنُ أُبَـيٍّ، فَـإِذَا فِـي المَجْلِـسِ أَخْـلاَطٌ مِـنَ المُسْـلِمِينَ وَالمُشْـرِكِينَ عَبَـدَةِ الأَوْثَـانِ وَاليَهُـودِ وَالمُسْـلِمِينَ، وَفِـي المَجْلِـسِ عَبْـدُ اللَّهِ بْـنِ رَوَاحَـةَ فَلَمَّـا غَشِـيَتِ المَجْلِـسَ عَجَاجَـةُ الدَّابَّـةِ، خَمَّـرَ عَبْـدُاللَّهِ بْـنُ أُبَـيٍّ أَنْفَـهُ بِرِدَائِـهِ، ثُـمَّ قَـالَ: لاَ تُغَبِّـرُوا عَلَيْنَـا، فَسَـلَّمَ رَسُـولُ اللَّهِ -ﷺ عَلَيْهِـمْ، ثُـمَّ وَقَـفَ فَنَـزَلَ فَدَعَاهُـمْ إِلَـى اللَّهِ، وَقَـرَأَ عَلَيْهِـمُ القُـرْآنَ....). أخرجـه البخـاري ومسـلم فـي صحيحيهمـا(8).

(5) أحكام أهل الذمة، محمَّد بن أبي بكر ابن القيم، 1 - 441.

(6) أخرجـه البخـاري فـي صحيحـه، كتـاب الجنائـز- بـاب إذا أسـلم الصبـي فمـات، هـل يصلـى عليـه، وهـل يعـرض على الصبي الإسلام،2 - 94 (1356).

(7) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي الملا القاري، 7 - 2939.

(8) أخرجـه البخـاري فـي صحيحـه، كتـاب تفسير القـرآن- بـاب (وَلَتَسْـمَعُنَّ مِـنَ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الكِتَـابَ مِـنْ قَبْلِكُـمْ وَمِـنَ الَّذِيـنَ أَشْـرَكُوا أَذًى كَثِيـرًا) [آل عمـران: 186]، 6 - 39 (4566)، وكتـاب المرضـى- بـاب عيـادة المريـض، راكبـاً وماشـياً، وردفـاً علـى الحمـار، 7 - 118 (5663)، وكتـاب الأدب- بـاب كنيـة المشـرك، 8 - 45 (6207)، وكتـاب الاسـتئذان - بـاب التسـليم فـي مجلـس فيـه أخـلاط مـن المسـلمين والمشـركين، 8 - 56 (6254)؛ ومسـلم فـي صحيحـه، كتـاب الجهـاد والسـير- بـاب فـي دعـاء النبـي صلـى الله عليـه وسـلم إلـى الله، وصبـره علـى أذى المنافقيـن، 3 - 1422

قيل: إن رسول الله إنما سلم عليه يومئذ ونزل إليه ليدعوه إلى الله وذلك فرض عليه. وقيل: لم يكن نزوله عليه السلام ليدعوه؛ لأنه قد كان تقدم الدعاء منه لعبد الله بن أبيّ ولجماعة المنافقين في أول الإسلام، فكيف يدعى إلى ما يظهره؟ وإنما نزل -عليه السلام - هناك استئلافاً لهم ورفقاً بهم، رجاء في رجوعهم إلى الحق(1).

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

كانت تلك دراسةٌ من خلال السنة النبوية بيَّنا فيها التعامل المشروع مع المخالفين في الدين، وكان من أهم نتائجها الآتي:

- أباح الإسلام التعامل مع المخالفين في الدين، والمشاركة في المعاملات، والمصالح الدنيوية، وفي الحدود التي شرعها، فمن ذلك:

الاستعانة بهم في صد العدوان عن المسلمين عند الحاجة.

التجارة معهم.

استعمالهم واستئجارهم.

الاستطباب والعلاج عند أطبائهم.

- أباح الإسلام كذلك المعاملة الحسنة معهم فمن ذلك:

الإحسان إليهم.

صلة القريب ذا الرحم منهم.

(1798).

(1) شرح صحيح البخاري، علي بن خلف ابن بطال، 9 - 33.

قبول هديتهم ومكافاتهم عليها.

نكاح الكتابيات من نسائهم.

إكرام الضيف منهم، وإجابة الدعوة إلى وليمتهم.

التلطف معهم.

إن إباحة التعامل مع المخالفين في الدين ومخالطتهم بالحسنى بقيود وشروط هي:

ألا تُخرِج المسلم إلى موادتهم وموالاتهم.

وجود مصلحة شرعية كترغيبه في الدخول إلى الإسلام.

كانت تلك أهم النتائج من الدراسة، هذا ونسأل الله التوفيق والسداد والقبول، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا خاتم المرسلين وآله وصحبه ومن تبع هديه.

قائمة المراجع:

الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، المقدسي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد، تحقيق: الدكتور عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، ط 3؛ بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ- 2000م.

أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، ط1؛ الدمام: رمادى للنشر.

أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، الخلَّال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1414ه-1994م.

الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود، ط 15؛ دار العلم للملايين، 2002م.

بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل- أحمد فريد المزيدي، ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ- 1999م.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، الشوكاني، محمد بن علي، بيروت: دار المعرفة.

تاريخ المدينة، البصري، عمر بن شبة بن عبيدة النميري، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة: طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، 1399هـ.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم،

بيروت: دار الكتب العلمية.
تسهيل العقيدة الإسلامية، الجبرين، عبدالله بن عبدالعزيز بن حمادة، ط2؛ دار العصيمي.
تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، 1419هـ.
تقريب التهذيب، العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تحقيق: محمد عوامة، ط1؛ سوريا: دار الرشيد، 1406ه- 1986م.
الجامع الكبير - سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م.
زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ط 27؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، 1415هـ- 1994م.
السنن الصغير، البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، ط1؛ كراتشي: جامعة الدراسات الإسلامية، 1410هـ- 1989م.
السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط3؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ- 2003م.
سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3؛ مؤسسة الرسالة، 1405هـ 1985م.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد، تحقيق: عبدالقادر ومحمود الأرنؤوط، ط1؛ دمشق: دار ابن كثير، 1406هـ.
شرح صحيح البخاري، ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك أبو الحسن، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2؛ الرياض: مكتبة الرشد، 1423هـ- 2003م.
صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1؛ 1422هـ.
صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
الطبقات الكبرى، الهاشمي بالولاء، محمد بن سعد بن منيع، تحقيق: إحسان عباس؛ ط1؛ بيروت: دار صادر، 1968م.
عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الحنفي العيني، محمود بن أحمد، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم، العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي أبو عبدالرحمن، ط2؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.
غريب الحديث، الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: الدكتور عبد المعطي

أمين القلعجي، ط1؛ بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، 1405ه- 1985م.
غريب الحديث، الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، 1402هـ- 1982م.
غريب الحديث، الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط1؛ بغداد: مطبعة العاني، 1397هـ.
الفروق، القرافي، أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن، عالم الكتب.
فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، عبدالرؤوف بن تاج العارفين، ط1؛ مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356م.
الكامل في ضعفاء الرجال، الجرجاني، أبو أحمد بن عدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1؛ بيروت- لبنان: 1418هـ1997-م.
مختصر الفتاوى المصرية، البعلّي، محمد بن علي بن أحمد بدر الدين، تحقيق: عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية وتصوير دار الكتب العلمية.
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا الهروي القاري، علي بن سلطان أبو الحسن، ط1؛ بيروت: دار الفكر، 1422هـ- 2002م.
المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ- 1990م.
مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، ط 1؛ مؤسسة الرسالة، 1421هـ.
المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، ط؛ دمشق وبيروت: دار القلم، الدار الشامية.
معالم السنن، الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم، ط1؛ حلب: المطبعة العلمية، 1351هـ- 1932م.
المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1؛ الرياض: مكتبة الرشد، 1410هـ.
المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المعروف بشرح النووي على صحيح مسلم، النووي، محيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا، ط2؛ بيروت: 1392هـ.
النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، بيروت: مكتبة العلمية، 1399هـ- 1979م.
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، الشوكاني، محمد بن علي، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط1؛ مصر: دار الحديث، 1413هـ- 1993م.

الدلالات والدروس المستفادة من غزوة بدر الكبرى



د . عثمان بشير محمد بشير[1]

1/ استاذ فقه السيرة النبوية المساعد ،جامعة الجزيرة ، كلية التربية الحصاحيصا ، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

المستخلص:

غـزوة بـدر برغـم صغـر المسـاحة التـي دارت فيهـا، وقلـة العـدد الـذي شـارك فيهـا ؛ إلا أنهـا تعتبـر مـن اكبـر الفتوحـات التـي أيـد الله بهـا المؤمنيـن بنصـره وكسـر شـوكة عدوهـم فكانـت بـدر انتصـارا ممتـدا عبـر التاريـخ للأمـة الإسـلامية جمعاء:هدفـت الدراسـة لتوضيـح دلالات النصـر المسـتفادة مـن غزوة بـدر، ابـراز شـروط النصـر حتـى يتثنـى للمسـلمين اليـوم العمـل بهـا ، ،الوقـوف علـى بعـض الـدروس والعبـر المسـتخلصة مـن غـزوة بـدر، تبييـن أن العـدد والعتـاد والعـدة غيـر كافيـة لتحيـق النصـر إلا إذا ارتبطـت بالأيمـان، بيـان أن العمـل بالأخـذ بالأسـباب مـن إعـداد القـوة وجمـع المعلومـات ومـن ثـم التـوكل علـى الله هـي مـن شـروط النصر،اتبعـت الدراسـة المهـج الوصفـي التحليلـي، أهـم النتائـج، إن النصـر مـن الله لا علاقـة لـه بالعـدة والعتـاد ولا الكثـرة ولا القلـة، إذا أرادت الأمـة الانتصـار لابـد للعمـل بشـروط النصـر وفـق منهـج الله تعالـى الـذي وضعـه مـع الأخـذ بالأسـباب الماديـة، الاهتمـام بالمعلومـات وجمعهـا وتحليلهـا، أهميـة الشـورى فـي حياتنـا العلميـة كمنهـج يـدرس فـي مؤسسـات التعليـم وفـي حياتنـا العمليـة لتطبيقهـا فـي كل مناحـي الحيـاة.

Abstract:

Battle of Badr, despite the small space that took place where, and the small number of participants; ; But it is considered one of the greatest conquests, which God supported the believers and victory and breaking the thorn of their enemy was the Badr victory extended through the history of the Islamic nation as a whole: The study aimed at clarifying the signs of victory learned from the Battle of Badr, showing the conditions of victory so that the Muslims today work out, To stand on some lessons and lessons learned from the Battle of Badr, Indicating that the number and the gear and the kit are not enough to give victory unless they are associated with faith, A statement that working by taking the reasons of preparing the force and gathering information and

then trust in God is one of the conditions of victory, The study followed the descriptive analytical approach, The most important results, The victory from God has nothing to do kit gear and abundance and few, If the nation wants victory, it is necessary to work under the conditions of victory according to the approach of God Almighty, which he put with the introduction of the material reasons, interest in information collection and analysis, The importance of Shura in our scientific life as a curriculum taught in educational institutions and in our practical life to apply it in all aspects of life.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

تعتبر غزوة بدر الكبرى أهم حدث في الإسلام بعد الهجرة النبوية ،فهي نقلتهم من دائرة الضعف إلى القوة ومن الذل والانكسار إلى مراتب العزة والكرامة ولم يكن ذلك للفئة المؤمنة وقت ذاك بل للأمة الإسلامية قاطبة إلى يومنا هذا،وبتوفيق الله أتناول في هذه الورقة البحثية بعض الدلالات والعبر والدروس المستفادة من هذه الغزوة التي تعتبر مرجعية للمسلمين لما فيها من كنوز المعاني وذخائر الدلالات ومكنونات الدروس والعبر،مستصحباً في ذلك آراء أهل الاختصاص من كتاب السيرة وأهل التفسير والحديث والعلوم ذات الصلة بهذا البحث والله نسأله التوفيق والسداد.

أهداف البحث:

الوقوف على دلالات النصر في بدر للأخذ بها

ابراز الدروس والعبر من غزوة بدر وما صاحبها من إحداث

اعتبار غزوة بدر مرجعية للمسلمين في تعاملهم في مناسبات الانتصار والأخذ بأسبابه وشروطه.

أبرز أهمية الشورى للمسلمين على كافة الأصعدة

ربط ماضي المسلمين بحاضرهم.

هيكل البحث:

قسمت البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: الدروس والعبر المستافدة من خروج المسلمين والمشركين وما صاحبهما من أحداث، وتحته مطالب:

المطلب الأول: الدروس والعبر المستفادة من خروج المسلمين إلى بدر

المطلب الثاني: الدروس والعبر المستفادة من جمع المعلومات وبث العيون.

المطلب الثالث: الدلالات والدروس من نجاة العير وخروج المشركين:

المطلب الرابع: الدلالات والدروس المستفادة في استشارة النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه في بدر.

المبحث الثاني: دلالات النصر في بدر ومكانة البدريين ، وتحته مطالبان

المطلب الأول دلالات النصر في بدر:

المطلب الثاني: مكانة البدريين:

المطلب الثالث: الفرقان بين الحق والباطل.

المبحث الأول: الدروس والعبر المستافدة من خروج المسلمين والمشركين.

المطلب الأول: دلالات خروج للمسلمين إلى بدر

كان الهدف الرئيسي لخروج المسلمين إلى بدر هو اعتراض عير أبي سفيان، فخروج المسلمون لأخذ العير أمر عادي وطبيعي لأن أهل مكة والمسلمون في حالة حرب وحالة الحرب تجيز أخذ مال العدو وليس ذلك غدراً ولا اعتداء وحينما كانت الأموال أمانة عند النبي صلى الله عليه وسلم لأهل مكة بطرف النبي صلى الله عليه وسلم وكل علياً لرد الأمانات إلى أصحابها ثم هاجر، أما هذه فهي قافلة تجارية في حراسة أربعين رجلاً وهو ضرب من ضروب الحصار الاقتصادي الذي فرضه النبي صلى الله عليه وسلم على قوافل مكة إلى الشام ولم تكن العير إلا إغراء على الخروج العاجل حتى لا يتهيأ جيش وليكون اللقاء بين فئتين مختلفين

ليكون في ذلك آية[1].

ولذلك كان تبديل الهدف الذي أراده الله أن تكون الغنيمة أكبر من اعتراض عير وأخذ ممتلكاتها مع جواز أخذ تلك الممتلكات والتي يرى فيها المهاجرون أن جزءاً كبيراً من القافلة هي من ممتلكات المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم في مكة واستولى عليها كفار قريش وكان هذا الاعتراض محاولة للتعويض، ولكن الله أراد لهم هدفا أرفع من ذلك، ألا وهو نصر الدعوة والدعاة لتبدئ مرحلة فارقة بين الحق والباطل وبين الهداية والضلال والظلام والنور، تلك هي بدر الفرقان[2].

إن الخروج بهذا العدد والتسليح الذي لا يصل إلى درجة خوض حرب هو إرادة الله تعالى وأن إرادة الله للعصبة المسلمة هي أن تصبح أمة وأن تصبح دولة وأن يصبح لها قوة وسلطان وأن تعلم أن النصر ليس بالعدد وليس بالعدة وليس بالمال ولا الخيل إنما هو بمقدار اتصال القلوب بقوة الله تعالى، وأن يكون ذلك كله عن تجربة واقعية لا مجرد اعتقاد قلبي لتزويد الأمة المسلمة من هذه التجربة الواقعية للمستقبل ويكون لها زاد في كل زمان ومكان أن تغلب أعداءها مهما تكن من وضع فيه من قلة الإمكانيات والضعف ومهما يكن من قوة عدوها عدته وعتاده، ولينظر الناظر ليرى ما أرادته الفئة المسلمة في ذلك اليوم وما أراده الله لها ما حسبته خيراً وما قدره الله لها من الخير وهنا لابد أن تعلم أننا نحسب أننا قادرون على اختيار الخير لأنفسنا ومما يختاره الله لنا ونقيس ذلك لو أنهم اعترضوا قافلة أبو سفيان وغنموها فإن أحداثها تنتهي بانتهاء الغنيمة وتراوح القصة أن قوم أغاروا على قافلة، ولكن كيف كان الخير في بدر نصر وفرقان وقتل وقتال وأسرى وطغاة قتلوا وقرآن يتلى[3].

1 - بدر الكبرى عطية بن محمد سالم ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة الرابعة - العدد الثاني - 1391هـ / 1971م ص 32.

2 - فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة محّمد سَعيد رَمضان البوطي دار الفكر - دمشق الطبعة: الخامسة والعشرون - 1426 هـ ص 159.

3 - في ظلال القرآن سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي،دار الشروق - بيروت- القاهرة

المطلب الثاني:

الدلالات والدروس والعبر المستفادة من بث العيون وجمع المعلومات.

إن الحرب الحديثة في عالم اليوم تقوم أساساً على المعلومات والجيش الذي يدخل المعركة دون معرفة المعلومات عن عدوه يدخل المعركة أعمى ولذلك كانت بدر وقبلها من السرايا أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتبع أسلوب بث العيون للمراقبة وجمع المعلومات ويمكن أن نلخص جمع المعلومات التي قام بالنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر:

إرسال النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى الحواراء، على البحر الأحمر لترصد قافلة أبي سفيان1، كما أرسل يعيش بن عمرو الجهيني وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر يتحسسان له أخبار العير2.

كما قام النبي صلى الله عليه وسلم بالاستطلاع بنفسه ومعه أبوبكر الصديق وعندما لقيا شيخاً من العرب، ويسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن أخبار الجيشين، فاشترط الشيخ أن لا يخبرهما حتى يخبراه وهذه حسي أمني من رجل كهل في الصحراء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخبرتنا أخبرناك، فأخبرهما بإخبار الجيشين- وهذا يدلل على تدفق المعلومات في تلك الصحراء الجرداء رغم صعوبة الاتصال في ذلك الوقت، وعندما سألهما ممن أنتما؟ أجابه النبي صلى الله عليه وسلم بإجابة الصدق لكنها لا تكشف سر الحقيقة فقال له: من ماء3.

الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ -ج-3ص 1451 و1452.

1 - السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ،دار القلم - دمشقالطبعة: الثامنة - 1427 هـ ج2 ص 123.

2 - . - السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م ج1 ص 614

3 - نفس المصدر السابق ج1 ص615

وبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص إلى ماء بدر يلتمسون الخبر فأسروا غلامان لقريش فأتوا بهما ورسول الله ﷺ قائماً يصلي فسألهما فقالوا نحن سقاة قريش فكرهوا خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فقالا نحن لأبي سفيان فتركوهما. ولما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته قال: (إذا صدقكما ضربتموهما وإذا كذبكما تركتموهما والله أنهما لقريش وحاورهما النبي صلى الله عليه وسلم، كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا ما ندري؟ قال كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، قال من فيهم من أشراف مكة؟ فأخبراه1.

وهكذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم استخرج المعلومات من هذين الأسيرين فعرف عددهم من تحليله لعدد الذبائح وعرف قادة قريش وهكذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم بالمعلومات وجمعها.

وفي جمع المعلومات وكتم أسرار الجيش هل يجوز الكذب والخدعة؟ في شرح حديث (الحرب خدعة)2. والمراد أن الحرب لا يتأتى فيها الاعتماد على الأسباب فإنه قد تعدو النصرة في أول الأمر ثم تنقلب هزيمة وقد تنعكس وقيل معناه جواز الخداع أي التدبير الخفي والخداع عملاً فإنه يجوز في الحرب، أما الخداع اللساني والكذب والغدر فلا يجوز بأي حال لا في الحرب ولا في غيرها- قال ابن بطال: (سألت شيوخي عن معنى هذا الحديث فقال الكذب المباح في الحرب ما يكون في المعاريض لا التصريح بالتأمين مثلاً وقال النووي: الظاهر إباحة الكذب في الأمور الثلاثة منها الكذبة في الحرب لكن التعريض أولى3 وقد استدل بقوله ﷺ : (لا يصلح الكذب إلا في ثلاث في كذب الرجل لامرأته ليرضيها وإصلاح بين الناس وكذب في الحرب)4.

1 ، الاكتفاء بما تضمنته مغازي رسول الله e والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي – ط1 ، 1420هـ ،دار الكتب العلمية ، بيروت . - ج1 ص 3

2 صحيح البخاري (3029/64/4)باب الحرب خدعة.

3 - فيض الباري على صحيح البخاري(أمالي) محمد أنور شاه/ ت محمد بدر عالم- دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط1 1426هـ 2005م(231/4/ 3028).

4 - مسند أحمد ط الرسالة مرجع سابق(27608/582/45).

المطلب الثاث:

الدلالات والدروس المستفادة من نجاة العير وخروج المشركين:

إن خروج قريش إلى بدر هو استجابة لاستغاثة أبو سفيان لعير قريش وذلك عندما أرسل ضمضم الغفاري ،وقد وصف القرآن الكريم خروجهم بطراً ورياء، وصد عن سبيل الله. ومن دلالات خروج قريش إلى بدر هو احتشاد الباطل:

متمثلاً في الجاهلية وتفاخرها وعصبيتها وذلك في قول أبي جهل بعدما نجت العير : والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليها ثلاثاً فننحر الجذر ونطعم الطعام ونستقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع العرب بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا1.

استنفار ضمضم الغفاري وصياحه اللطيمة اللطيمة الغوث الغوث بعدما جدع أنف بعيره وشق قميصه ، وصرخ ذلك الصراخ لاستنفار قريش وذكر حكيم بن حزام: ما كان الذي جاءنا فاستنفرنا إلى العير إنسان إن هو إلا شيطان، وذكر عمير بن وهب وهو يقول: ما رأيت أعجب من أمر ضمضم قط وما صرخ على لسانه إلا شيطان2.

تبدي إبليس لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وقد ذكرت قريش بعد خروجها ما بينها وبين كنانة من ثأر فقال لهم إبليس وهو في صورة سراقة: إني جار لكم 3. واشتراك إبليس في تلك التعبئة وحث قريش على الخروج ،دائماً هي أجندة الباطل وهذا هو حلفه في كل زمان ومكان.

ولعل هذا هو الخروج الذي حذر الله منه المؤمنين أن لا يكونوا أمثال هؤلاء الذين خرجوا بطراً وفخراً وصداً عن سبيل، واعتزازاً بالنفس لا

1 - السيرة النبوية لابن هشام ط الصفا مرجع سابق ،ج2 ص 174.ص

2 - المغازي ،محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي ، تحقيق: مارسدن جونس ،دار الأعلمي - بيروتالطبعة: الثالثة - 1989/1409. ج2 ص 31.

3 - السيرة النبوية لابن هشام ط مكتبة الصفا- مرجع سابق ج2 ص 169.

بـالله ، لمحاربـة الله ورسـوله، فـكان أن عـادوا بالهزيمـة والخيبـة والانكسـار، فهـذه هـي عاقبـة البطـر والريـاء والصـد عـن سـبيل الله 1.

وإن كان أهـل مكـة قـد خرجـوا بطـراً أي كبريـاء، وتفاخـراً ليصـدوا عـن سـبيل الله فـإن الله سـبحانه وتعالـى حكـى عنهـم وحـذر المؤمنيـن أن يكونـوا مثلهـم فقـد حـذر الله أهـل مكـة أنفسـهم مـن بطـر النعمـة أي كفرهـا فقـال تعالـى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ القصـص 2. وتفسـير ذلـك: وكـم أهلكنـا مـن قريـة بطـرت معيشـتها أي وكـم مـن أهـل قريـة كانـت حالهـم كحالهـم فـي الأمـن وخفـض العيـش حتـى أشـروا فدمـر الله عليهـم وخـرب ديارهـم فتلـك مسـاكنهم خاويـة لـم تسـكن مـن بعدهـم3.

هـذا هـو حصـاد البطـر والتكبـر فـي الخـروج للحـرب، يجلـب الهزيمـة والـذل وفـي المعيشـة يجلـب الدمـار والخـراب.

ومـن الـدلالات المسـتفادة فـي تبـدي إبليـس لمشـركي مكـة فـي صـورة سـراقة وقولـه لـم ،عـدة دلالات ودروس منها:

إن الشـيطان دائمـاً مـع صـف الباطـل سـواء أكان ذلـك بتزييـن الأعمـال بالوسوسـة أو أن يتمثـل لهـم الشـيطان فـي صـورة آدمـي ولقـد تمثـل الشـيطان فـي صـورة آدمـي فـي كثيـر مـن المواقـف منهـا مـا كان يـوم بـدر تمثـل فـي صـورة سـراقة بـن مالـك4، وتمثـل إبليـس فـي هيئـة شـيخ جليـل إدعـى أنـه مـن أهـل نجد،فـي اجتمـاع قريـش فـي دار النـدوة ليلـة تآمرهـم للتخلـص مـن النبـي ﷺ ليلـة الهجـرة5، وصرخـة الشـيطان ليلـة بيعـة العقبـة الثانيـة فقـد صـرخ بأنفـذ

1 - في ظلال القرآن - سيد قطب- مرجع سابق ج3 ص 1525.

2 - سورة القصص، الآية 58.

3 - تفسـير البيضـاوي- أنهـار التنزيـل وأسـرار التأويـل- ناصـر الديـن أبـو سـعيد عبـد الله بـن عمـر بـن محمـد الشيرازي- ت- محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1 1418هـ ج4 ص 182.

4 - الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ،دار الكتـاب العربـي - بيروتالطبعـة: الثالثـة - 1407 هـ ج2 ص 228.

5 - سيرة ابن هشام ت السقا- مرجع سابق ج1 ص 480 وص 481.

صوت حتى ينفر أهل البيعة1. وقد صرخ الشيطان يوم أحد وقد تمثل في صورة الصحابي جعالة بن سراقة رضي الله عنه صائحاً أن محمداً قد قتل، قالها ثلاثة مرات2.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ الحَدِيثَ -، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ»3

وأن الشيطان يتمثل بأي شخص سواء أكان ذلك في رؤيا في المنام أم في اليقظة إلا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا يتمثل به وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة: (من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي)4.

المطلب الرابع:

الدلالات والدروس المستفادة في استشارة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في بدر:

لما علم رسول الله ﷺ بخروج قريش لإنقاذ عير أبي سفيان استشار صحابته وذلك في أربعة مواقف الأول :تجديد بيعة الأنصار وكان ذلك جليا بعدما تكلم المهاجرون كأبي بكر وعمر والمقداد بن عمرو وأحسنوا، والرسول ﷺ يقول: أشيروا علي أيها الناس، فأجابه سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللَّهِ

1 - نفس المرجع السابق ج1 ص 447.

2 - سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد محمد بن يوسف الصالحي الشامي ،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوضدار الكتب العلمية بيروت - لبنانالطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م ج4 ص 196.

3 صحيح البخاري(3275/123/4)باب صفة ابليس وجنوده

4 -.الجامع الكبير - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى: المحقق: بشار عواد معروف: دار الغرب الإسلامي – بيروت 1998 م(2276/105/4)بابما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم

لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ أَجَلْ، قَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنحْن مَعَك، فو الّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَّطَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وابشروا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاَللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ.1

الأمر الثاني: حينما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي الحُباب بن المنذر في اختيار المكان الذي يعسكر به المسلمون.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحُدِّثْتُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: أَنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟

قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ.2

الثالث: قبوله ﷺ اقتراح سعد بن معاذ ببناء عريش يكون بمثابة مقر للقيادة، فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ حُدِّثَ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا نَبْنِي لَك عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، وَنُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى،

1 السيرة النبوية لأبن هشام ،مرجع سابق ج1 ص615
2 المرجع السابق ج1 ص620

جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ، فَكَانَ فِيهِ.1

الأمر الرابع: استشارته صلى الله عليه وسلم أصحابه في شأن الأسرى: فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس. فقال: ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ أن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس. فقال أبو بكر: يا رسول الله أهلك وقومك، قد أعطاك الله الظّفر ونصرك عليهم، هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان استبقهم، وإني أرى أن تأخذ الفداء منهم، فيكون ما أخذنا منهم قوّة لنا على الكفّار، وعسى الله أن يهديهم بك، فيكونوا لك عضدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تقول يا بن الخطاب؟» .قال: يا رسول الله قد كذّبوك وأخرجوك وقاتلوك، ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكّنني من فلان- قريب لعمر- فأضرب عنقه وتمكّن عليّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان- أخيه- حتى يضرب عنقه، حتى ليعلم الله تعالى إنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين، هؤلاء صناديد قريش وأئمتهم وقادتهم فاضرب أعناقهم، ما أرى أن يكون لك أسرى، فإنما نحن راعون مؤلّفون. وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله أنظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا.

فقال العبّاس وهو يسمع ما يقول: قطعت رحمك. قال أبو أيوب: فقلنا- يعني الأنصار- إنما يحمل عمر على ما قال حسد لنا. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت، فقال أناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال أناس: يأخذ بقول عمر، وقال أناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، ثم خرج فقال: «إن الله تعالى ليليّن قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللّبن، وأن

1 السيرة النبوية لأبن هشام مرجع سابق ج1 ص620و621

الله تعالى ليشدّ قلوب أقوام فيه حتى تكون أشدّ من الحجارة، مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة، ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم قال: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾1 ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم إذ قال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [2] ، ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله تعالى، ومثلك في الأنبياء مثل نوح إذ قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ 3 ومثلك في الأنبياء مثل موسى، إذ قال: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ 4 لو اتّفقتما ما خالفتكما، أنتم عالة فلا يفلتن منكم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق»، فقال عبد الله بن مسعود: يا رسول الله إلّا سهيل ابن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله: فما رأيتني في يوم أخاف أن تقع عليّ الحجارة من السماء منّي في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلّا سهيل ابن بيضاء» فلما كان من الغد غدا عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما يبكيان، فقال: يا رسول الله ما يبكيكما؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإلّا تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كاد ليمسّنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، ولو نزل العذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب، لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة»5

التزامه صلى الله عليه وسلم بمبدأ التشاور مع أصحابه في كل أمر

1 سورة[إبراهيم 36
2 المائدة118
3 نوح 26
4 يونس 88
5 سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ج4ص61

لا نص فيه من كلام الله تعالى مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية، ولذلك أجمع المسلمون على أن الشورى في كل ما لم يثبت فيه نص ملزم من كتاب أو سنة، أساس تشريعي دائم لا يجوز إهمالـه1.

والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، وقيل: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها2، وفي قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ 3، يدل على جواز الاجتهاد في الأمور والأخذ بالظنون مع إمكان الوحي4، والشورى مبنية على اختلاف الآراء والمستشير ينظر في ذلك الخلاف وينظر أقربها قولاً إلى الكتاب والسنة إن أمكنه فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه إذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب5.ومن هذا أن الشورى مشروعة ولكنها ليست بملزمة أي أن على الحاكم المسلم أن يستنير بها في بحثه ورأيه ولكن ليس عليه أن يأخذ بآراء الأكثرية مثلاً لو خالفوه في رأيه6.

وقد قال الفقهاء منهم المالكية والأحناف وابن عطية والرازي وبعض المعاصرين بوجوب الشورى وفرضيتها وذلك للنصوص الشرعية الواردة في هذا الأمر، وعلى ولي الأمر العمل بالشورى وما يصدر عنها من نتائج ورؤى، ويأثم إذا أعرض عنها وترك العمل بها والأدلة على ذلك

1 - فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة للبوطي- مرجع سابق، ص 951.
2 - الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 4831هـ - 4691 م ج4 ص942 وص 052.
3 - سورة آل عمران، الآية 159.
4 - الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- مرجع سابق ج4 ص 052.
5 - نفس المصدر السابق ج4 ص 252.
6 - فقه السيرة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة-للبوطي- مرجع سابق ص 061.

قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾1 ولأن الأصوليون يقولون أن صيغة الأمر تشير إلى الوجوب ما لم تصرفه قرينة ولا قرينة صارفة عن الوجوب، وظاهر الأمر يدل على الوجوب، وإنما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة ليقتدي به المؤمنون، فلا غنى لولي الأمر على المشاورة2.

ومما لا شك أن المجتمع الإسلامي في حاجة ماسة للشورى لأنها منهج إسلامي أصيل لآبد من تعليم الشورى واتخاذها منهجاً تعليمياً وذلك للقضاء على العصبية السياسية والتسلط السياسي الذي يقضي على أخلاقيات المجتمع ويذلهم، فلابد من تربية النشء تربية على الشورى الإسلامية وذلك من خلال تكامل الأدوار في هذه التربية ما بين الأسرة والمسجد والمدرسة في غرس مفاهيم الشورى التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ومن هنا تكون ركائز المجتمع المسلم والأمة المسلمة المبنية على التقوى والإيمان وتكون بذلك الشورى في كل مستوياتها متجذرة في نفوس المسلمين، نستطيع بذلك أن نختار رئيس الدولة أو الحاكم دون تكريس العصبية والتسلط بشتى الصور، وتعود بذلك الأمة الإسلامية أمة متماسكة، فالشورى تكبح حب الذات والأنانية، والشخص الذي لا يتصف بالشورى ناقص الإسلام وفي أخلاقه فجوة لا تظهر إلا إذا صار أميراً أو مسئولاً فنراه يفرض عليهم أنانيته وحبه لنفسه3.

من الدلالات الاهتمام بتعليم الكتابة والقراءة : ان هنالك من أسرى بدر من لا يملك فداء ، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن من الأسارى عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة

1 سورة آل عمران الآية 159

2 - الشورى فريضة إسلامية- علي محمد محمد الصلابي- دار ابن كثير سوريا- (بدون ت – ط) ص 139.

3 - الشورى في الشريعة الإسلامية- القاضي حسين محمد المهدي- تقديم د. عبد العزيز المفالح- سجل هذا بوزارة الثقافة بدار الكتاب برقم إيداع 363 في 6002/7/4م مكتبة المحامي أحمد بن محمد المهدي ص 252و 352.

يعلمهم فإذا حذقوا فهو فداء1، ولقد استفاد المسلمون من الأسرى المتعلمون ايما استفادة لتعليم أطفالهم فكان هؤلاء الأطفال النواة الأولى لكتاب الوحي وحملة الثقافة الإسلامية فيما بعد2. وكان زيد بن ثابت ممن تعلم بهذا الطريق وفي تقدير العلم وتصحيح للمعرفة والكتابة3.

المبحث الثاني : دلالات النصر في بدرومكانة البدريين

المطلب الأول : دلالات النصر في بدر

إن الدلالات والدروس والعبر والعظات في غزوة بدر لا تحصرها الأقلام ولا تحيط بها الكتب ولكن نورد في هذا المبحث أهم بعض ما وقفنا عليه في هذه الغزوة من أحداث نستخلص منه الدلالات والدروس والعبر.

إذا أردنا أن نتحدث عن الدلالات في غزوة بدر فإننا نبدأ بالحديث عن النصر الذي تحقق في هذه الغزوة ؛ ولأنه هو مفتاح نجاح الدعوة وانطلاقها ولأن بدر كانت أول لقاء مواجهة بين الكفر والإيمان والحق والباطل فمن دلالات النصر في بدر الآتي:

أولاً: حقيقة النصر من الله تعالى ويؤكد هذه المعنى قوله ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ 4، ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ 5. والله تعالى في هاتين الآيتين يؤكد على أن النصر لا يكون إلا من عند الله عز وجل، ويستفاد من هاتين الآيتين اعتماد المؤمنين على الله وحده وتفويض أمرهم إليه مع التأكيد على أن النصر إنما هو من عند الله وحده مع أخذهم الأسباب بدون أن يعتمدوا عليها أو

1 -الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري -، دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى ص 902.
2 - شيث خطاب- الرسول القائد- مرجع سابق ص 621.
3 - السيرة النبوية - أبو الحسن الندوي- - دار ابن كثير- دمشق ط21 5241هـ ص 413.
4 - سورة آل عمران، الآية 126.
5 - سورة الأنفال، الآية 10.

يغتروا بها، وأن النصر الذي تحقق في بدر وقتلهم للمشركين ورمي النبي صلى الله عليه وسلم المشركين بالتراب ببدر إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله وبفضله ومعونته، وفي هذه الآية الكريم يعلم الله المؤمنين ويربيهم بالاعتماد عليه فيقول: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ 1.

ولأن النصر نعمة عظيمة أمر الله تعالى المؤمنين ألا ينسوا هذه النعمة ويتذكروا حالهم حينما كانوا قبل النصر يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ 2.

ومع أن النصر حقيقة هو من عند الله لكنه له شروط وعوامل نجدها في هذه الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الأنفال: 3.

يقول سيد قطب رحمه الله هذه هي عوامل النصر الحقيقية الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بذكر الله، والطاعة لله وللرسول، وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، والحذر من البطر والرئاء والبغي4.

ومن عوامل النصر كما أوردها محمد عبد المقصود جاب الله

أولا: النصر والثبات: **في قانون النصر لأنه بدء الطريق إليه، فأثبت** الفريقين ،وما يدري المؤمنين أن عدوهم يعاني أشد ما يعانون وأنهم لو ثبتوا لحظات فسوف ينهار عددهم وينخذل، وما الذي يزلزل أقدام المؤمنين وهو واثقون من إحدى الحسنين: الشهادة أو النصر، والثبات محله القلب ولا يأتي إلا بقوة العقيدة ورساخة الإيمان5.

1 - الأنفال ، الآية 17.
2 - سورة الأنفال، الآية 26.
3 - سورة الأنفال الآية 45
4 - سيد قطب ، في ظلال القرآن - مرجع سابق ج3-ص 51.
5 -- محمد عبد المقصود جاب الله ، قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى - الناشر/ مجلة الجامعة الإسلامية المدينة المنورة- عدد رقم 35 ص 381-581.

ثانياً: الإكثار من ذكر الله في ميدان القتال لأنه الاتصال بالقوة الكبرى والاستعانة بالله والثقة به واستحضار حقيقة المعركة لإعلاء كلمة الله وأيضاً فيه من الدلالة على الديمومة على ذكر الله في كل الأحوال وأحوج ما يكون المؤمن إلى ذكر في مقابلة العدو لأن العدو يقاتل ليصد عن سبيل الله والمؤمن يقاتل في سبيل الله.

ثالثاً: طاعة الله ورسوله: وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القائد العام، فيدخل المؤمنون المعركة، وقد أدوا فرائضهم وقاموا بواجباتهم، وأسلموا أمرهم لله ورسوله ثقة منهم بحكمة تدبيره وبصدق رسوله، ويتم النظام الذي لابد لكل جيش بتوحيد القوى وسرعة التحرك ودقة التنفيذ للخطط.

رابعاً: اتقاء النزاع: لأن التنازع يؤدي إلى الفشل وذهاب الريح.

خامساً: الصبر عند لقاء العدو: لأن الحرب ضروراتها كإعلان حالة الطوارئ في حالة نشوب حرب مما يقيد بعض الحريات والمقاطعة الاقتصادية وحالة التقشف التي تسود في البلد الذي فيه الحرب ونقص الأسلحة وتفوق العدو وهي ضرورات لابد من يريد النصر أن يصبر عليها .

سادساً: اتقاء البطر والرياء: قد يحسن المؤمنون الاستعداد للحرب فيشعرون بأنهم أهل للنصر بقوتهم فيحملهم هذا على الاستعلاء والفخر ويستخدمون نعمة القوة التي أعطاها الله في غير ما أرادها الله حرصاً على ثناء الناس وإعجابهم فيفوتهم في هذا الحال النصر ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾.[1]

1 سورة الأنفال الآية 47

حينما كان يوم حنين حين أعجب المسلمون بكثرة عددهم التي بلغت اثنا عشرة ألف مقاتل قالوا لا نغلب اليوم عن قلة .1 كان نتيجة هذا البطر أن سلط الله عليهم العدو في أول المعركة فلحق بهم الهزيمة فتشتتوا، وينوه القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾2.

سابعاً: التوكل على الله: التوكل على الله هو روح المواد ا وقوامها إذ لابد منه باعثاً على كل منها ونتيجة لكل منها على أنه يعني الاستعداد التام قبل المعركة والاطمئنان التام للنصر من بعد ولن يحرم النصر جيش أحسن الاستعداد للحرب وامتلأ ثقة بالله. فكيف إذا جمع إلى هذه المادة سائر المواد في عوامل النصر.3

إن من وراء النصر حكمة فإن التهاون في أي أمر يسلب منكم النصر لأن الله لا يغير سنته مع خلقه ولقد رأينا ما حدث في غزوة أحد حين تخاذلوا ولم ينفذوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فلم ينتصروا لأن الحكمة اقتضت ألا ينتصروا ولو نصرهم الله لاستهانوا بعد ذلك بأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولقال بعضهم: خالفناه وانتصرنا، ولذلك نجد أن طاعة الله والرسول والأخذ بالأسباب أمر مهم4.

ومن أسباب النصر المادية التي حصلت في غزوة بدر وفي كل معركة كما يراها محمد شيتِت خطاب في كتابه الرسول القائد:

القيادة: العمل بدأ واحدة تحت قيادة توجههم في الوقت الحاسم للقيام بعمل حاسم وهذا هو واجب القائد الكفء وهذا ما كان من المسلمين يوم بدر وأحد أسباب النصر بتنفيذ أوامر القائد المتمثل في النبي صلى الله

1 السيرة النبوية لابن هشام مرجع سابق ج2 ص444

2 - سورة التوبة الآية 25

3 - محمد عبد المقصود جاب الله ، قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى – مرجع سابق- عدد رقم 35 ص 381-581.

4 - تفسير الشعراوي- مرجع سابق ج8 ص 1954.

عليه وسلم بكل حرص وأمانة وإخلاص وبشوق وبطيبة خاطر . وهنا نذكر لابد أيضاً أن يتحلى القائد بالصبر في الشدائد وكان ذلك من رسولنا صلى الله عليه وسلم في بدر يوم أن رأى قلة أصحابه وكثرة عدد عدوه فقابل ذلك بالصبر والتوكل على الله واستجمع جنوده على الصبر في القتال.

وعلى القائد أن يكون شجاعاً حتى يغتدي به جنوده وأتباعه ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كان يتصف بالشجاعة وهذه هي شهادة أحد شجعان المسلمين والذين يضرب المثل بهم في الشجاعة سيدنا علي بن أبي طالب يقول: («كنا إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»)1.

مساواة القائد نفسه مع جنوده: وهنا نرى كيف ساوى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه مع لصحابة في بدر حتى في اعتقاب الإبل والمشي على الأقدام وهذا يغرس في نفوس الجند المحبة والقرب من القائد2، وهذا ما ما نفتقده اليوم فنجد القائد له مخصصات في أكله ومركبه وحوافزه مما يجعل هنالك شعور بالغبن لدى الجنود من الرتب الصغرى حينها يكون هنالك عدم رضا مما يؤدي إلى بذر التصدع والانشقاق وهذا يؤدي إلى الفشل.

ومن مزايا القائد مشاورة جنوده فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم تبديل معسكره في بدر حين نزل بأدنى ماء منها فانتقل المسلمون حيث أشار الخباب بن المنذر3،.

لابد للقائد من مقر قيادة يسيطر منه على المعركة، فبنى النبي صلى الله عليه وسلم عريش فوق رابية مشرفة على ساحة المعركة وكان لمقر

1 - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ، 8141 هـ ج5 ص081

2 - الرسول القائد: محمود شيث- مرجع سابق ص 311 و411 و511.

3 السيرة النبوية لابن هشام: مرجع سابق ،ج1 ص026

هذه القيادة جرت بأمره آمر مسئول.

هذه هي القيادة المثالية للقائد في كل زمان ومكان وهذه المزايا هي التي جعلت المسلمين يقاتلون كرجل واحد لغاية واحدة بقيادة قائد واحد، وهذا عامل مهم من عوامل النصر في كل حرب1.

أما المشركون فلم يكن لهم قائد عام كان أكثر سراة قريش مع قوات المشركين ولكن البارزين منهم رجلان هما عتبة بن ربيعة وأبو جهل ولم يكونا على رأي واحد ولم يكن لهما هدف واحد ،فلذلك طغت الأثرة الفردية على المصلحة العامة أثناء القتال وحاول كل رجل من رجالات قريش أن يظهر نفسه بطلاً لتتحدث عنه العرب دون الاكتراث لنتائج المعركة2.

ومن أسباب النصر المادية:

المعنويات العالية: شجع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل القتال وأثناءه وقوي معنوياتهم حتى لا يكترثوا بتفوق قريش عليهم وانعكس ذلك على معنويات الأحداث، وقد أثبتت كافة الحروب على مدار التاريخ أن التسليح والتنظيم الجيدين والقوة العددية غير كافية لنيل النصر ما لم يتحل المقاتلون بالمعنويات العالية3.

أن المعنويات أصبحت لها في الجيوش الحديثة فرع بهتم بالجانب المعنوي وفق العقيدة القتالية لذلك الجيش.

شروط النصر:

إن الله حينما نصر المؤمنين ببدر كان هذا النصر بعد ان ساق المؤمنين وأخرجهم لإعتراض عير أبي سفيان، وأخرج المشركين لإنقاذ العير، فصرف العير عن المؤمنين والتقى المؤمنون والمشركون على غير ميعاد في بدر وهنا سؤال لابد من الإجابة عليه ألا يمكن أن ينصر الله المؤمنين

1 - الرسول القائد: محمود شيث- مرجع سابق ص 311 و411 و511.
2 - نفس المرجع السابق ص 511.
3 - دراسة في السيرة- عماد الدين خليل- دار النفائس – بيروت- ط2 5241هـ ص 351 و451.

بدون قتال؟ ولماذا القتال وما هي شروط النصر؟ وهل النصر يأتي بعد الدعاء مباشرة، كما حدث في بدر أم أنه قد يبطئ وما هي أسباب أبطاء النصر وبالإجابة على الأسئلة يقول سيد قطب في تفسيره الظلال1. في ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ 2

فهو يتحدث عما إذاً كان الله قد أذن بالمدافعة عن المؤمنين بالقتال؟ وكتب عليهم الجهاد؟ ولماذا يقاتلون فيصيبهم القتل والجرح والمشقة والعاقبة معروفة، والله قادر على تحقيق العاقبة لهم بلا جهد ولا مشقة ولا تضحية ولا قتال؟.

يقول سيد قطب (بتصرف) مجيباً على هذه الأسئلة3 (إن الله تعالى بعلمه وكلمته أنه لم يرد أن يكون حملة دعوته وحماتها من الكسالى الذين يجلسون في استرخاء، ثم يتنزل عليهم نصره سهلاً بلا عناء لمجرد أنهم يقيمون الصلاة ويرتلون القرآن ويتوجهون إلى الله بالدعاء، كلما مسهم الأذى ووقع عليهم الاعتداء، نعم أنهم يجب عليهم أن يقيموا الصلاة وأن يرتلوا القرآن ويتوجهوا إلى الله بالدعاء في السراء والضراء وإنما هذه الأعمال هي زاد وذخيرة للمعركة، وعلى المؤمن أن يستنهض كل خلاياه الإيمانية والعقلية والبدنية في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، والنصر السريع الذي لا يكلف عناء والذي يتنزل على القاعدين والمستريحين يعطل تلك الطاقات لأنه لا يحفزها، وأن النصر السريع الهين الليين سهل الفقدان والضياع، لأنه رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات ولأن الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به، وهناك التربية والوجدانية والتربية العملية التي تنشأ من النصر والهزيمة والكر والفر والقوة والضعف والتقدم والتقهقر. والشعور

1 - في ظلال القرآن- سيد قطب- مرجع سابق-ج4 ص 5242 و 6242.
2 سورة الحج الآية 38
3 - مستدرك أبي عوانة- يعقوب بن اسحق النيسابوري ت أيمن عارف- دار المعرفة- بيروت ط1- 9141هـ - 8991م(4/ 912/ 9756).

بالضعف وبالقوة والفناء في العقيدة والجماعة والتنسيق بين الاتجاهات في ثنايا المعركة وقبلها وبعدها من أجل هذا كله ومن غيره مما يعلمه الله جعل الله دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم1.

والنصر قد يبطئ وهذا الإبطاء لحكمة يعلمها الله، أو لأن بنية الأمة لم تنضج بعد تمامها ولم تحتشد بعد طاقاتها فلو نالت النصر حينئذ لفقدته لعدم قدرتها على حمايته طويلاً، وقد يبطئ النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة وآخر ما تملكه من رصيد تستبقي غالياً أو عزيزاً إلا بذلته في سبيل الله. وقد يبطئ النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها وتدرك أن هذه القوى وحدها بدون الله لا تكل النصر إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر إلى الله، وقد يبطئ النصر لتزيد الأمة صلتها بالله تعالى وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصروقد يبطئ النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد في جهادها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته. أي حتى تصل درجة القتال لإعلاء كلمة الله2.

الفرح بالنصر:

ومن الدلالات النصر في بدر الفرح بالنصر والتعبير عن الفرح هو الفرح بكل المشاعر دون بطر وكبرياء وإنما تحدثاً بنعمة الله و يمكن للمسلمين أن يعبروا عن فرحهم بالنصر، فقد فرح المسلمون بالنصر في مناسبات عديدة، ولقد ذكر الله ذلك في كتابه في أوائل سورة الروم يقول تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ 3.

عن فرح المؤمنين بنصر الله في سورة الروم وذكر فيه كان فارساً

1 - في ظلال القرآن- سيد قطب- مرجع سابق ج4- ص 5242 و6242.
2 - في ظلال القرآن- سيد قطب مرجع سابق ج4 ص 6242 و 7242.
3 - سورة الروم، الآيات من (1-5).

ظاهراً على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم فلما نزلت ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ قالوا أي المشركين - إن صاحبك يقول إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين قال: صدق ، قالوا: هل لك أن نقامرك (وذلك قبل تحريم القمار) فبايعوه على أربعة قلائص إلى سبع سنين، فمضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما بضع سنين عندكم؟ قالوا: دون العشرة قال: اذهب فزايدهم وازدد سنين من الآجل، قال فلما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك1 .

وجعل يوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله عز وجل من غلبتهم بفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وقيل أنه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون2، ومن دلائل الفرح بالنصر في بدر ودلالة الفرح به حين أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعد نهاية المعركة وجمع الغنائم واسر الأسارى أرسل عبد الله بن وراحة إلى العالية يبشرهم بالنصر على المشركين فبشرهم داراً داراً والعيان ينشدون معه ويقولون: قتل أبو جهل الفاسق، وأرسل زيد بن حارثة لأهل السافلة وجاء إلى المصلى وصاح بأعلى صوته يبشرهم بالنصر وهو على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم القصواء وهو يقول قتل عتبة قتل شيبة قتل أبو جهل3).

وهذا يدل على جواز الفرح والتبشير به بهذا الإعلان ضرب من ضروب التعبير عن الفرح.

1 - تفسير ابن كثير- مرجع سابق ج6 ص 892.
2 - تفسير الزمخشري(الكشاف) مرجع سابق- ج3 ص 764.
3 - مغازي الواقدي- مرجع سابق ج1 ص 411 و511.

المطلب الثاني:مكانة البدريين:

من الدلالات المستفادة فضل من شهد بدراً من المسلمين: عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَالَ: مَلَكٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ: « كَيْفَ أَهْلُ بَدْرٍ فِيكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « هُمْ عِنْدَنَا أَفْضَلُ النَّاسِ «، فَقَالَ الْمَلَكُ: « كَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ عِنْدَنَا بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ «1 قَالَ قَائِلٌ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَجِبُ بِهِ الْفَضْلُ لِأَهْلِ بَدْرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا، وَقَدْ رَوَيْتَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ كِتَابِكَ هَذَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: « خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ «، وَمِنْ ذَلِكَ الْقَرْنِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا، فَفِي هَذَا مَا يَجِبُ أَنَّهُمْ جَمِيعًا قَدْ دَخَلُوا فِيمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، مَنْ شَهِدَ مِنْهُمْ بَدْرًا، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ، وَفِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ: فَضْلُ أَهْلِ بَدْرٍ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الَّذِينَ هُمْ مِنْهُمْ، وَهَذَا تَضَادٌّ شَدِيدٌ فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ وَعَوْنِهِ: أَنْ لَا تَضَادَ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ الْقَرْنَ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الْقُرُونِ جَمِيعًا، وَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مُتَفَاضِلُونَ بِأَسْبَابٍ يَتَبَيَّنُ بِهَا الْفَاضِلُونَ عَلَى الْمَفْضُولِينَ مِنْهُمْ، كَمَا الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ النَّاسِ، وَهُمْ مُتَفَاضِلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي يَفْضُلُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ} [الإسراء: 55] فَمِثْلُ ذَلِكَ الْقَرْنِ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَفْضَلُ الْقُرُونِ، فَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُتَفَاضِلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِمَعَانِيهِمُ الَّتِي يُبَيِّنُ بِهَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَفْضُلُ بِهَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَمِثْلُ ذَلِكَ أَهْلُ بَدْرٍ يَتَبَيَّنُونَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الَّذِينَ هُمْ مِنْهُمْ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِمْ، وَيَتَبَيَّنُونَ هُمْ وَسَائِرُ أَهْلِ ذَلِكَ الْقَرْنِ الَّذِينَ هُمْ مِنْهُمْ عَنْ سَائِرِ الْقُرُونِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ، فَيَعُودُ أَهْلُ بَدْرٍ أَفْضَلَ أَهْلِ الْفَضْلِ الَّذِينَ هُمُ الْقَرْنُ الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ بِمَعَانِيهِمُ الَّتِي فِيهِمْ بِمَا لَيْسَ

1 صحيح ابن حبان،محققا (4227/702/61) ذكر البيان بان اهل بدر هم افضل الصحابة

[ص:284] فِي سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الَّذِينَ هُمْ مِنْهُمْ فَقَدْ بَانَ بِحَمْدِ اللهِ، وَنِعْمَتِهِ أَنْ لَا تَضَادَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْآثَارِ، وَأَنَّ لِكُلِّ وَجْهٍ مِنْهَا مَعْنًى سِوَى مَعْنَى الْوَجْهِ الْآخَرِ مِنْهَا، وَاللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ1

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اطلع الله تعالى على أهل بدر فقال:

(اعملوا ما شئتم فقد غفرت لم)2.

عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مَوْلُودًا وُلِدَ فِي فُقْهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ أَهْلِ الدِّينِ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ كُلِّهَا، وَيَجْتَنِبُ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا إِلَى أَنْ يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، أَوْ يُرَدَّ إِلَى أَنْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا، لَمْ يَبْلُغْ أَحَدُكُمْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ» وَقَالَ: «إِنَّ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا لَفَضْلًا عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ») 3.

وأن فضل أهل بدر قد غفرت للصحابي الجليل حاطب ابن أبي بلتعة حينما أرسل إلى قريش يخبرهم بخروجه صلى الله عليه وسلم إليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا حاطب ما هذا؟) قال يا رسول الله لا تعجل على أني كنت أمراً ملصقاً في قريش يقول: كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم افعله ارتدادا عن ديني ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما إنه فقد صدقكم) فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: « إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»4.

---

1 شرح مشكل الآثار أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - 5141 هـ، 4941 م (7625/282/31)باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

2 - مسند أحمد نخرجا(0497/223/21).

3 - المعجم الكبير للطبراني(5344/482/4).

4 - صحيح البخاري(4734/541/5).

المطلب الثالث:

بدر والفرقان بين الحق والباطل:

﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [1]

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية في مناسبة غزوة بدر:(لقد كانت غزوة بدر- التي بدأت وانتهت بتدبير الله وتوجيهه وقيادته ومدده- فرقاناً.. فرقاناً بين الحق والباطل - كما يقول المفسرون إجمالاً - وفرقاناً بمعنى أشمل وأوسع وأدق وأعمق كثيرا..،كانت فرقاناً بين الحق والباطل فعلاً.. ولكنه الحق الأصيل الذي قامت عليه السماوات والأرض، وقامت عليه فطرة الأشياء والأحياء.. الحق الذي يتمثل في تفرد الله- سبحانه- بالألوهية والسلطان والتدبير والتقدير وفي عبودية الكون كله: سمائه وأرضه، أشيائه وأحيائه، لهذه الألوهية المتفردة ولهذا السلطان المتوحد، ولهذا التدبير وهذا التقدير بلا معقب ولا شريك.. والباطل الزائف الطارئ الذي كان يعم وجه الأرض إذ ذاك ويغشي على ذلك الحق الأصيل ويقيم في الأرض طواغيت تتصرف في حياة عباد الله بما تشاء، وأهواء تصرف أمر الحياة والأحياء، فهذا هو الفرقان المبين الذي تم يوم بدر حيث فرق بين ذلك الحق الثابت والراكز وهذا الباطل الطاغي المتلجلج وزيل بينهما فلم يعودا يلتبسان، لقد كانت بدر فرقاناً بين الحق والباطل بهذا المدلول الشامل الواسع الدقيق العميق، على أبعاد وآماد: كانت فرقاناً بين هذا الحق وهذا الباطل في أعماق الضمير.. فرقاناً بين الوحدانية المجردة المطلقة بكل شعبها في الضمير والشعور، وفي الخلق والسلوك، وفي العبادة والعبودية وبين الشرك في كل صوره التي تشمل العبودية لغير الله من الأشخاص والأهواء والقيم والأوضاع والتقاليد والعادات..، وبين الرجوع في هذا كله

1 صورة الأنفال الآية 41

لله الواحد الذي لا إله غيره، ولا متسلط سواه، ولا حاكم من دونه، ولا مشرع إلا إياه.. فارتفعت الهامات لا تنحني لغير الله وتساوت الرؤوس لا تخضع إلا لحاكميته وشرعه وتحررت القطعان البشرية التي كانت مستعبدة للطغاة..)1

وكانت بدر فرقاناً وخطاً فاصلاً بين الحق والباطل فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاصلة التامة بين الإسلام والكفر وفي بدر تجسدت هذه المعاني فعاشها الصحابة واقعاً مادياً وحقيقة نفسية وفيها تهاوت القيم الجاهلية فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه، فكان حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبة في صف المشركين وقد قتلوا جميعاً في المبارزة الأولى، وكان أخو مصعب بن عمير (ابوعزيز بن عمير) في صف المشركين، أما الذين خرجوا مع أهل مكة من المسلمين الذين يكتمون إسلامهم أمثال عبد الله بن سهيل والحارثة بن زمعة وأبو قيس بن الوليد وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه فهؤلاء قاتلوا في صف المشركين وتحت رايتهم إلا عبد الله بن سهل الذي انحاز لجيش المسلمين أما الآخرون الذين لم ينحازوا فقتلوا في بدر فأنزل الله في حقهم هذه الآية بعدما قال المسلمون أكان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا على الخروج فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾2.

وللإيمان مستلزمات تعبر عن صدقه وقوته ومن مستلزماته استعلاؤه على كل القيم مما سواه فإذا كان كذلك كان لأصحابه الأثر الفعال والقوة الفاعلة في بناء الحق والخير، إن الإيمان يصبغ السلوك فإذا به يشع من خلال الحركة والجهد ومن خلال الكلمة والابتسامة ومن خلال الصمت

1 في ظلال القرآن لسيد قطب مرجع سلبق ج3 ص 1251و2251
2 النساء: 97 - سورة النساء، الآية 97.

والانفعال، ولذا لم يعذر الذين كانوا في صف المشركين لأن الإيمان الذي ادعوه لم توجد له مستلزمات1.

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقنا في ان نفق على بعض المعاني والدروس والعبر والتي نرجو ان نكون قد وفقنا توضيحها وابرازها من خلال هذا البحث والذي قد توصلت فيه الدراسة إلى نتائج وتوصيات اهمها:

النتائج:

أهم النتائج، ان النصر من الله لا علاقة له بالعدة والعتاد ولا الكثرة ولا القلة،

إذا أرادت الأمة الانتصار لابد للعمل بشروط النصر وفق منهج الله تعالى مع الأخذ بالأسباب المادية،

الاهتمام بالمعلومات وجمعها وتحليلها

أهمية الشورى في حياتنا العلمية كمنهج يدرس في مؤسسات التعليم وفي حياتنا العملية لتطبيقها

توصي الدراسة بأهمية دراسة السيرة النبوية للصغار بمنهج مشوق ومحبب ،وللكبار باقامة مراكز بحث متخصصة في السيرة ونشر هذا العلم على كافة المستويات الأكاديمية والاجتماعية، لأنها هي الدين العملي والذي يجب العمل به.

المراجع والمصادر:

/القرآن الكريم

/كتب التفسير

1 - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ، 1418 هـ

2 - تفسير ابن كثير- مرجع سابق ج6 ص 298.

3 - تفسير الزمخشري(الكشاف) مرجع سابق- ج3 ص 467.

١- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- الصلابي-مرجع سابق ص 444 و445 و446.

4 - تفسير الشعراوي – الخواطر محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م
- تفسير البيضاوي- أنهار التنزيل وأسرار التأويل- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي- ت- محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط1 1418هـ ج4 ص 182.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) دار الكتاب العربي - بيروتالطبعة: الثالثة
- في ظلال القرآن سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ) دار الشروق - بيروت- القاهرة
الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ -
كتب الحديث وشروحه:
- مسند أحمد نخرجاً
- المعجم الكبير للطبراني
- صحيح البخاري
شرح مشكل الآثار أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 1494 م
(5267/282/13)باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
- مغازي الواقدي- مرجع سابق ج1 ص 114 و115.
صحيح ابن حبان،محققا(7224/207/16)ذكر البيان بان اهل بدر هم افضل الصحابة
- مستدرك أبي عوانة- يعقوب بن اسحق النيسابوري ت أيمن عارف- دار المعرفة- بيروت ط-1 1419هـ - 1998م(4/ 219/ 6579).
- المعجم الوسيط- سليمان بن أحمد بن أيوب مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني- ت – طارق بن عوض الله- دار الحرمين- القاهرة(بدون ط)
الجهاد لابن أبي عاصم – أبوبكر بن عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني- مكتبة دار العلوم والحكم- المدينة المنورة ج1 1409هـ(18/164/1).
- فيض الباري على صحيح البخاري(أمالي (محمد أنور شاه/ ت محمد بدر عالم- دار

الكتب العلمية بيروت- لبنان
-.الجامع الكبير - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) المحقق: بشار عواد معروف: دار الغرب الإسلامي – بيروت 1998 م(2276/105/4)بابما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم
كتب السيرة:
- بدر الكبرى عطية بن محمد سالم (المتوفى: 1420هـ)الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
الطبعة: السنة الرابعة - العدد الثاني - 1391هـ / 1971م ص 32.
- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة محّمد سَعيد رَمضان البوطي دار الفكر - دمشق الطبعة: الخامسة والعشرون - 1426 هـ ص 159.
- دراسة في السيرة- عماد الدين خليل- دار النفائس – بيروت- ط2 1425هـ
- - محمد عبد المقصود جاب الله ، قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى - الناشر/ مجلة الجامعة الإسلامية المدينة المنورة- عدد رقم 53
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- الصلابي446.
سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م دار الكتب العلمية بيروت – لبنان
- الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: 1427هـ) دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى
- - السيرة النبوية أبو الحسن الندوي- - دار ابن كثير- دمشق ط12 1425هـ ص 314.
- المغازي ،محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: 207هـ) تحقيق: مارسدن جونس ،دار الأعلمي - بيروتالطبعة: الثالثة - 1989/1409.
11/ سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي – ط1 ، 1420هـ ،دار الكتب العلمية ، بيروت .
12 - السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ) دار القلم - دمشقالطبعة: الثامنة - 1427 هـ
. - السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، 1375هـ

- 1955 م
- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة محّمد سَعيد رَمضان البوطي دار الفكر - دمشق الطبعة: الخامسة والعشرون - 1426 هـ ص 159.
كتب عامة:
- الشورى في الشريعة الإسلامية- القاضي حسين محمد المهدي- تقديم د. عبد العزيز المفالح- سجل هذا بوزارة الثقافة بدار الكتاب برقم إيداع 363 في 2006/7/4م مكتبة المحامي أحمد بن محمد المهدي ص 252و 253.
- الشورى فريضة إسلامية- علي محمد محمد الصلابي- دار ابن كثير سوريا- (بدون ت – ط) ص 139.
- شيث خطاب - الرسول القائد- مرجع سابق ص 126.
- بدر الكبرى عطية بن محمد سالم (المتوفى: 1420هـ)الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
الطبعة: السنة الرابعة - العدد الثاني - 1391هـ / 1971م

الرسائل القصيرة جداً في الأدب العربي إلى عصر التقنية

(دراسة تأسيسية: نحو منحى فني نقدي جديد)



د.عبد الرحمن بن حسن المحسني

أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد

المستخلص:

يتناول موضوع البحث حركة الرسائل الأدبية القصيرة جداً في النثر العربي من عصر ما قبل ظهور الإسلام إلى أدبنا المعاصر، في سعي لتأسيس منحى نقدي جديد يدرُس نماذج الرسائل القصيرة جداً، التي لا تتجاوز سطوراً أو ربما كلمات معدودة؛ تحوي عناصر الرسالة الستة (المرسل - المرسل إليه - الرسالة - السياق - الشفرة - القناة) وتنحو خصائص التكثيف والجمالية الفنية. وقد اقتضى موضوع البحث وحيثياته التأسيسية وضع معايير أربعة، تمثل إضاءات لمسيرة البحث وإجراءات التحليل، وهي (الترسل، الإيجاز، الجمالية، وحدة الموضوع) وفصّل في مقتضياتها. وجاءت الدراسة في مهاد ومبحثين، تناول الأول تحليل نماذج من عصور الأدب العربي وفق رؤية البحث، وتناول ثانيهما حركة الرسائل الأدبية المعاصرة sms في صورة نموذج محمد السحيمي، واعتمدت الدراسة المنهج الفني واشتغالاته الجديدة على النص، وانتهت لنتائج منها: كشفت الدراسة وجود سمات فنية وتكوينية، يرى البحث أنه يمكن أن نؤسس بها لفن الرسائل الأدبية القصيرة جداً -ويرمز لها بـ(ر.أ.ق.ج) في الأدب العربي. بينت الدراسة وفق معايير (ر.أ.ق.ج) أنه يمكن أن نوجه كثيراً من نماذج فنّ التوقيعات-التي عرفت في الأدب العربي بعد عصر صدر الإسلام - إلى دعم فن الرسائل الأدبية القصيرة جداً، وتحليلها وفق نظريات ومناهج التحليل التواصلي الحديث. وضعت الدراسة أربعة معايير تحتكم لها النماذج، وهي (الترسل، الإيجاز، الجمالية، وحدة الموضوع). وتوصي الدراسة بضرورة تتبع هذا الخط الفني وترسيخه في الأدب العربي، ومقاربته في ظل مناهج ونظريات التحليل التواصلي اللغوي الحديث، كما توصي الدراسة بضرورة فتح أفق البحث باتجاه فن (رأ.ق.ج) على مواقع التواصل الاجتماعي المعاصرة، وخاصة موقع (تويتر) الذي يعزز رؤية تكثيف الرسالة الأدبية.

(الكلمات المفتاحية - فن (رأ.ق.ج) - الرسائل الأدبية القصيرة جدا - المحسني - السحيمي)

Abstract:

Research Title: Very Short Messages in Arabic Literature to the Age of Technology (Foundational Study: Toward a New Critical Art Approach).

The subject of the research deals with the movement of very short literary letters in the Arabic prose from the pre-Islamic era to our contemporary literature، in a quest to establish a new critique that studies the very short forms of letters، which do not exceed a line or perhaps a few words; Mechanism - message - context - code - channel) and the characteristics of condensation and aesthetic aesthetic. The subject of the research and its constituent considerations required the development of four criteria، which are illuminations of the research process and analysis procedures، namely، transmission، concision، aesthetics، and subject matter. The second study dealt with the movement of contemporary technical messages in the form of Mohammed Al-Suhaimi model، adopted the technical approach and its new works on the text، and ended with the following results: - The study revealed the existence of technical and composition features، which the research believes that we can establish the art of (RGG) in Arabic literature. - The study showed that according to the standards of RAGG، we can draw many of the forms of signature art - which was known in Arabic literature after the age of Islam - to support the art of short literary messages and analyze them according to the theories and methods of modern communication analysis. - The study developed four criteria under which models (Torsl، brevity، aesthetics، unity of subject). The study recommends the need to follow this technical line and consolidate it in the Arabic literature، and its approach under the methods and theories of modern linguistic communication analysis. The study also recommends the

need to open the horizons of research towards the art of (RG) on contemporary social networking sites، Enhances the intensification of the literary message. (Keywords - Art (RAG) - Very Short Literary Letters - Al-Mohseni - Al-Suhaimi)

المقدمة:

شهدتْ الرسائل القصيرة جداً حركة متصلة عبر العصور المختلفة متأثرة في كلّ عصر بظروفها العلمية والاجتماعية والسياسية إلى أنْ وصلت العصر الحديث، حيثُ اتصال بنية تلك الرسائل بالتقنية المعاصرة فيما عرف بالرسائل النصية القصيرة (short messages) التي ظهرت منذ ثمانينات القرن العشرين الميلادي تقريباً، داعمة لتقنية الاتصال الشفاهي، وكانت أول تجربة رسالة مكتملة العناصر التقنية في 3 ديسمبر - 1992م للبريطاني (نيل بابورث)، ليصل بعد ذلك عدد الرسائل القصيرة في عام 2011 مثلاً إلى حوالي 4000 مليار رسالة قصيرة، بحسب موسوعة (ويكيبيديا) العالمية، ولتمثلَ مفصلاً مهماً في حركة التواصل بالرسائل. وقد عززت هذه التقنية المعيار الكمي الموجز لحجم الرسائل بناء على ظروف المرحلة المعاصرة، الاجتماعية والاقتصادية، التي جعلت السرعة والإيجاز سمة لها. وقد تفاعل الأدباء المعاصرون بدورهم مع هذه التقنية باعتبارهم شريحة لا تنفصل عن مجتمعهم المعاصر حتى أصبحت هواتف عدد كبير منهم دواوين وكتباً متحركة. وقد أعاد هذا لفنّ الرسائل قيمته وأهميته وأسّس لسمات خاصة دفعت إلى فكرة موضوع هذا البحث وأثارت مشكلته البحثية التي تمتدّ من حركة الرسائل النصية المعاصرة إلى تتبع السمات المشتركة لتلك الرسائل في عصور الأدب العربي القديم.

وتسعى مشكلة هذا البحث الأولى لتأسيس فن الرسائل الأدبية القصيرة جداً في الأدب العربي (ر. أ. ق. ج)، بإزاء فنون تشابهه وتتباين عنه

كالقصة القصيرة جداً وقصيدة النثر والنص الومضة وغيرها، وهو يتوسل لتأسيس هذا المنحى النقدي بمقاربات مشروع القصة القصيرة جداً في الأدب العربي لدى منظريها، لما بين المنحيين من تشابه وثيق، ولا يكاد يفترقان إلا في بعض السمات المكوّنة لكليهما، حيث القصة القصيرة جداً تعتمد الاختزال وتُبنى على فنية الحكي، والرسالة القصيرة جداً تقوم على الاختزال وتُبنى على عناصرها المكونة لها التي وردت عند علماء اللغة من (الرسالة - المرسل - المرسل إليه - الشفرة - السياق - القناة).

ومما تطرحه مشكلة هذا البحث أيضاً ملاحظة تماهي مفهوم فنّ الرسائل في الأدب العربي، والسعي إلى تحرير المفهوم؛ فلقد يلاحظُ المهتم أنّ فنّ الرسالة الأدبية قد توسّع حتى أوشك أن يفقد هُويته كلون أدبي له خصائصه، وحتى أصبحت الرسالة تُطلق على كلّ عمل ذي هدف، وترتبط بكتب بأكملها لا تحمل في حقيقتها سمات الرسالة الأدبية. ومن جهة أخرى لاحظ الباحث أن ثمة بعض الفنون كفن (التوقيعات) التي يتصل كثير من نماذجها بالرسالة الأدبية القصيرة وخصائصها، تكويناً وجمالية، لكنها تسمّت في الأدب العربي بغير اسمها، حيث أطلق عليها فن (التوقيعات)، وربطت عند نقادها بمفهوم لا يقاربها من الرسالة الأدبية التي تنتمي لها، ويهدف البحث إلى تجلية ذلك وتعزيز هُوية هذه (التوقيعات - الرسائل)، كما تهدف بالتوازي إلى رسم استراتيجية تجعل لفن الرسالة القصيرة جداً خصائصه التكوينية الخاصة المعتمدة على عناصر الرسالة الستة، والسمات المشتركة لها عبر العصور الأدبية.

اقتضت منهجية البحث ولوازمه أن تقسم هذه الدراسة إلى مهاد يتناول بإيجاز مفهوم الرسالة وأنواعها في الأدب العربي والمراحل المفصلية لها في الأدب الحديث، ومعايير الرسالة القصيرة جداً التي بني عليها البحث. ثم مبحثين: يتناول أولهما، دراسة نماذج من حركة الرسائل القصيرة جداً في الأدب العربي القديم، وصولاً بها إلى عصر التقنية. ثم يقف المبحث

الثاني على نموذج الرسائل النصية القصيرة المعاصرة من خلال تتبع تجربة الرسائل الأدبية النثرية للقاص محمد السحيمي، وهي رسائل أدبية استمرّ الأديب في إرسالها لأصدقائه من الأدباء على مدى سنوات من عام 2007م- 2013م برسالة صباح كلّ جمعة، وهي تمثل في رأي البحث نموذجاً صالحاً لحركة الرسالة النثرية الأدبية القصيرة المعاصرة sms من خلال احتوائها على عناصر الرسالة الستة، إضافة إلى الجمالية الفنية والتكوينية، وقد تخيّر البحث منها ما يمس مشكلته ويدعم رؤيته.

يعتمد البحث هنا المنهج الفني، مستفيداً من تطور اشتغالات هذا المنهج في ظلّ المناهج اللسانية الحديثة. ولعلي أبيّن هنا أني في المبحث الثاني اعتمدت على اجتهاد علمي في توثيق النصوص بطريق ما يعرف في تقنية رسائل الـ sms بتفاصيل الرسالة، وهو توثيق لا أجد عنه مناصاً وأحسبه صائباً؛ ذلك أن تفاصيل الرسالة تكشف لك عمّا يهم من معلومات الرسالة، بدءاً من القائل وموضوع الرسالة، وصولاً إلى تاريخها وزمنها، وهي مسجلة في شركات الاتصال لمن كان يهمه التحقق من صحتها. وقد حرص البحث على المحافظة قدر الطاقة على طريقة كتابة النص كما ورد إلى شاشة الجوال دون تغيير، واضعاً علامة (-) في نهاية كل مقطع للإشارة إلى تراتبية كتابتها على شاشة الهاتف الجوال، سعياً إلى مقاربة الظاهرة من جوانبها التشكّلية المتعددة، وجعلتُ الأخطاء –إن وجدتْ- بين قوسين ووضحّتها في الحاشية. ويحرص منهج البحث في كلّ نماذجه على أن يربط النصوص بتوافر معايير الرسالة القصيرة جداً التي اقترحها البحث وفصل فيها في الخاتمة. وقد وجدتني مهتماً في الخاتمة أن أفصل في المعايير الفنية للمشروع مع توثيق الإحالات هامشاً.

وقد أفاد البحث من عدة مراجع تتصل بعمل الباحث، ومنها جهود كلّ من أحمد زكي صفوت وصالح بن رمضان في جمع الرسائل ومقاربتها. كما أفاد مما كتبه محمد الدروبي وصلاح جرار وعبد الكريم الرعدان

حول فنّ التوقيعات، بيد أن البحث يتقاطع مع رؤيتهم، حيث يرى في فنّ التوقيعات داعماً مهماً لفن الرسالة الأدبية التي يتغيّاها هذا البحث. ويتصل البحث-وخاصة في المبحث الثاني- بدراسة الأدب الإلكتروني وتعالق الأدب مع التقنية، ويلمح الباحث هنا إلى تطور الوعي الفردي والمؤسسي في دراسة حركة الأدب الإلكتروني في السنوات الأخيرة، حيث جعل للدراسة مداخل مرجعية مهمة في الدراسات القيّمة لكل من سعيد يقطين وفاطمة البريكي وعبد الله الغذامي، وإن كان مشروعه يركز على منحى نقدي جديد، وهو دراسة (الرسائل الأدبية التقنية على الهواتف المحمولة).

يحاول البحث أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

- هل يمكن وضع كينونة خاصة تؤطّر فن الرسائل الأدبية وتخرج ما لا علاقة له بهذا الفن؟
- ما مدى ارتباط فن التوقيعات بمعايير فن الرسالة من جهة، وسمات الرسالة النصية المعاصرة من جهة أخرى؟
- هل يمكن الوصول لقواسم وسمات مشتركة للرسائل النثرية القصيرة جداً عبر نماذجها في العصور المختلفة؟
- ما هي السمات الخاصة التي وفرتها التقنية للرسائل النصية القصيرة المعاصرة من خلال نموذج الدراسة؟
- أيمكننا أن نؤسس لما يمكن تسميته بـ(فن الرسائل القصيرة جداً في الأدب العربي) من القديم للحديث ونضع حدوداً له؟

ولعلي أؤكد هنا على أن البحث في هذه المنطقة محفوف بكثير من الصعوبات، لكن الوصول إلى الغاية يجعل تلك الصعوبات محفزات لمزيد من الجهد، لكني أذكر هنا صعوبة كبيرة في جمع المادة، وأعني بها، مادة الرسائل النصية القصيرة المعاصرة تحديداً، كما أذكر صعوبة الحصول على مراجع عربية أو عالمية في تلك المنطقة التي تمثل اشتغالي البحثي في جانب دراسة الرسائل النصية التقنية، رغم سعيي للإفادة؛ مما استلزم

قراءات متوسعة ومتنوعة.

وإني هنا أشكر الله تعالى، ثم أجدني ممتناً للزملاء في مكتبة الملك فهد الوطنيّة في الرياض، الذين قضيت معهم أغلب فترة عمل هذا البحث، فكانوا - بعد الله - خير عون على إتمامه.

مهاد:

الرسالة في لسان العرب «من الرّسل، والإرسال التوجيه، والاسم الرِّسالة والرَّسالة بالفتح، وتراسل القوم أرسل بعضهم إلى بعض، والرسول: الرِّسالة والمرسَل»1. وهي تدل في اللغة على عدة معان، لكنّ الذي يتقصّده البحث هنا «ما يُرسل، أو هي الكلمة، شفوية أو مكتوبة، يبلّغها الرسول أو يحملها إلى من ترسل إليه»2، وهو فنّ عرفته الآداب العالمية من خلال ما وجد منها في النقوش والآثار القديمة الفرعونية واليونانية والرومانية3 الدالة على وجود الرسائل الناقلة للتواصل.

وقد أخذت الرسائل المكتوبة قيمة كبيرة في التواصل عبر العصور العربية المختلفة إلى العصر الحديث، وعُرفت بذات الدلالة والعناصر المكوّنة لها في الشعر العربي القديم عند حاتم الطائي مثلاً في قوله:

ألا أبلغا وهْم بن عمرو رسالة... فإنك أنت المرء بالخير أجدر4

وهي في العصر الجاهلي تشمل الرسائل الشعرية الشفاهية، كما يدل البيت أعلاه، كما تشمل أيضاً الرسائل النثرية المكتوبة التي هي موضوع هذه الدراسة، تلك التي عرفت عند العرب منذ ذلك العصر كفنّ أدبي له قيمته في التواصل؛ وإنْ كانت قليلة ولم يَرِد منها عند أحمد صفوت في كتابه الكبير (جمهرة رسائل العرب) بأجزائه الأربعة سوى عددٍ لا

1 محمد بن منظور، لسان العرب (دار صادر، بيروت، د.ت.(رسل).
2 أمل داعوق سعد، فن المراسلة عند مي زيادة (دار الآفاق الجديد، بيروت، ط1، 1982) ص (11).
3 انظر: المرجع السابق ص (19-25).
4 ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره (دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، دون بيانات أخرى) ص (272).

يتجاوز ثنتي عشْرة رسالة نثرية 1. وهو، بالطبع، عدد قليل مقارنة بتطور الرسائل في العصور التالية، على أنّ هذا العدد في العصر الجاهلي لا يشمل التراسل بالشّعر وما ورد فيه من رسائل كثيرة جعلتْ ناصر الدين الأسد يقول: «ومن يقرأ أخبار الجاهلية في كتب الأدب أو كتب التاريخ يعجب لكثرة رسائلهم آنذاك، ويكاد يلمس أنّ كتابة الرسائل في الجاهلية أمر مألوف ميسور شائع في شتى الشؤون»2، فهذا الرأي للأسد يتجه فيما يبدو إلى التراسل بالشعر الذي هو قطعاً أوسَع وأظهر، لأن الكتابة النثرية - مع وجودها - كانت محدودة.

وإذْ كنّا نعدّ الشعر والفن بعامة يحمل في طياته رسالة، فإننا سنقف عند كلّ النصوص العربية تقريباً باعتبارها حمالة رسالة، وليس هذا هو المراد قطعاً، وقد تَلمّس صالح بن رمضان-وهو يثبّت الرسائل النثرية في كتابه عنها- قلق تأطير مفهوم الرسالة وتحرك دلالتها بين الأجناس الأدبية3، والبحث هنا يتخصص بدراسة الرسائل النثرية الأدبية القصيرة جداً، التي تتمثل فيها أركان فن الرسائل الأدبية وعناصرها، وتحقُّق الجمالية الأدبية التي تجعل لفن الرسائل كينونة وأهمية خاصة. وهو مدخل يمكن أنْ يحقق خصوصية أسلوبية تؤطّر فنّ الرسالة الأدبية وتجعل له حدوداً. ولعل مما يشار له هنا أنّ البحث قد وجد غناء في تتبع سمات الرسالة القصيرة في فنّ عُرف في الأدب العربي القديم بالتوقيعات، والتي تؤكد نماذج البحث منها أنّ أغلبها رسائل ترسّخ لقيم وخصائص فن الرسائل الأدبية وتربطها بتطور فنّ الرسائلِ في الأدب العربي.

---

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة (المكتبة العلمية، بيروت، ط1937،1م) ج1، من (9-3).

2 مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية (دار المعارف، القاهرة، ط5، 1987) ص (71). وبحث (مهى) عبد القادر، وأ.د. جمال مقابلة، (الرسائل الشعرية في العصر الجاهلي قراءات في بداية النوع الأدبي، الجامعة الهاشمية، نسخة pdf،رابط(https: - - eis.hu.edu.jo - deanshipfiles - pub101451756.pdf).

3 انظر: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم مشروع قراءة شعرية (دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007م) ص (2)، (14).

ومما يشير له البحث في هذا المهاد ما يتصل بحجم الرسائل، حيث ظهر في الأدب العربي من بعد صدر الإسلام رسائل طويلَة تضمّها كتبٌ مجموعة، تظهر إمّا في هيئة كتب أو رسائل إخوانية وجدانية طويلة، ومن نماذجها في القديم رسائل الجاحظ، ورسائل بديع الزمان الهمداني، ورسائل أبي العلاء المعري، وابن العميد، وغيرهم4. ولعل من أوائل ذلك النوع من الرسائل الأدبية في العصر الحديث تلك التي ألّفها عبد الهادي الأيياري، وعثر الباحث على نسخة مخطوطة منها، وعنوانها (الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية)5، وهي في جملتها لا تخلو من التكلف، وتقترب في أسلوبها من خصائص الرسائل في عصور الضعف التي سبقتها.

وتجدر الإشارة إلى أن من أهمّ نماذج هذا النوع من الرسائل المؤلّفة في العصر الحديث وأعمقها أدبية ما كتبه الرافعي في رسائله التي منها: (رسائل الأحزان، والسحاب الأحمر، وأوراق الورد وغيرها 6. ولئن كانت تلك (الرسائل - الكتب) في جملتها ذات صفة أدبية، بيد أنْ ليس مجال بحثها هنا، وإنْ لزمت الإشارة إليها.

وقد تطورَ فنّ الرسائل في الأدب المعاصر، وهناك مرحلتان مفصليتان في تاريخ التواصل بالرسائل، تبدأ الأولى منذ بداية عهد الاتصال الصوتي وما صاحبه من وجود تقنية الرسائل النصية (sms) الداعمة لـه7، وتلك مرحلة كانت فيها تقنية الاتصال في بداياتها، وكان التواصل الإبداعي مقتصراً غالباً على الرسائل النصية القصيرة المكتوبة فحسب. وتكمن قيمة

4 أورد كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا عدداً من نماذج تلك الرسائل، (طبعة دار الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للنشر، القاهرة) ج8، ص (126).

5 رسائله مع الأديب إبراهيم الأحدب، وسماها (الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية، وهي رسائل مخطوطة كتبت كما ورد في مقدمتها إثر لقاء تم بينهما في عام 1289ه) المخطوطة في (مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم المخطوطات، الوراق أحمد الكلاس، إيداع 00010ن1 مخطوطات وكتب نادرة- 1301هـ،1883)، ص (14).

6 انظر تفصيلاً حول هذا، مقدمة محمود أبو ريه لكتابه: من رسائل الرافعي (دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968) ص(8)-(24).

7 انظر تفصيل ذلك، عبد الرحمن المحسني، خطاب الـsms الإبداعي دراسة في تشكلات البنية، (دار المفردات، الرياض، ط1، 2008م).

تلك الرسائل النصية القصيرة - sms - التي يقف البحث عند نموذج منها - في بقاء قيمة الكلمة لم تُزاحمْ بعناصر توصيلٍ أخرى كالصورة والصوت التي ظهرت في تقنيات الإرسال التالية، فبقيتْ الكلمةُ وما يحيط بها من أبنية تركيبية هي عنصر التواصل الأهم، وهي بهذا لا تبيْنُ عمّا سبقها من رسائل أدبية قصيرة إلا في الأداة الحاملة وما أضافته من سمات تقنية. وجاءت بعدها مرحلة ثانية اقتربت فيها تقنية الاتصال من برامج الحاسوب والشبكة المعلوماتية، وارتبطت قنوات التواصل الاجتماعي بعضها ببعض، وأصبحتْ أجهزة الاتصال حواسيب صغيرة محمولة، وظهرت تقنية عرفت بـ (واتس آب (WhatsApp1، تجاوزت الاتصال الشفاهي والمكتوب إلى إتاحات تواصلية أكبر بطريقِ الصوت والصورة والكلمة أو ما تسمى (الملتيميديا - multimedeia)، وهي مصطلح يتألف من جزأين: mult وتعني التعدد، وكلمة medeia، وتشير إلى الوسائط الفيزيائية الحاملة للمعلومات»2، وتشكل تقنية (واتس آب) منعطفاً مهماً للاتصال بين المبدعين، والمتفاعلين عموماً، وتشيرُ بعض الإحصاءات إلى أنّ أعلى معدل إرسال وصل إلى (واتس آب) في اليوم الواحد قد بلَغ (14 مليار رسالة)، أمّا معدّل الرسائل التي ترسلُ يومياً من خلال (واتس آب) فيبلغ تسعة عشرة مليار رسالة، وعدد الرسائل التي تصل يومياً إلى (واتس آب) يبلغ أربعة وثلاثين مليار رسالة تقريباً3، وتلك الإحصاءات الرقمية السابقة للرسائل تبيّن أنّ وقوف الباحثين والأكاديميات العلمية أمام هذه التقنية بات

1 اختار الباحث مختصر مصطلح sms كما ورد في اختصار اللغة الإنجليزية، سعياً إلى تحقيق المفهوم الابتدائي لدى القارئ، بحسب أن مصطلح (الرسائل النصية القصيرة) قد يلتبس بالرسائل القصيرة المكتوبة، مع إيثار الباحث الترجمة العربية دائماً، وهذا اللبس غير وارد في مصطلح رسائل (واتس آب) التي يتصل مفهومها بدلالتها مباشرة ففُضلت الترجمة. والـ WhatsApp تقنية تواصُل ظهرت مع الأمريكي بريان أكتون في عام 2009، و تتعدد الترجمات العربية للمصطلح، وتخير البحث الترجمة الواردة في موسوعة ويكيبيديا العالمية في تعريفها بهذه التقنية، حيث وردت هكذا (واتس آب).

2 انظر محمد حسين بصبوص وآخرين، الوسائط المتعددة تصميم وتطبيقات (اليازوري، الأردن، الطبعة العربية، 2004م) ص(15- 19).

3 انظر: تفصيل ذلك، بحث: عبد الرحمن بن حسن المحسني، (الصورة والحالة الشعرية على تقنية (واتس آب) دراسة سيميائية تحليلية (مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، مجلة علمية محكمة، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، المجلد الأول، العدد 13، يناير 2017م، ص (22-55).

أمـراً ملحـاً، عطفـاً علـى غـزارة المسـتخدمين اللافتـة، وبأنّـه يمثـل خطابـاً ذا تشـعُّبات تسـتحق التأمـل فـي ضـوء نظريـات الـدرس النقـدي الحديـث.

تشـكل الرسـائل النصيـة القصيـرة sms امتـداداً طبيًّعـا لفـنّ الرسـائل القصيـرة جـداً فـي الأدب العربـي، وتسـعى الدراسـة فـي مبحثيهـا إلـى التأسـيس لمنحـى نقـدي أدبـي جديـد، يبنـى علـى نمـاذج الرسـائل القصيـرة جـداً فـي الأدب العربـي القديـم متصلـة فـي سـماتها التكوينيـة والفنيـة بنمـاذج الرسـائل النصيـة القصيـرة فـي الأدب المعاصـر، وفـق المعاييـر الأربعـة التاليـة:

1 - **معيـار الترسـل:** وهـو أن يحـوي كلّ نـصّ عناصـر الرسـالة السـتة (المرسـل، المرسـل إليـه، المرسَـلة، السـياق، الشـفرة، والقنـاة)، وهـي الشـروط التـي عُرفـت بهـا أركان الرسـالة الأدبيـة الحديثـة كمـا ذكرهـا جاكوبسـون1، علـى أن تلـك العناصـر ممـا اسـتقرّ فـي النقـد العربـي القديـم فـي كلّ رسـالة مـن مرسِـل2، فجهـد النقـاد الغربييـن فـي رأيـي لا يتجـاوز تحديـد المحـدد ذهنيـاً سـابقاً. والبحـث يؤكـد علـى ضـرورة احتـواء جميـع النمـاذج علـى عناصـر الترسـل السـابقة فـي كل العصـور الأدبيـة، بـدءاً مـن رسـائل عصـر مـا قبيـل ظهـور الإسـلام، وصـولاً لعصـر صـدر الإسـلام ومـا بعـده وظهـور فـنّ التوقيعـات الـذي أثبـت البحـث انتمـاءه للرسـائل النصيّـة القصيـرة جـداً فـي عـدد مـن نماذجـه التـي أوردهـا (جـدول رقـم 1)، وانتهـاء بالرسـائل النصيـة القصيـرة، فـي نمـوذج جُمُعَـات القـاص محمـد السـحيمي المعاصـرة علـى تقنيـة sms المعاصـرة.

2 - **المعيـار الكمـي - التداولـي:** اسـتدعت الضـرورة قديمـاً قيمـة الإيجـاز فـي مرحلـة لـم يكـن يجيـد فيهـا الكتابـة أغلـب العـرب، حيـث كانـت تعتمـد الرسـالة علـى المشـافهة التـي تسـتدعي الاقتصـار فـي القـول، وكلّمـا كان ذلـك الإيجـاز

1 جاكوبسـون ميكـي، هابرمـاس وآخـرون، التواصـل نظريـات ومقاربـات، (تصديـر عبـد الكريـم غريـب، ترجمـة عـز الديـن الخطابـي، زهـور حوتـي(منشـورات عالـم التربيـة، ط1، 2007م) ص(65).

2 انظـر مثـلا تفصيـل محمـود مقداد لذلـك مـن خـلال دراسـته لنمـاذج الرسـالة وعناصـر منهجهـا فـي صـدر الإسـلام، وقـد تضمنـت جميـع العناصـر وإن اختلفـت التسـميات: تاريـخ الترسـل النثـري عنـد العـرب فـي صـدر الإسـلام (دار الفكـر العربـي المعاصـر، بيـروت، دمشـق، ط1، 1993م) ص (217-232(.

مدعماً بمعطيات أدبية تستثير حافظة المتلقي وتبعث دهشته كانت للحفظ أقرب، وحققت الرسالة بها غاية الانتشار والخلود، ثم ترسّخت قيمة الإيجاز في الثقافة العربية بمقولات ثقافية مهمة لا تكاد تفتقد حضورها في كلّ كتب البلاغة العربية، مثل كلمة أكثم بن صيفي التي تعرف البلاغة: بأنها الإيجاز1، وقيل للخليل بن أحمد: ما البلاغة؟ فقال ما قرُب طرفاه، وبعد منتهاه»2 وقد أورد بوجمعة جمي عدة أقوال للجاحظ والرماني وابن رشيق وغيرهم، تؤكد في جملتها أن الإيجاز قمة البلاغة العربية»3. وأسهمت تلك الآراء بصورة كبيرة في ترسيخ قيمة الإيجاز والتكثيف، ومكنت لها في عدد من الفنون. وهذا «التكثيف يمتدّ ويستطيلُ ليكون تكثيفاً في الحدث، والموضوع والفكرة إضافة للغة...»4. وليس التكثيف في الرسائل الأدبية وفي العمل الفني عموماً مقصوداً به الاختصار فحسب، بل هو على حدّ تعبير أحمد الحسين: «هو الطين الذي يمسك مداميك البناء مثلما كان قبل ذلك العنصر الأبرز في تشكيل المدماك، وكان قبل ذلك العنصر الأهم في بناء كل قطعة من ذلك البناء في لحظة تشكلها»5. ومن لازمه الإيجاز، بحيثُ لا تتجاوز الرسالة القصيرة جداً صفحة واحدة كحدّ أقصى، يقول جميل حمداوي عن فنّ القصة القصيرة جداً: «وعلى العموم لا يتعدى هذا الفن الأدبي صفحة واحدة»6، ويمكن أن يكون هذا هو ذاته الضابط في الرسائل، وقد رأينا في كلّ النماذج التي أوردها البحث أنها في هذا الإطار الكمي أو تقل، مع ملاحظة أن الصفحة في التقنية الحديثة تخضع

1 انظر: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، ط4(ج1 ص (4).

2 أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد (دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1987) ج 4 ص (272).

3 انظر: ظاهرة الحذف في شعر البحتري دراسة بلاغية إيقاعية (مطبعة النجاح الدار البيضاء، ط1، 2003م) ص (43). وانظر حول قيمة الإيجاز أيضاً: بحث يوسف بديدة، « بلاغة الإيجاز في الشعرية العربية، (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وزارة التعليم العالي، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 2009م) ص(6)وما بعدها.

4 أحمد جاسم الحسين، القصة القصيرة جدًا مقاربة تحليلية (دار التكوين، سوريا، 2010م) ص (51).

5 المرجع السابق، ص (53).

6 السابق ص (27).

في حجمها لمعطيات أخرى غير الكلمة، من حجم الخط أو نوعه وغيرها، ولكن التأطير هنا للتقريب في الفنين. وغاية الأمر أن الرسالة القصيرة جداً لا تتعدى سطوراً محدودة، في رؤية محددة موجزة، وهو إيجاز يجب أن يكون غير مقصود لذاته، بل ينطلق من رؤى فنية يرى بها المرسِل أن الإيجاز أبلغ طريق لإيصال رسالته؛ إمّا قناعة منه بأن ذلك الإيجاز خير طريق لحفظ الرسالة ومن ثم سهولة انتشارها ووصولها للمتلقي بسبب اعتماد المشافهة في الاتصال كما في العصر الجاهلي، أو أنّ التركيز يكون على هدفية الرسالة دون تزيّد كما في نماذج الرسالة القصيرة جداً في صدر الإسلام « إذ لم يكن الإطناب، على وجه العموم، قد حلّ عهده بعد، ذلك بسبب كثرة الحروب والحوادث والفتن، وسرعة تطورها، وعدم الاستقرار النسبي...فكان الإيجاز مناسباً جداً للتعبير عن أحوالهم وعواطفهم1، أو كان ذلك الإيجاز قناعة من المرسِل بأنّ هذا الأسلوب هو الأقدر على إيصال الرسالة عطفاً على مضمونها، وقناعة بوعي التلقي، كما في نموذج (التوقيعات - الرسائل)، ونموذج الرسائل النصية القصيرة المعاصرة sms عند محمد السحيمي.

ونذكر هنا أنّ هذا التكثيف يحقق في الرسائل الأدبية أيضاً معيارية جودة التداول، وهو معيار غائي، بمعنى أنّ واحداً من أهم غايات الرسالة هو سرعة التداول وتوسيع دائرته لأقصى مدى، فنموذج العصر الجاهلي كما سنرى في هذه الدراسة انتحى الرسالة القصيرة جداً ليوسع من دائرة إرسال صوت الحلْف لجميع أفراد القبيلتين، والرسول عليه الصلاة والسلام، في نموذج صدر الإسلام، تخيّر الرسالة القصيرة جداً لتوصيل صوت الرسالة الجديدة إلى الآخر، وقِسْ على ذلك جميع التوقيعات ذات الأهداف الومضية المباشرة، ويمتد ذلك إلى نموذج محمد السحيمي وارتباطه بفكرة جودة التداول.

1 انظر: محمود مقداد، تاريخ الترسل النثري عن العرب في صدر الإسلام، ص (269).

3 - **المعيار الجمالي:** ويعني، أن تتوفر الجمالية الفنية في الرسائل، بحيث يكون التكثيف والإيجاز في إطار التركيز على السمات والخصائص الفنية لرسالة تنشئ الاختلاف وتبعث على الإدهاش، بتوظيف أمثل للغة والتصوير والإيقاعات الموسيقية. وقد بينتْ الدراسة جماليات أغلب شواهد النموذج الذي بنيت عليه الدراسة. مع التأكيد على تلك الأربطة الفنية التي تفتح العلاقة الجمالية مع المتلقي كركن أهم في بناء الرسالة، حيث يحضر ذلك المتلقي في تصورات المرسِل كما يحضر في بنيات المرسلة، فهو يمثل العنصر السياقي المهم والقارئ الضمني كما يسميه آيزر1 الذي يطل في كلية الرسالة.

4 - **معيار الوحدة الموضوعية:** الرسالة القصيرة جداً لا تتعدد فيها الموضوعات غالباً، إذْ تباشر موضوعاً واحداً وهدفية إرسالية خاصة. ونماذج البحث أجمعها تتجه لموضوع واحد محدّد ومؤطّر، ورسالته مضغوطة تباشر هدفها.

المبحث الأول: حركة الرسائل الأدبية القصيرة جداً في عصور الأدب العربي:

عُرفتْ الرسائل الأدبية القصيرة جداً منذ العصر الجاهلي، ولم تكن الرسائل النثرية منها في العموم بالكثرة اللافتة كما سبق الإشارة لذلك2، إذْ كان التواصل يقوم على المشافهة في ظلّ ندرة أدوات الكتابة، وكان حرص المرسل على إيجاز الرسالة سعياً منه إلى سهولة حفظ المتلقي لها، كما أن تلبُّس ذلك الإيجاز بمعطيات أدبية عالية تستثير خيال المتلقي، تدفع لتحقيق هدفية الرسالة بانتشارها وكثرة ترددها في مجالس القبيلة ومنتدياتها. ومن نماذج الرسائل النثرية القصيرة جداً في العصر الجاهلي ما ورد من رسائل

1 انظر: فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، (المركز الثقافي العربي، المغرب ولبنان، ط1، 2006م) ص (168).

2 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، من 9-30.

عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين وعدي بن زيد العبادي إلى أخيه أُبي1، ورسالة أو كتاب التحالف بين عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة، التي جاء نَصُّها كالتالي: «باسمك اللهم، هذا ما تحالفَ عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على التناصر والمواساة، ما بلّ بحر صوفة، حِلفاً جامعاً غير مفرق؛ الأشياخ على الأشياخ، والأصاغر على الأصاغر، والشاهد على الغائب، وتعاهدوا وتعاقدوا أوكدَ عهدٍ وأوثق عقد لا ينتقص ولا ينكث، ما أشرقت شمس على ثبير، وحَنّ بفلاة بعير، وما أقام الأخشبان، واعتمر بمكة إنسان، حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شدًّا، وظلام الليل مدًّا»2.

تتشكل الرسالة الأدبية السابقة من أركان الرسالة الستة المعهودة - من المرسِل (عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة)، والمرسَل إليه (أبناء القبيلتين)، متضمنة الرسالة كما ظهرت، إضافة إلى السياق الجامع الذي يتصل بسعي الرسالة لبناء حلف وعهد بين القبيلتين، والشفرة الواعية بين المتراسلين حيث قواعد التخاطب حاضرة بين أطراف الرسالة جميعهم، وقناة الاتصال المتمثلة في اللغة الأدبية. وهي تمثل نمطاً من الرسائل القصيرة جداً أو كتاب تعاهد جمْعي، اعتمد خاصية التكثيف والإيجاز الذي يبدو هدفاً لذاته لتكون الرسالة يسيرة الحفظ والانتقال، فتحقق حظّها من الانتشار لدعم الحلف بين القبيلتين. وقد بُنيت الرسالة فنياً على عدة ثنائيات تقابلية تتسق مع عنصر التقابل الأساسي في الرسالة: (المرسِل - المرسَل)، وتؤكد هدفية الرسالة في توثيق العقد على مثال: (حلفاً جامعاً - غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ - الأصاغر على الأصاغر - الشاهد - الغائب - يزيده طلوع الشمس شداً، وظلام الليل مداً...»3)،كما اعتمدت الرسالة خاصية التصوير باللغة المألوفة ذهنياً

1 انظر: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1 ص (12).
2 المرجع السابق، ج 1، ص (16). وص (24)،(25).
3 السابق نفسه.

للمتلقين، متكئة على خصائص الصورة البلاغية، (ما بلّ بحر صوفة - ما أشرقت شمس على ثبير، وحن بفلاة بعير. حلف أبد لطول أمد - يزيده طلوع الشمس شداً، وظلام الليل مداً...)، وهذه الثنائيات المتقابلة في جملتها تحقق الإيقاع الذي قصد له المرسل في هذا البناء المتقابل بطريق السجع والمجانسة، الداعمة للمعطى الدلالي للنصّ والمعيْنة على الذيوع في كلية الرسالة.

وقد نشطت الرسائل النثرية القصيرة جداً واتسعت بعد ذلك في عصر صدر الإسلام بشكل لافت، حيث اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته، ومن بعده الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم4. فمع ظهور الإسلام وتوطّد أركانه أصبحت الحاجة قائمة من الرسول صلى الله عليه وسلم، لبعث رسائل تعميم ونشر لتعاليم الدين الحنيف ومبادئه، واتسق ذلك مع «بدء انتشار الكتابة وكثرة أدواتها ووسائلها، وإقبال الناس على كتابة الرسائل وتبادلها عامة وخاصة»5. وقد ناسب أن تكون الرسائل موجزة، عطفاً على قيمة الإيجاز كمنحى بلاغي من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكتابة كانت لما تزل في بداياتها،كما أن سمة قصر الرسالة في عصر النبوة ينطلق من طبيعة هدفية الرسالة ذاتها، إذ هي رسائل تباشر موضوعها ولا مجال فيها للتزيّد والإطناب. ومن نماذج ذلك رسائله عليه الصلاة والسلام في العهود والمواثيق، ورسائله لعمّاله وأمرائه وأصحاب سراياه»6. ونضرب هنا نموذجاً من هذه الرسائل النبوية نتبيّن من خلاله خصائص حركة الرسائل الأدبية وبعض سماتها في هذا العصر. ومنها رسالته صلّى الله عليه وسلم إلى أكثم بن صيفي، ونَصُّها: « من محمد رسول الله إلى أكثم بن صيفي. «أحمد الله إليك، إن الله أمرني أن أقول لا

4 انظر نماذج من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج1، ص (35-87).

5 انظر: محمود مقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، ص (6).

6 رشا النحال، فن الرسائل في العصر المملوكي (رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف عبد الخالق العف، قسم اللغة العربية، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة، 2014م، ص(4).

إلـه إلا الله. أقولهـا، وآمـر النـاس بهـا والخلـق خلـق الله، والأمـر أمـر الله، خلقهـم وأماتهـم، وهـو ينشـرهم، ولتعلمـن نبـأه بعـد حيـن»1.

تقـوم عناصـر الرسـالة ومكوناتهـا فـي هـذا النمـوذج علـى العناصـر السـتة، مـن المرسِـل الـذي يسـميه محمـود مقـداد العنـوان2، وهـو كمـا ورد فـي الرسـالة هنـا (محمـد رسـول الله)، والمرسَـل إليـه (أكثـم بـن صيفـي)، ثـم موضـوع الرسـالة الـذي يقـوم علـى بنيـة واضحـة مباشـرة لا تعقيـد فيهـا تحقـق هدفهـا دون تزيّـد. مـع حضـور العناصـر الثلاثـة الأخـرى، وهـي السـياق القائـم علـى الظـروف المحيطـة بإرسـال الرسـالة الـذي يظهـر مـن داخـل بنيـة الرسـالة، حيـث نشـر تعاليـم الديـن الجديـد، ومـن خارجهـا بالإشـعار بظهـور ديـن جديـد تمثلـه عناصـر الرسـالة البنائيـة. ثـم الشـفرة التـي تنفتـح مغاليقهـا بدلالـة الخطـاب اللغـوي الـذي يبـدو أن أكثـم قـد وصلـه طـرف منـه. والعنصـر السـادس القنـاة، حيـث الرسـالة المكتوبـة باللغـة العربيـة المتعـارف عليهـا بيـن المرسـل والمتلقـي فـي أسـلوب يصـل الهـدف. وهـذه الرسـالة الموجـزة تعكـس الحالـة الأدبيـة العامـة للرسـالة القصيـرة جـداً فـي صـدر الإسـلام، مـن حيـث تلبُّسـها الدلالـي بتعاليـم الديـن الجديـد وبالقـرآن الكريـم تحديـداً فـي بنيـة الرسـالة وخصائصهـا البنائيـة والتركيبيـة، وعلـى المسـتوى الفنـي لهـذه الرسـالة نلاحـظ أنّـه يتسـق مـع السـمات الإسـلامية للدعـوة الجديـدة وتأثيرهـا الظاهـر علـى البنـاء الفنـي، ورغـم معرفـة النبـي صلـى الله عليـه وسـلم ببلاغـة المرسَـل لـه (أكثـم بـن صيفـي) كعلامـة أدبيـة معروفـة فـي النثـر العربـي، إلا أن طبيعـة الرسـالة لـم تتغيـر وسـارت فـي إطـار رؤيـة الاعتـدال التـي وسـمت رسـائل هـذا العصـر بعامـة3، فلـم يتكلّـف المرسِـل مـا يثقـلُ الرسـالة مـن زينـات فنيـة، بـل سـارت الرسـالة مطهّمـة بالهـدف الـذي يوضـح غايـة الرسـالة فـي المبـدأ:

1 أحمـد زكـي صفـوت، جمهـرة رسـائل العـرب،ص 69. وأكثـم بـن صيفـي أحـد بلغـاء العـرب، أورد صاحـب الجمهـرة فـي الهامـش قولـه: «أدرك مبعـث النبـي صلـى الله عليـه وسـلم، واختلـف فـي إسـلامه والأكثـر علـى صحتـه».

2 انظر: تاريخ الترسل النثري عن العرب في صدر الإسلام، ص(220- 232).

3 محمود مقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، ص(237).

«إن الله أمرني أن أقول لا إله إلا الله...» وفي المختتم الذي جعله منفتحاً على فضاء يعرف المرسل أهميته بالنسبة للمرسل إليه، بإثارة التفكير: «ولتعلمن نبأه بعد حين».

(التوقيعات - الرسائل القصيرة جداً) في الأدب العربي:

يجدُ بحث الرسائل القصيرة جداً بغيتَه في نماذج فنّ عُرف في الأدب العربي بفنّ التوقيعات، ظهر في أدبنا العربي في عصر صدر الإسلام وما بعده1. ولئن وردت التوقيعات بمفهوم ينأى بها عن الرسالة إلا أنه في رأي الباحث أنّ كثيراً من نماذجها يتصل بالرسائل القصيرة جداً، وليست توقيعاً بمفهوم التوقيع الذي يرتبط في عمومه بالتوقيعات السياسية التي عرفها ابن خلدون، مثلاً، بقوله: « أنْ يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله، ويوقّع على القصص المرفوعة إليه أحكامها للفصل فيها، متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه»2، أو في التعريف المعاصر الذي ذكره عبد الكريم الرعدان بقوله عنها: «تلك التعبيرات الموجزة التي يكتبها الخليفة أو الملك أو الأمير أو السلطان أو الوزير تعليقاً على كتاب أو رقعة أو يذيلون بها الخطابات الرسمية»3. وقد أورد صلاح جرار ومحمد الدروبي تعريفاً منقولاً للتوقيعات اعتمداه في كتابهما المشترك (التوقيعات الأندلسية)، يرون فيه، أنّ في كلّ عهود الحكم الإسلامي للأندلس تطابقاً إلى حد كبير على تعريف أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت 512هـ - 1127م) للتوقيعات في كتابه (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب)، إذ يقول: « وأما التوقيع، فإنّ العادة جرت أن يستعمل في كلّ كتاب يكتبه الملك، أو أمر من له أمر ونهي، في أسفل الكتاب المرفوع إليه، أو على

1 عُرفت التوقيعات قبل ظهور الإسلام في بعض الحضارات وبالأخص الحضارة الفارسية، انظر: محمد الدروبي وصلاح جرار، التوقيعات الفارسية المعربة (منشورات جامعة آل البيت، 2000م)ص(16). كما ذكر عبد الكريم رعدان أن بعضُ التوقيعات ظهرت في عصر ما قبل الإسلام. انظر: بحثه (فن التوقيعات في الأدب العربي، (مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، العدد 34، يناير - يونيو - 2012م) ص (238-239).

2 مقدمة ابن خلدون (منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط8، 2003م)، ص (193).

3 انظر: فن التوقيعات في الأدب العربي، ص(229).

ظهره، أو في عرضه، بإيجاب ما يسأله أو منعه»1. ولا يبعد عنها أيضاً مفهوم شوقي ضيف الذي يقول في تعريفه لها: إنها «عبارات موجزة بليغة تعوّد ملوك الفرس ووزراؤهم أن يوقعوا بها على ما يقدم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاواهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس ووزراؤهم في هذا الصنيع»2. وجملة هذه التعريفات تقارب مفهوم التوقيع من الأختام والتوقيعات السلطانية الثابتة3، وتربط التوقيعات بدلالة سياسية تأتي تذييلاً للخطابات الرسمية، وهذا المفهوم السياسي أطّر ظاهرة التوقيعات المهمّة في إطار ضيّق جداً، في حين أنّ البحث هنا يرى في أغلبها رسائل أدبية قصيرة، مكتملة عناصر الرسالة الستة، من مرسِل ومرسَل له (مفرد أو مجموع)، وتحوي مرسلة، بسياق، وشفرة، وقناة اتصال، تنتحي الاقتضاب والتكثيف والإيجاز، معتمدة على قدرات المتلقي في وعي أبعاد الأربطة اللامرئية التي تتفتق عن بنيات هذه الرسالة الأدبية الموجزة. وقد أحسن أحمد زكي صفوت حين جعل تلك التوقيعات ضمن الرسائل في كتابه الكبير (جمهرة رسائل العرب) وأفرد لها مكاناً في خاتمة كل عصر تناوله بعنوان (توقيعات...)؛ وهذا يشي برسالة منه مفادها أنّ تلك التوقيعات ما هي في الواقع إلا رسائل، قد تشبه التوقيع في إيجازها لكنها تفيء إلى أصلها. وقد ألمح لهذا القلق من تداخل فن الرسائل والتوقيعات محمد الدروبي وصلاح جرار، وهما من أكثر الباحثين المهتمين بفن التوقيعات، وفي كتابهما(التوقيعات الفارسية المعربة) يوردان تعريفاً يوضح قلق التصنيف لفن التوقيعات؛ فهما يقران في تعريفهما ضمناً بالتداخل المقلق بين التوقيعات والرسائل، إذ ورد قولهم: «على أن مفهوم التوقيع الذي نعنى

1 التوقيعات الأندلسية، ص(15)، (16).
2 العصر العباسي الأول (دار المعارف، القاهرة، ط3، ص(489).
3 تعتمد الأختام على حكمة ورسالة قصدية ثابتة، ومن ذلك ختم عثمان بن عفان رضي الله عنه (لتصبرن أو لتندمن)، وختم معاوية بن أبي سفيان (لكل عمل ثواب)، وختم هارون الرشيد(بالله يثق هارون). انظر المزيد: أسامة ناصر النقشبندي، حياة الحوري، الأختام الإسلامية في المتحف العراقي (مديرية الآثار العامة، دار الحرية، بغداد، 1974)، ص (61-71).

بدراسته -هنا- يختلف عن سائر المفهومات السابقة، فهو يطلق على ما يكتبه الرؤساء - على اختلاف مراتبهم- تعليقاً على الرسائل المرفوعة إلى الرئيس في أمر ما، فتكون هذه العبارة جواباً يعمل بمقتضاه»1؛ فالتوقيعات - كما في التعريف - رسائل مرفوعة ذات هدف تأتي رداً على رسالة مثيرة للكتابة ليتم الردّ بجواب يُعمل بمقتضاه. ولا يغني ارتباط الرسائل بالرؤساء من تغيير كونها رسالة، إذ النظر هنا ليس للمرسِل، بل للرسالة ذاتها وعناصرها التوصيل وغايته وأدبيته.

ويشير البحث بدءاً إلى أن بداية هذه التوقيعات كان في عهد الخلفاء الراشدين، كما وردت عند أحمد صفوت في جمهرته بعنوان: (توقيعات الخلفاء الراشدين)2، ويعدّ الخليفة أبو بكر الصديق أولَ من استعمل التوقيعات في التاريخ العربي والإسلامي فيما كتبه إلى خالد بن الوليد رضي الله عنهما»3. وقد وردت (رسالته - التوقيع) بالنص التالي: «كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما من دومة الجندل يستأمره في أمر العدو، فوقَّع إليه: « ادنُ من الموت توهبْ لك الحياة»4.

وتقف الدراسة، من بعدُ، عند بعض نماذج التوقيعات5 التي تعزز رؤية البحث، متقصِّدا رسائل عدد من الخلفاء والقادة في العصور الأدبية المتعاقبة من خلال الجدول التوضيحي التالي (انظر الجدول ذا الرقم 1) الذي يبيْن عن العناصر المكونة للرسالة التي ذكرها النقاد6 وتؤكد عليها النظريات اللغوية الحديثة7، وسيتم التوثيق لها بنصِّها وتحليلها بعد ذلك

1 محمد الدروبي، صلاح جرار، التوقيعات الفارسية المعربة، ص 14.
2 جمهرة رسائل العرب ج1 ص(530، 531).
3 انظر: عبد الكريم رعدان، فن التوقيعات في الأدب العربي، ص(238).
4 أحمد زكي صفوت، ج1 ص (530).
5 أورد ابن عبد ربه في العقد الفريد عدداً كبيراً من نماذج التوقيعات، انظر: العقد الفريد (دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1987م) ج4 ص(278-307).
6 انظر مثلاً تفصيل محمود مقداد لذلك من خلال دراسته لنماذج الرسالة وعناصر منهجها في صدر الإسلام، وقد تضمنت جميع العناصر وإن اختلفت التسميات: تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، ص(217-232).
7 انظر، جاكوبسون ميكي، هابرماس وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، ص(65).

لتتضح عناصر الرسالة وسماتها المشتركة في كُلّ النماذج:

النموذج	1 المرسِل	2 المرسل إليه	3 السياق	4 الشفرة	5 الرسالة (المرسلة)	6 قناة الاتصال
-1	أبو بكر الصديق (رضي الله عنه).	خالد بن الوليد (رضي الله عنه).	السياق الزمكاني: عصر صدر الإسلام - دومة الجندل. -السياق الثقافي: نشر الإسلام.	مفاتيح الشفرة: (الخليفة - التوجيه القائد العسكري، طلب المشورة).	"ادن من الموت توهب لك الحياة".	اللغة المشتركة - السياق الذهني الرابط - البناء الفني.
-2	عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).	سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه).	السياق الزمكاني: الكوفة -السياق الثقافي: الأمير يستأذن الخليفة في بناء دار الإمارة الخليفة - التوجيه صدر الإسلام - الكوفة.	(الخليفة، عصر صدر الإسلام، حفظ المال العام).	"ابن ما يستر من الشمس ويكن من المطر".	اللغة المشتركة - السياق الذهني - البناء الفني.
-3	معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه).	عبد الله بن عامر	السياق الزمكاني : دار الخلافة العصر الأموي -السياق الثقافي: التمسك بعصبية القبيلة.	(الخليفة - الأمير، عصبية القبيلة)	"بيت أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الإسلام، فأنت تراه".	اللغة المشتركة - السياق الذهني.

-4	أبو جعفر المنصور	عبد الحميد (صاحب خراسان).	السياق الزمكاني، العصر العباسي، ولاية خراسان. -السياق الثقافي: الخروج عن الطاعة - التحذير - الإقالة).	(المكان، العتاب الحاد، التحذير)	شكوت فأشكيناك، وعتبت فأعتبناك، ثم خرجت عن العامة، فتأهب لفراق السلامة".	اللغة المشتركة - السياق الذهني - البناء الفني.
-5	عبد الرحمن الداخل	سليمان بن يقظان الأعرابي.	السياق الزمكاني: الأندلس - عصر عبدالرحمن الداخل. - السياق الثقافي: التمسك بالطاعة والجماعة.	(الخليفة - الرعية - الطاعة - الخروج على الجماعة - التحذير).	"أما بعد، فدعني من معاريض المعاذير، والتعسف عن جادة الطريق، لتمدن يدا إلى الطاعة، والاعتصام بحبل الجماعة، أو لأزوين بنانها عن رصف المعصية، نكالا بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد".	اللغة المشتركة - السياق الذهني - البناءالفني.

6 -	الشاعر العتابي	السلطان	السياق الزمكاني - العصر العباسي - دار الخلافة. - السياق الثقافي: طلب الشاعر النوال - الديموقراطية بين الشاعر والوالي.	(الشاعر، السلطان، النوال، المطل).	"أما بعد: فإن سحائب وعدك قد أبرقت، فليكن وبلها من سالما من علل المطل. والسلام"..	اللغة المشتركة - السياق الذهني - التوسل الأدبي.

الجدول ذو الرقم (1) عناصر الرسالة الستة في نماذج التوقيعات في عصور الأدب العربي.

يتضح من الجدول السابق توافر عناصر الرسالة الستة في جملة النماذج، وهو معيار مهم لضبط انتماء النصوص لهذا الفنّ. وسيتم تحليل النماذج هنا وفق معايير فن الرسالة القصيرة جداً. ففي الرسالة الأولى التي تمثل فاتحة التوقيعات العربية من مرسلها الخليفة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، جاءت بنصها السابق، ونرى في بنيتها الدلالية والجمالية أنها بُنيت على ثنائية تقابلية تتقصّد هدف الرسالة المباشر، معتمدة على وعي المتلقي لها، فهي تحفز على القتال بما يجعل الموت غاية وهدفاً للجيش، وإذْ تحقق بناء الرسالة في النفْس، فإنَّ الحياة والنصر سيكونان حليفه (توهب لك الحياة)، سواء كانت هذه الحياة حياة كريمة في الدنيا، أو كانت حياة الآخرة. والرسالة الثانية من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وردت بالنص التالي: «كتب سعد بن أبي وقاص إلى عُمر بن الخطاب رضي الله عنهما من الكوفة يستأذنه في بناء دار الإمارة فوقَّع إليه: « ابْنِ ما يستر من الشمس، ويُكنّ من المطر».1. وتبدو بهدفيّة دلالية مغايرة؛ فالمرسِل يعي غاية الرسالة الأولى (المثير)، والمرسَل إليه في

1 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج2 ص (530).

الرسالة الثانية (سعد بن أبي وقاص)، استقبل الرسالة في وعى تام لما تؤكّد عليه الرسالة من ضرورة الاقتصاد في البناء والاقتصار على ما يحقق الضرورة.

وهاتان الرسالتان على قصرهما وتكثيفهما يمكن أن تشكلا وثيقة رسالية عامة، أولاهما سياسية، والثانية اجتماعية واقتصادية. ورسائل عصر صدر الإسلام في جملتها تقوم على الإيجاز الذي يوفر لها وحدة هدفية، حيث تقتصر الرسالة على موضوع واحد لا تتعداه كما يرى محمود مقداد1. وعلى المستوى الفني بنيت الرسالتان على قيمة التكثيف والإيجاز في كلمات معدودة، وعلى بنية التقابل المباشر في الرسالة الأولى - ادنُ من الموت - توهبْ لك الحياة، وهو تقابل، على إيجازه، يمكن أن تتفتق دلالته عن فكرة متسعة جداً تمتدّ لاستدعاء دلالات من نصوص شتى، من قول الله تعالى مثلاً: « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»2، وقوله تعالى: « قل لو كنتم في بروج مشيدة لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم»3، في حين بُني التقابل في نموذج رسالة عمر بن الخطاب على بنية الرسالة الأولى التي جاءته من سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما(يستأذنه في بناء دار الإمارة)، وهي تشي بمحذوف لم تشر إليه الرسالة يفهم من السياق بأن المرسِل يرغب في توسيع البناء وتعليته، فجاءت الرسالة المقابلة جواب حكيم على قدره، وهذا يمثّل شفرة اتصال واعية بين المرسِل (سعْد) - والمرسل إليه (عُمر). والرسالتان يعد فيهما التقابل مرتكزاً فنياً وإيقاعياً له قيمته الفنية.

أما في نموذج العصر الأموي الذي ورد في الجدول السابق (انظر الجدول ذا الرقم1) فنجد نموذج (التوقيع - الرسالة) عند معاوية بن أبي سفيان،رضي الله عنه، في رسالة بعثها إلى عبد الله بن عامر، ونَصُّها:

1 انظر: تاريخ الترسل النثري عند العرب في عصر صدر الإسلام، ص (277(.
2 سورة التوبة، آية (51).
3 سورة آل عمران، آية (154).

«كتب عبد الله بن عامر إلى معاوية في أمر عاتبه فيه، فوقّع في أسفل كتابه: بيت أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الإسلام، فأنت تراه»1. وقد بُنيت الرسالة هنا على خاصية الإيجاز والتكثيف في كلمات معدودة مؤدية، يمكن تفتيق بناها لاستدعاءات معرفية وثقافية واسعة يعيها كلّ من المرسل والمتلقي، وبنيت على ثنائيتين تقابليتين (بيت أمية في الجاهلية - بيت حبيب في الإسلام)، متجاوزة الزينات الإيقاعية، لأنّ غاية الرسالة لا تحتمله.

وفي نماذج التوقيعات في العصر العباسي التي وردت في الجدول السابق نرى الرسالة قد اكتسبت خصائص ذلك العصر وحملت سماته الفنية، ونص النموذج كالتالي: «وقَّع المنصور إلى عبد الحميد صاحب خراسان: « شكوتَ فأشكيناك، وعتبتَ فأعتبناك، ثم خرجتَ عن العامة، فتأهّب لفراق السلامة»2. كما ورد نموذج (توقيع - رسالة) للشاعر العباسي العتّابي في رسالة بعثها إلى بعض أصحاب السلطان، تقول: « أما بعدُ: فإنّ سحائبَ وعدك قد أبرقت، فليكن وبلُها سالماً من علل المطل. والسلام»3. والرسالتان السابقتان تكشفان عن سمات حركة (التوقيعات - الرسائل) في العصر العباسي؛ فالرسالة الأولى نموذج لقائد سياسي عباسي وهو أبو جعفر المنصور، ونراها تتوشّى بنية لغوية متعالية من المرسِل، تظهر من تكرار (نا) الفاعلين المعظِّمة لشأن المرسِل والرسالة بإزاء الإفراد في شأن المرسَل (شكوت، عتبت - فأشكيناك، فأعتبناك)، وتشي أيضاً بغاية الرسالة كما جاءت في الخاتمة: (فتأهّب لفراق السلامة)، وقد أحدثت هذه الثنائيات المتضادّة في الرسالة رنيناً إيقاعياً بالجناس والتقابل والسجع. وأما الرسالة العباسية الثانية فتمثل نموذج الرسالة الأدبية التي يكتبها شاعر، وهي مؤدية لغايتها وهدفها التوصيلي والأدبي، بدأت بتركيب لغوي معتاد

1 أحمد زكي صفوت، ج 2 ص (491).
2 أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب (طبعة مصطفى البابي، ط2، 1971) ج4 ص (369(.
3 شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص (497).

في رسائل ذلك العصر وما تلاه (أمّا بعد)، وهو تركيب استهلالي تنبيهي، مكّن له التضامن الجَمعي على حضور هذا التركيب في بداية الرسائل فأكد قيمته البنائية في الرسالة العربية، وبُنيتْ الرسالة فنياً على معطيات التصوير الفني، حيثُ اعتمد التصوير الفني العالي ليرتقي بالرسالة إلى تلبُّسات الأدبي بالهدف المغري بالقبول، ولا يظهر في الرسالة اسم السلطان الذي بعثتْ له الرسالة، لكن لازم الكتابة بهذا الأسلوب يستدعي مرسَلاً إليه يعي خاصية الإبداع وسمو الأداء الفني، وقد جعل المرسِل سحائب وعد السلطان مؤذنة بالهطول على توجسٍ جعله يتأمل وَبْلاً (سالماً من علل المطل).

وإذا وجهنا البحث صوب نموذج العصر الأندلسي في الجدول، فنشير إلى أن (التوقيعات - الرسائل) قد تطورت في هذا العصر كما يرى الباحثون، فقد ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد جملة من تلك التوقيعات1، وألّف الدروبي وجرار كتاب (التوقيعات الأندلسية) ومما ورد من نماذجها: « توقيعات عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ومنها (توقيع - رسالة) له نَصُّها: «وقَّع إلى سليمان بن يقظان الأعرابي على كتاب منه سلك به سبيل الخداع: «أما بعد، فدعني من معاريض المعاذير، والتعسُّف عن جادة الطريق، لتمدن يداً إلى الطاعة، والاعتصام بحبل الجماعة، أو لأزوينّ بنانها عن رصف المعصية، نكالاً بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد» 2.

يلفت في جمالية هذه الرسالة أن بناءها اللغوي يتصل بهدفها وقائلها؛ فالهدف يتجه لعامل زاغَ عن طريق الهدى وسلك سبيل الخداع، فناسبته لغة تتصل بالغاية وتتجه للهدف مباشرة بعبارات عنيفة اللغة، مثل: (فدعني من معاريض الاعتذار - والتعسف عن جادة الطريق...) والأمر الآخر،

1 ج4 ص (278-307).
2 صلاح جرار، محمد الدروبي، التوقيعات الأندلسية، ص (110)

أن الرسالةَ بنيتْ على التصوير التمثيلي المركّب، القائم على ثنائية تقابلبية (لتمدن يداً إلى الطاعة... - أو لأزوين بنانها عن رصف المعصية)، مع توظيف تركيب قرآني يقوم على اقتباس تراكيب ردع: (نكالاً بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد)، التي تحيلُ ذهنياً إلى صريح الآيتين بما يحيط بهما من تصورات ترتبط بمفردة (نكال) المرتبطة بالعقاب والجزاء الشديد في كلّ ورود لها في النص القرآني، قال الله تعالى: «جزاء بما كسبا نكالا من الله»1 كما يحيل التناص الآخر على قوله تعالى: «من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد»2. وهذه الإحالات الذهنية بهذا التناص تبدو قصدية من المرسل، وهي تعدّ داعمة لمضمون الرسالة، وتحيل إلى مرجعية مشتركة يعيها المرسِل والمرسل إليه.

إن النظر في كلّ النماذج السابقة مما يسميه الباحثون بالتوقيعات يُظهر لنا ما يؤكّده البحثُ من أنّ كثيراً منها ليس في إطار مفهوم التوقيع، بل هي رسائل مكتملة العناصر التكوينية الموصّلة بين المرسِل والمرسَل له والهدف، وقد عرض البحث لنماذج منها، وأحال إلى النماذج الأخرى، وتقصّد إلى عيّنات ترتبط بالرؤساء أو القادة ومن يتصل بهم وتأكّد ارتباطها بفنّ الرسائل الأدبية. وهذا، بالطبع، يفتح لها مسارب مهمّة للدرس النقدي في إطار خصائص الرسالة الأدبية ونظريات الاتصال الحديثة، ويعزز ما يسعى البحث لتأسيسه من فنّ الرسائل النصية القصيرة جداً، (ر.أ.ق.ج). وهي نماذج رأينا ارتباطها الوثيق بأركان الرسالة، وبأنها لا تعدو أن تكون رسالة أدبية قصيرة جداً قصدَ مؤلّفها إلى الإيجاز والتكثيف. ونكاد نرى في مجموع تلك الرسائل الأدبية القصيرة جداً في عصور الأدب العربي المختلفة ما يمكن أن يكشف لنا عن خطّ فني تشكّل في الأدب العربي وترسّخت قيَمه الفنية المشتركة في العصور المختلفة التي من

1 سورة المائدة، آية (38)
2 سورة فصلت، آية)46)

أظهرها اكتمال عناصر الرسالة ومكوّناتها (المرسل - المرسل إليه - الرسالة - السياق - الشفرة - القناة)، في تكثيف وجمالية فنية. وهذا التشكّل الفني للرسالة القصيرة جداً في عصور الأدب العربي ينفتح على سمات مشتركة مع فن الرسالة النصية القصيرة المعاصرة sms التي سيفصل فيها المبحث القادم. ولئن تباينت عوامل حضور هذا الفنّ في القديم عنها في الحديث، إلا أنها تلتقي على سعي الأديب إلى إظهار قدرته على إيجاز الرسالة وتكثيفها، متكئاً على فنيات اللغة وجماليات التصوير والإيقاع من ناحية، وعلى الثقة بوعي المتلقي ودوره في بناء الرسالة وإتمام هدفيتها من ناحية أخرى.

المبحث الثاني: الرسائل النصية القصيرة المعاصرة (جُمُعات محمد السحيمي (نموذجا).

أظهر المبحث السابق أنّ حركة الرسائل القصيرة جداً بأركانها المعهودة وخصائصها الفنية قد امتدّت عبر عصور الأدب العربي إلى العصر الحديث. وكان لظهور التقنية المعاصرة أثرٌ كبير في تطور فنّ الرسائل القصيرة جداً وتركّز سماتها، حيث ظهر ما عرف بالرسائل النصية القصيرة (sms)، مع ثورة الاتصال، منذ ثمانينات القرن العشرين الميلادية، باعتبارها داعماً كتابياً للتواصل الشفاهي. وتتابع تطور الرسائل وكثرة استخدامها حتى وصل عددها مثلاً في عام 2011 حوالي 4000 مليار رسالة قصيرة» 1، ما يكشف دورها المهم في التواصل وضرورة وقوف المؤسسات البحثية أمامها كخطاب يستحق الدراسة. وقد كان ظهورها أول الأمر في هيئة رسائل مختصرة تتقطع حين الإرسال، وحين استشعرت المؤسسات المعنيّة أهمية الكلمة المكتوبة ودورها في التواصل طوّرت من تقنية الاتصال المكتوب، وأخذ الناس يوظفونها في اتجاهات التواصل المختلفة، وبدأ الأدباء والشعراء يسخرونها بدورهم في التواصل الأدبي،

1 انظر: موسوعة ويكيبيديا العالمية. موضوع: (الرسائل النصية sms).

لتنشط بشكل ملحوظ في أوقات المناسبات الدينية والاجتماعية، ثم تمتدّ لتشكل فضاء تواصلياً إبداعياً يحمل التجارب الإبداعية، إذ تحولت الهواتف المحمولة عند كثير من الأدباء إلى دواوين ومجموعات أدبية متحركة تحمل الرسائل الشعرية والأدبية، ما دفع عدداً من النقاد للوقوف أمامها جمعاً ونقداً1. ولئن تطورت تقنية التواصل بالرسائل فيما بعد، في ظل حركة نشطة للتقنية، إلا أن النص الأدبي يبقى حياً لا يموت، إذ يقوم على بنيات فنية لا تتأثر بتغير الحامل أو تطوره.

وقد اختار البحث هنا تجربة القاص محمد السحيمي 2 نموذجاً على فنّ الرسائل النصّية القصيرة جداً في الأدب العربي الحديث، بأنّها تمثل عيّنة صالحة من مجموع رسائل sms أدبية كان يتواصل بها مع جملة من أصدقائه الأدباء، بدأت في يوم الجمعة 8 - نوفمبر - 2007 في الذكرى الأولى لخروجه من السجن بعفو من الملك عبد الله بن عبدالعزيز3، وكان يبعثها على هيئة رسالة واحدة منه ترسل إلى هواتف أصدقائه المحمولة قبل صلاة الجمعة من كلّ أسبوع، واستمرت لسنوات. يقول محمد السحيمي في إحدى رسائله التي تعدّ مرتكزاً يمكن أن يكشف طرفاً من فكرة هذه الرسائل وسماتها: « في مثل هذه الجمعة قبل ثلاث سنوات - انتهت معاناة محمد السحيمي بمرسوم ملكي - غسل روحه بآخر دمعة ظل محتفظاً بها خمسة أعوام! - ثم عاهد الله وهو يتحسس أثر القيد - في معصميه وكاحليه أن يبقى قلبُه - مثقلاً للأبد ولكن بحب من (كانوا) له

1 من الكتب التي تناولتها بالجمع، انظر: لمياء باعشن، زوايا الدائرة رسائل الهاتف الجوال بقلم نخبة من أصحابه، (ط1، 2008)، وخالد الخشرمي، % 99 (مطابع السروات، جدة، 2013). ومن الكتب التي جمعت النصوص وقدمتْ دراسة نقدية لها، انظر: عبد الرحمن المحسني، خطاب الـsms الإبداعي دراسة في تشكلات البنية (صدر عن دار المفردات، الرياض، عام 2008).

2 محمد السحيمي:كاتب وأديب، ولد في المدينة المنورة 1966، يحمل درجة ماجستير اللغة العربية في النقد الأدبي الحديث من جامعة الملك سعود، حاز جائزة أفضل كاتب مسرحي في مهرجان التراث والثقافة بالجنادرية. له مجموعات قصصية وإسهامات في مجال الدراما. (موقع الكاتب في صحيفة الوطن السعودية).

3 رسالة واتس آب أرسلها القاص محمد السحيمي للباحث، (6 - سبتمبر - 2017م، WhatsApp).

- لا بكره من (كادوا) له! - جمعة مباركة كشفت لكم سرها..1

والرسالة السابقة تبدو مهمة في كشف أسباب وجود فكرة تلك الرسائل، كما تُبيْن عن طرف من مرتكزات بنية رسائله الدلالية والفنية، التي سيوضحها البحث فيما بعد. وهي تقترب في عمومها من الرسائل الإخوانية التي عُرفت في الأدب العربي، ويعرفها القلقشندي بقوله: «الإخوانيات، وهي جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان، جمع أخ، والمراد المكاتبات الدائرة بين الأصدقاء»2، وهي لون من الرسائل عُرف في الأدب العربي منذ نشأته3، بيد أنّ رسائل السحيمي تنقل صورة الرسائل الأدبية القصيرة جداً التي ظهرت مع ثورة الاتصال المعاصرة، وتحمل خصائص عصرها، ونقف هنا لتحليلها وفق مساراتها البنائية والفنية:

1 - **عناصر الرسالة التقنية:** لا تختلف الرسالة التقنية عن الرسالة التقليدية في أغلب سماتها المكوّنة وعناصرها؛ إذ تنشأ الرسالة عادة من مرسِل إلى مرسَل إليه، بعناصر محددة تقتضيها المرسَلة، بسياق وشفرة وقناة توصيل، بيد أنّ المتلقي في الرسالة الأدبية الورقيّة غالباً معينٌ في حين أنّه في الرسالة التقنيّة غير محدد في الأغلب، فقد يكون واحداً وقد تكون الرسالة لعدد كبير من الأصدقاء، تُبعَث لهم بطريقة جمعيّة إلكترونية، يجمعهم عنوان أفق واحد (الأصدقاء). وظاهر من ديمومة رسائل (المرسِل - السحيمي) في شكل رسالة أسبوعية كلّ صباح جمعة لسنوات، أنها ليست فردية تختص متلقياً واحداً، ولكنّها تمثّل رسالة جمعية لعدد من المستقبلين. وهو بالطبع ليس عدداً منفتحاً بلا قيود يعرفها المرسِل، بل هو عدد محدد يعرفه ويختاره بعناية لبثّ رسالته إليهم، على أنّ هذا لا يمنع في التقنية من انفتاح النصّ لأمد من المتلقين غير محدود. وعموم

1 محمد السحيمي، الموضوع: في مثل هذه الجمعة قبل ثلاث سنو)07 - 11 - 2008، sms).

2 صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج8، ص(126).

3 انظر مقدمة مهمة لتاريخ فن الترسل في الأدب العربي: خيرة بن غوتي، فتيحة عبد اللاوي، فن الترسل في العهد الرستمي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013) ص (11-67).

تلك الرسائل يرتبط بسياق عام يربط أطراف الرسالة، وهو سياق زمكاني ينتمي للعصر الحديث، ويتحدد زمنياً في نموذج الدراسة من عام 2007م حيث بدأت هذه الرسائل. كما يشير البحث إلى ما يسمى بالزمن الفيزيقي الذي يتصل بالتقنية الحاملة لهذه الرسائل وهي تقنية الهاتف المحمول التي ظهرت مع ثورة اتصالات كبيرة، بدأت باختراع أنطونيو ميوتشي الهاتف عام 2002م1، الذي يعد منعطفاً محورياً في التاريخ الإنساني، وتلك الرسائل التي يتناولها البحث ترتبط بهذا الحامل التقني الذي يُلقي بظلاله التكوينيّة والفنيّة على النصّ، ويعد عاملاً أساساً من عوامل وجود هذه الرسائل. وثمة أيضاً سياق الثقافي لتلك الرسائل النصية النموذج، وهو سياق يمس كلّ رسالة على حدة كما سيوضح البحث. وهذا السياق يبنى على شفرات واصلة بين المرسل والمتلقي، ونؤكد هنا على أنّ كلّ رسالة منها تتصل بوشائج وشفرات رابطة يعيها المرسِل ويبني تلك السنن في وعيه قبل أن يبعث الرسالة إلى متلق يمثل الطرف الآخر المتفاعل، والسحيمي قبل أنْ يبعث رسالته أو يحدّد المجموعة التي يختصها بالرسالة، قد تأكّد لديه بأن ثمة روابط واعية بدونها لا معنى لرسالته. وفيما يخص العنصر السادس من أركان الرسالة وهو القناة، يمكن أن نشير إلى أن الرسائل،النموذج هنا، تتوسل في تأثيرها على المتلقي بثلاث قنوات، الأولى، القناة الفيزيقية الناقلة، وهي تقنية الرسائل النصية (sms)، والتقنية الثانية هي تقنية اللغة الواصلة وهي هنا العربية التي تمثل رابطاً بين المرسل والمستقبل لكلّ رسائله، والقناة الثالثة هي الأربطة الفنية والجمالية التي توافرت عليها الرسالة وهي عامل من عوامل قيمتها.

2 - **العنوان - بنية الغياب:** تُعنى التجربة الأدبية المعاصرة بالعنوان الذي يشكل هُوية وعتبة مهمة في كلّ التجارب الأدبية المعاصرة شعرية

1 المعجم الوسيط (من إصدارات مجمع اللغة العربية في القاهرة،الطبعة الخامسة، 2011)، مفردة (هاتف).

أو نثرية 1، أمّا في الرسائل الأدبية النصيّة المعاصرة sms فيبدو الأمر مختلفاً، حيث تشهد العنونة في عموم النصّ غياباً، إذ هي رسائل لها عنوانها الأفق 2، ونعني به وجود عنوان عام يمثّل شفرة تواصل واعية بين المرسِل والمتلقي، ووجود مثل هذا العنوان الذهني يجعل العنونة تكلّفا لا قيمة كبيرة له في هذا الفنّ3. إضافة إلى أنّ المساحة النصيّة على شاشة الهاتف تضغط باتجاه التكثيف الذي تفرضه التقنية من جهة، والعوامل الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة من جهة أخرى.

3 - **بناء الدلالة:** تقوم الدلالة هنا على نسقين عامين يرتكزان على ثنائيتي (التشاؤم - التفاؤل)، مع فتح الرسالة امتداد الاتصال مع المتلقي4 باعتباره ركناً مهماً من أركان العملية النصية الإبداعية، لتكون الرسالة ومضة أدبية لا تقف عند حدود كلماتها، بل تنفتح مع المتلقي الذي يتابع قراءة النص وإتمامه ذهنياً وربما كتابياً. وقد حرص السحيمي على تنمية تلك الخاصية في جلِّ نصوصه التي جاءت في أغلبها مبنية على ثنائيات، طرفها حاضر متفائل في النص المكتوب، وطرفها الآخر غائب يحرِّك مستوى المعنى الكامن الذي يستدعي مساحة ذهنية أوسع من النص الحاضر، يتشكل بظروف المتلقي ومستواه التكويني. واتخذ لتدعيم هذه الرؤية المتفائلة عدة مدارات تصوّر الحياة المعاصرة ورؤيته لها، فشبهها في إحدى رسائله بدائرة فارغة، يرسم فيها المرء ما يشاء، واستعان بمفردة (طفلة ترسم)

1 بسام قطوس، سيمياء العنوان (أربد، مكتبة كتانة، ط1، 2001). وانظر: عبد الله سالم الرشيد، مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي (نادي القصيم الأدبي، ط ا،2008) ص (11 وما بعدها).

2 انظر: عبدالرحمن المحسني، خطاب الـsms الإبداعي دراسة في تشكلات البنية، ص(78(. وانظر: عبد الرحمن المحسني، مقال: (جُمُعَات محمد السحيمي)، صحيفة الجزيرة الثقافية، (عدد - 16433 - 16466 السبت 21و 28 - أكتوبر - 2017م). وجمع مفردة(جمعة) جُمع وجُمُعَات، انظر: معجم المعاني الإلكتروني، مفردة (جمعة).

3 اختار البحث لرسائل السحيمي من لدنه عنوان (جُمُعَات محمد السحيمي) ونشر فكرة الدراسة بذات العنوان في مقال بصحيفة الجزيرة الثقافية، (عدد - 16433 - 16466 السبت 21و 28 - أكتوبر - 2017م). وجمع مفردة (جمعة) جُمع وجُمُعَات، انظر: معجم المعاني الإلكتروني، مفردة (جمعة).

4 تركز النظريات النقدية الحديثة على التلقي والمتلقي، انظر تفصيلاً مهماً حول هذا في كتاب: حسن البنا عزالدين، قراءة الآخر - قراءة الأنا، نظرية التلقي وتطبيقاتها (سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط 1، القاهرة، 2008) ص 17 وما بعدها.

لتذكير المتلقي بأنه كان يوماً ما طفلاً بريئاً يرسم أحلامه ببراءة كسائر الأطفال، وأنه يمكنه أن يتابع رسم حياته المتفائلة بنفسه، يقول: «حياتك دائرة فارغة أنت من يرسم ملامح - وجهك فيها.. - جمعتك طفلة تخطف الريشة وترسم ثغراً باسماً وتهرب مكركرة..»1

الرسالة هنا تتوسل بالفنية الداعمة لرؤيته، حيث بناء النصّ الموجز جداً على الصورة المتخيلة التي جعل بها الحياة كلّها في هيئة دائرة فارغة كبيرة، وجعل للمرء الحرية أنْ يرسم صورته التي يريد. وهو يلتقطُ ذات الفكرة في منحى تصويري ثنائي آخر في رسالة له تقول: «إذا ساءت الرؤية يمكنك اتهام الجوّ أو طبيب العيون - أو مساحات السيارة - ولكن - من تتهم إذا ساءت الرؤى؟ - جمعة مباركة من غير سوء..2

المفردتان المركزيتان في الرسالة السابقة هما (الرؤية البصرية - والرؤى الفكرية)، والسحيمي يرى سهولة تحسين الرؤية البصرية بطرق مادية، بإزاء الصعوبة البالغة لتغيير الرؤى الفكرية، ملمحاً إلى تجانس المفردتين لغوياً وشتاتها دلالياً. ورسائل السحيمي وهي تعتمد هذا البعد الثنائي تجعله ظاهرة؛ إذْ تقوم في معطاها الدلالي العام على بثّ الروح المتفائلة، وعلى دور المتلقي ذاته في صناعة رؤيته التي تنعكس بالتالي على مجتمعه، ونراه في مساحة نصيّة أخرى يقترح على المتلقي رؤية استشرافية تجعله يتخيّل مشكلته التي يعيشها بعد فترة من الزمن، ولتبعث الرسالة رسالة ضمنيّة مرادفة بأنّ الحياة لا تتوقف عند مشكلة، وأنّ الزمن وحده كفيلٌ بمحو آثارها، تقول الرسالة: «مهما كانت المشكلة تخيل،كيف - ستتحدث عنها بعد عشرين عاماً؟ - جمعة مباركة متفائلة عشرين عاماً - وإنْ زدت فمن عندك؟»3. ويلتقط السحيمي فكرة زمنية يسخِّرها لبث وهج متفائل آخر قائم على الزمن، متكئاً على حركة الصورة، ويختم رسالته

1 محمد السحيمي، الموضوع: حياتك دائرة فارغة أنت من يرسم (31 - 10 - 2008، 9:14 ص، sms).
2 محمد السحيمي، الموضوع: إذا ساءت الرؤية يمكنك اتهام الـ (10 - 10 - 2008،8:15 ص، sms).
3 محمد السحيمي، الموضوع: مهما كانت المشكلة تخيل كيف ست (05 - 09 - 2008، 5:47 ص، sms).

بما يثير الابتسامة لتحقيق الفعل المتفائل قصداً (القابلة - الداية - محمد السحيمي)، تقول الرسالة: «شعبان انتهى بـ(عيد الأسبوع) - وشوال يبدأ بـ(عيد الفطر) - وفي رمضان يفضي بعض العيدين إلى بعض - لنولد نحن من جديد.. - القابلة \ الداية \ محمد السحيمي !!»1.

وفيما يتناوله الناس من الفكرة الثقافية التي تربطُ الحياة بالمشقة، وأنها ليست مفروشة بالورد، نجد محمد السحيمي يزحزح المفهوم القارّ باتجاه رؤية مضادّة تغير بناء التركيب، وتفتح الإجابة بسؤال يكسر به أفق المعهود، متكئاً على رؤية المتلقي حيث تقول رسالته: «الدنيا ليست مفروشة بالورد - وليست مفروشة بالشوك، فبم تقترح فرشها؟ - جمعة مباركة مفروشة عفوا وغفرانا..»2.

وفيما يشبه هذا، ترتكز الثنائية في الرسالة التالية على مفردتين تَظهران في الواجهة، ثم يدَع للمتلقي أن يُسهم في توقع بناء الثنائية المضادة، يقول: «السعادة لا تعني عدم الألم.. - هل يمكن قلب هذه العبارة؟ - جمعة مباركة تحاول ذلك..»3

ويوظف التصوير المركّب لبناء الثنائية في نموذج رسالة تجعل الحياة شمساً تطهّر الكونَ مهما كانت أوحال الحياة من حولك: «حينما تسطع الشمس في الوحل - فإنْ لم تطهره فلن يلوثها.. - جمعة مباركة أنت شمسها وليكن الوحل ما يكون..»4

وفي بناء صوْري آخر يقول: «جمعتك نعناع مدني يكيف حتى من يقطعه..»5

تقوم وجهة الدلالة في رسائل السحيمي على ثنائية تقابلية: التشاؤم - التفاؤل، من خلال عدة أنساق فنية، وهذا التركيز على بؤرة دلالية حفرية

1 الموضوع: شعبان انتهى ب(عيد الأسبوع) وشو(29 - 08 - 2008، 11:18 ص، sms).
2 محمد السحيمي، الموضوع: الدنيا ليست مفروشة بالورد وليس (12 - 09 - 2008، 9:36ص، sms).
3 محمد السحيمي، الموضوع: السعادة لا تعني عدم الألم.. (08 - 08 - 2008، 9:07 ص، sms).
4 محمد السحيمي، الموضوع: حينما تسطع الشمس في الوحل فإن (19 - 09 - 2008، 8:14ص، sms).
5 محمد السحيمي، الموضوع: جمعتك نعناع مدني يكيف حتى من ي (25 - 07 - 2008، 8:21ص، sms).

محددة يقترب مما يعرف في نقد السرد بالتبئير، وهو محاولة حصر الموضوع برؤية يرتكز السرد في الرسالة عليها 1.

4 - البنية الجمالية للرسالة: الرسائل الأدبية التقنية القصيرة جداً التي يولّي البحث اهتمامه لها تركّز على تلك الرسائل التي»تسعى إلى ترك الانطباع بوجود انفعال صادق أو متصنع، فتحقق الوظيفة الانفعالية بمصطلح مارتي، أو تركّز على المتلقي فتحقق التأثيرية، أو على الرسالة ذاتها فتحقق الشعرية التي تروم عند جاكوبسون الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية عملاً فنياً2. فهي بالتالي بحث في أدبية الخطاب الأدبي 3، وبرأي حسن ناظم فإنّ الشعرية هي قوانين الخطاب الأدبي، إذ يرى «أنّ الشعريات الحديثة لم تنحصر في مجال نظريات الأدب، بل اتسعت لتشمل فنوناً إبداعية أخرى منها الفن التشكيلي والفن السينمائي، كما اتسع المدى أكثر فأكثر ليصل البحث في شعرية الأشياء كما عالجها غاستوان باشلار في «جماليات المكان» وشعرية التصورات الذهنية كما عالجها كمال أبو ديب في نظرية الفجوة...»4. وغاية الأمر أن مفهوم الشعرية يتسع ليشمل كلَّ موضع يمكن أن يبعث الشعور ويحركه. ورسائل السحيمي في هذا الإطار تبدو نصاً أدبياً يتقصد-مع الرسالة التوصيلية - الجمالية والتأثير في المتلقي. وبناء الرسالة الأدبية عنده يعتمد عدة مسارات فنية تقوم على حركة اللغة والتصوير في تقديم رؤية تتمثّل الاختلاف، سواء ما يتعلّق بالثنائيات الضدية التي تحقق إبداعية المستوى الفني والإيقاعي كما سبق، أو كان ذلك باعتماد اللغة التصويرية الفنية التي تستثير خيال المتلقي في تتبع ملامح الصورة التمثيلية المركبة. ولكن

1 انظر في التبئير وأنواعه: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن، السرد، التبئير، (المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1997، ص(296-300).

2 انظر: جاكوبسون وآخرين، التواصل نظريات ومقاربات، ص -60 72

3 انظر: خولة مبروك بحث: الشعرية بين تعدد المصطلح واضطراب المفهوم، مجلة المخبر، أبحاث في الأدب واللغة، الجزائر، العدد التاسع، 2013م) ص 368.

4 انظر: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمناهج (المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط1، 1994) ص (15).

الفنيّة تبقى مرتبطة عنده في العموم بهاجس بناء التفاؤل الذي يشبهه في إحدى رسائله بالشمس التي تطهر ما حولها «حينما تسطع الشمس في الوحل فإنْ لم تطهره فلن يلوثها..1.

وقد تبنى الفنية عنده على استثارة خيال المتلقي بالمتضادات الذهنية القائمة على تداخل الحواس، كما في رسالته القائمة على تصوير النعناع المدني الذي لا يفتأ يبعث السرور برائحته العبقة حتى لمن يقطعه، «جمعتك نعناع مدني يكيف حتى من يقطعه»2، محدثاً انزياحاً3 فنياً على مستوى البنية، وليبعث برسالة ضمنية موازية، تتصل بالمكان وإنسان هذه المدينة المنورة. وقد يقيم الاستثارة الفنية على بنية لغوية تحرك ذهن المتلقي لتتبع صوابها، كالذي نجده عنده في النحت اللغوي لمفردة(جمعن - رمضن)، يقول: «(جمعن) الله رمضانكم كما (رمضن) جمعتكم..»4، وفي إطار البناء على حركة اللغة أيضاً نجد نموذج رسالة له يجعل بها حروف الجر تجتر معانيها المختلفة في صراع الحياة: «بين ما (تريد) وما (يراد) لك – بك – منك – معك، صراع اسمه: الحياة...» 5.

وتقوم الرسائل النصية القصيرة جداً على جملة من الخصائص التركيبية، يأتي من أهمها الإيجاز الذي يعدّ قيمة إبلاغية عربية، كما سبق القول. جاءت الرسائل الأدبية التقنية المعاصرة بدعمها في الكتابة، معزَّزَة بإلزامات المساحة الكتابية على الأجهزة المحمولة من جهة، وعوامل اقتصادية واجتماعية من جهة أخرى. ونموذج رسائل السحيمي هنا، وإنْ كانت ذات طابع وجداني إخْوي يقتضي الإطناب، لكنّ إلزامات تقنية الـ sms جعلت الإيجاز سمة متقصَّدة لذاتها؛ فالنصوص في مجملها تنحو

1 محمد السحيمي، الموضوع: حينما تسطع الشمس في الوحل فإن (19 - 09 - 2008، 8:14 ص، sms).
2 محمد السحيمي، الموضوع: جمعتك نعناع مدني يكيف حتى من ي (25 - 07 - 2008، 8:21 ص، sms).
3 انظر في معايير الانزياح الداخلية والخارجية: ريحان المساعيد، الانزياح في شعر الحطيئة، دراسة أسلوبية (دار ورد الأردنية، ط1، 2015)، ص(33-35).
4 « محمد السحيمي، الموضوع: (جمعن) الله رمضانكم كما (رمضن)، (21 - 08 - 2009، 11:02 ص، sms).
5 محمد السحيمي، الموضوع: بين ما (تريد) وما (يراد) لك – ب (14 - 11 - 2008، 9:17 ص، sms).

التكثيف والقصر الذي «يفترض بحضوره عدداً من العناصر والتقنيات على مستوى اللغة في التركيب والمفردة والجملة»1، فيعتمد تارة على التصوير الفني القائم على التشبيه التمثيلي الذي يختزل الدلالة في صورة، يقول في رسالة له تقول:» العيد طلق صناعي لنولد من جديد.. - جمعة مباركة كما ولدتها أمها..2

ويعتمد أيضاً على خاصية الحذف والتوقف الفني، التي تمنح السرد فضاءات أدبية مهمة، يقول عن بابها عبد القاهر الجرجاني: «باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن»3، وهي عبارة نفيسة تبيْن عن وعي نقادنا القدامى بأهمية خاصية الحذف ودورها في البناء الجمالي للنص، وهي خاصية تعتمد عليها الرسائل النصية الأدبية المعاصرة تحديداً بدوافع من تلمس الجمالية الفنية من جهة، إضافة إلى عوامل اجتماعية اقتصادية واجتماعية من جهة أخرى، حيث كلفة الرسائل الماديّة وسرعة إيقاع العصر. ويأتي الحذف أو التوقف الفني عند نقطة قلقة في النص عند السحيمي، لفتح أفق التلقي، واجتلاب وعي القارئ، موظفاً عدة أبنية فنية داعمة، وخاصة الاستفهام والسؤال كما في قوله: «مهما كانت المشكلة، تخيل، - كيف ستتحدث عنها بعد عشرين عاماً؟»4.وهو استفهام يمثل فضاء منفتحاً على عدة إجابات، ولئن كان قد فتَح الإجابة هنا بالعبارة التالية لها: (جمعة مباركة متفائلة عشرين عاماً، وإنْ زدت فمن عندك؟)، لكنّ دور المتلقي يبقى قائماً في إتمام تصورات الرسالة، وجاء بالاستفهام قصداً ليبقي الرسالة منفتحة أمام تصورات المتلقي، ومن

1 أحمد جاسم الحسين، القصة القصيرة جداً، ص 52.
2 محمد سحيمي، الموضوع: العيد طلق صناعي لنولد من جديد (12 - 12 - 2008، 9:47 ص، sms).
3 دلائل الإعجاز، (قرأه وعلق عليه محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984) ص(146)، وانظر: بوجمعة جمي، ظاهرة الحذف في شعر البحتري، ص(24-45).
4 محمد السحيمي، الموضوع: مهما كانت المشكلة تخيل كيف ست (05 - 09 - 2008، 5:47 ص، sms).

نماذجها أيضاً قوله: « وليكن عامك المنصرم سبورة قاتمة - فهل ستكتب عليها بلون قاتم أيضاً: - عام جديد عام سعيد؟ - جمعة مباركة تكتب بالنور على النور..»1. وكرسالة له تقول: «يهرب من الشمس إلى الظل، ومن البرد إلى المدفأة.. - ولكن أين يهرب من نفسه من يريد العزلة؟ - جمعة مباركة..»2.

وفي كلّ نماذج رسائل السحيمي تقريباً نجده يقف بها عند نقطة قلقة ليستدعي قلق التلقي بالسؤال. والسؤال قيمة كبيرة في مشروع المعرفة، وقد أفردت له البلاغة العربية مساحة كبيرة3، وأكّده القرآن وحثّ على منهجيته وإشكالاته، ووجود الإنسان محصور بين السؤال والتساؤل» 4، ويبدو أن هذه الخاصية الأسلوبية تتخذ بعداً مركزياً في تصورات السحيمي، فهو يقول في إحدى رسائله محتفياً بقيمة السؤال وتفكيكه: «ستفكك المشكلة مهما كان حجمها - بمجرد تحويلها إلى أسئلة.. جرب الآن.. - جمعة مباركة حافلة بـ (كيف) وأخواتها 5.

5 - **الزمن** :يعتمد السرد في عمومه على الزمن، وبرأي سعيد يقطين فإنّ» كلّ مادة حكائية ذات بداية ونهاية تجري في زمن، سواء كان هذا الزمن مسجلاً أو غير مسجل كرونولوجيا أو تاريخياً6. والرسائل النصية القصيرة جزء من السرد، وبرأي رولان بارت فـ»إن أنواع السرد في العالم لا حصر لها... والسرد حاضر في الأسطورة وفي الحكاية الخرافية (legend) وفي الحكاية على ألسنة الحيوانات وفي الخرافة، وفي الأقصوصة والملحمة والتاريخ، والمأساة والدراما، والملهاة، والبانطوميم 7،

1 محمد السحيمي، الموضوع: وليكن عامل المنصرم سبورة قاتمة (02 - 01 - 2009، 11:01 ص، sms).
2 محمد السحيمي، الموضوع: يهرب من الشمس إلى الظل، ومن الب (21 - 11 - 2008، 9:41 ص، sms).
3 انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص(111-123(.
4 انظر: صالح الزهراني، مقال(السؤال المعرفي) جريدة المدينة، جدة،(الإثنين 9 - ربيع الأول - 1439 - 27 - نوفمبر - 2017).
5 محمد السحيمي، الموضوع: ستفكك المشكلة مهما كان حجمها ب (26 - 09 - 2008، 7:39 ص،sms).
6 انظر: تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير، ص(89). والكرونولوجيا: تقسيم الزمن إلى فترات. انظر: (معجم المعاني الإلكتروني).
7 البانتوميم: فن الحركات الإيحائية أو التمثيل الصامت المؤدى من قبل فنان أو مجموعة فنانين على خشبة

واللوحة المرسومة، وفي النقش على الزجاج، وفي السينما، والكومكس1، والخبر الصحفي التافه وفي المحادثة 2 والرسائل تمثل قناة اتصال ومحادثة عصريّة مكتوبة تشكلُ جزءاً مهماً من السرد المعاصر. والزمن في الرسائل النصية القصيرة التي نحن بصددها يأخذ بعدين، أولهما:

- **الزمن الإلكتروني الإلزامي:** وهو الزمن المصاحب للرسائل ذاتها إلكترونياً، ولا تدخُّلَ للكاتب فيه، ويأتي في تفاصيل كلّ الرسائل المرسلة، كما يبدو في توثيق الباحث للرسائل النصية في الحاشية السفلية. ونلاحظ أن (رسائل السحيمي - النموذج) جميعها يتقارب وقتُها الإلكتروني، حيث تتحرك في مساحة زمنية تبدأ من بعد صلاة الفجر يوم الجمعة إلى قبيل صلاة الجمعة، بين الساعة (5:47 ص- 11:44 ص). (انظر تفاصيل الرسالة في الإحالة الهامشية).

- الزمن الفني الاختياري الذي يوظفه الكاتب، وهو زمن مهم في عمليّة السرد، والزمن في نموذج السحيمي يرتكز على الزمن الديني (يوم الجمعة) الذي ورد في كلّ الرسائل تقريباً، كما أورد في بعض رسائله أزمنة دينية أخرى (شعبان ورمضان - عيد الفطر).

6 - **الفضاء الترسلي**. الفضاءات الفنية البصرية ظاهرة أدبية عامة في العصر الحديث، دعمتها خصائص التقنية. وهي،بالطبع، لا تخص الرسائل النصية التي يظهر فيه تأثير الأداة التقنية الحاملة في بعض الخصائص التي جعلت للرسائل نمطية كتابية ثابتة ترتبط ببعض الإلزامات التشكّيلية التي حثّتْ عليها ظروف اجتماعية واقتصادية دفعت إلى الإيجاز وتوظيف الفضاءات، بحيث تقتصر الرسالة على عدد محدود من الكلمات في كلّ سطر، وقد تنقطع قبل اكتمال العبارة. وهي ظاهرة تجدها هنا في عدد

المسرح» موسوعة ويكيبيديا العالمية.

1 كوميكس: قصة مصورة عبارة عن فن تصويري غالباً يتكون من مجموعة صور تحكي أحداثاً متتابعة تكون قصة» موسوعة ويكيبيديا العالمية.

2 سعيد يقطين، طرائق تحليل السرد الأدبي (منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1، 1992).

من النماذج التي يرى المتلقي أنّ إلزامات لوحة الكتابة على شاشة الهاتف المحمول تجعل المعاني متداخلة، لا يضبطها سوى المساحة الإلكترونية المفروضة على الكاتب.

وقد يفيد من خصائص لوحة المفاتيح بوضع علامات تعبيرية يمكن أن تقرأ سيميائياً كفضاء بصري دال1، كما في نموذج رسالة للسحيمي جاءت على النحو التالي:

*

*

كل الغرائز نفقد الشعورَ بها حين نشبعها إلا غريزة التفكير..

جمعة مباركة فكرا وتفكيرا..2

إذ نراه يبدأ الكتابة بنجمات مستقلة في فضاء سطْري لتفتح أفقاً لما بعدها، حيث المعنى الذي تضمنته رسالة تلك الجمعة يحفِز على التفكير، يقول: «كل الغرائز نفقد الشعور بها حين نشبعها إلا غريزة التفكير.. - جمعة مباركة فكراً وتفكيراً).

ويُلاحظ أيضاً استخدامه النقط بعد السطر الأول والثاني لإعطاء مساحات أخرى للتفكير ومتابعة معطيات الرسالة. ويبدو أن هذه سمة للكاتب في استخدام هذه الفضاءات البصرية حينما يريد أن يفتح أفقاً للتفكر، ولذا نجده يستخدم تلك الطريقة من توظيف النجمة (*) في فضاء سطري حُرّ في النموذج التالي:

*

*

1 ممن تناول التفصيل في الظاهرة : محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (المركز الثقافي العربي، ط1، 2008م).

2 محمد السحيمي، الموضوع:كل الغرائز نفقد الشعور بها حين (28 - 11 - 2008، 10:56 ص، sms).

كل الأحاديث المنسوبة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
إنما نُسبت بالمعنى وجميعها إنْ صحّت
ظنية الدلالة لا يقينية - صباحك ورد –1

والرسالة أعلاه توصيلية تتراجع فيها الأدبية، والفراغات الفنية في الرسالة السابقة تنفتح على الرأي الآخر الذي حركه الاستفزاز النصي للقار المألوف من خلال بنية اللغة في الرسالة من جهة، ومن خلال تلك الفضاءات القصْديّة التي فرضتها مساحة الشاشة التقنية من جهة أخرى. والكاتب هنا، كأنه يفترض رأياً مغايراً أو يتوقع قارئاً ضمنياً بمصطلح آيزر2 يرى أن النصّ النبوي - الذي صحّ عند علماء السند- قطعيّ الدلالة بوحي من الله الذي يقول تعالى وعزّ: «وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى» 3، وبأنّ الكتابة كانت شائعة واعتمد عليها جُمّاع الحديث الشريف، ولذا فهو يضع مساحات مفتوحة للرأي الآخر الذي يتقبله وينفتح نصه عليه.

وبعد، لقد أفسحت التقنية المعاصرة مجالاً لامتداد فنّ الرسائل الأدبية العربية من القديم إلى الحديث، ورسخت القيمية لهذا الفنّ، كما طورت الفنون التي تتسق مع حركتها ووضعت عليها ميسمها وإلزاماتها، إذ نراها تنهض بفنون أدبية كالرسائل القصيرة جداً، وكذا القصة القصيرة جداً، والشعر بأنماطه المتعددة، ووجهتْ بعض الفنون لخصائصها كفنّ رواية الواقعية الرقمية، وهي بجملتها تمثل خصائص النص الأدبي المعاصر التي يصعب تجاوزها، بل يراها الناقد تحدياً حقيقياً تجب مواجهته وتقريه من النقاد والمؤسسات.

وبتتبع البحث حضور الرسائل القصيرة جداً في الأدب العربي تبيّن تشكّل (فن الرسائل القصيرة جداً) بمكونات وخصائص مشتركة وقف

1 محمد السحيمي، الموضوع:كل الأحاديث المنسوبة لسيدنا مح(15 - 11 - 2008، 10:01 ص، sms).
2 فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص (152).
3 سورة النجم، آية (3)

البحث عليها في عصور الأدب العربي المتعاقبة.

الخاتمة:

قدمت هذه الدراسة مشروع تأسيس فن (الرسائل الأدبية القصيرة جداً - (ر.أ.ق.ج)، نقداً ونصاً، حيث تتبعت حركة النص في العصور الأدبية بدءاً من عصر ما قبل ظهور الإسلام إلى العصر الحديث الذي تقاطعت فيه الأدبية والتقنية في إنتاج رسائل نصية انتحت التكثيف والإيجاز فيما عرف بالرسائل النصية sms، التي ظهرت في الأدب المعاصر منذ ثمانينات القرن العشرين الميلادي، وتفاعل الأدباء المعاصرون معها من بعد، وتحولت هواتفهم المحمولة ومواقع التواصل الاجتماعي إلى منصات نشر أغنت في الأغلب عن النشر الورقي. وقد لاحظ الباحث أن خطاً فنياً للرسائل الأدبية تشترك فيه الرسائل الأدبية المعاصرة مع نماذج الرسائل الأدبية القديمة تتبعَه البحث في نماذج من كل عصر، ورأى في فن التوقيعات غناء مهماً، حيث أثبت البحث أن عدداً من نماذجها ينتمي لفن الرسائل النصية القصيرة، من حيث اشتماله على عناصر الرسالة الستة (المرسل - المرسل إليه - الرسالة - السياق - الشفرة - القناة)، إضافة إلى ما يتطلبه البحث من جمالية النص وتكثيفه.

بدأت الدراسة بمهاد، وضح فيه البحث بإيجاز، تطور حركة الرسائل في العصور المختلفة، وقد اقتضى موضوع البحث وحيثياته التأسيسية وضع معايير أربعة، تمثل إضاءات لمسيرة البحث والتحليل للنصوص، وهي (الترسل، الإيجاز، الجمالية، وحدة الموضوع) وفصل في مقتضياتها. ثم جاء المبحث الأول، الذي تناول الرسائل القصيرة جداً في عصور الأدب العربي إلى العصر الحديث، في ضوء دراسة نماذج من كلّ عصر، يوضح البحثُ فيها مكونات كلّ رسالةٍ وعناصر الترسل الستة، إضافة إلى المظاهر الجمالية والخصائص الفنية لكل رسالة. وقد ركّز البحث اهتمامه بفنّ التوقيعات، وأكد انتماء عدد من نماذجه لفن الرسائل القصيرة جداً في

المكونات والسمات. ثم تناول المبحث الثاني امتداد فن الرسائل القصيرة جداً في الأدب المعاصر، من خلال نموذج رسائل محمد السحيمي القصيرة جداً على تقنية sms، التي تمثل صورة لحركة الرسائل النصية القصيرة جداً في الأدب المعاصر في مكوناتها وعناصرها.

وقد اتضح مما سبق من دراسة الرسائل القصيرة جداً في عصور الأدب العربي أننا يمكن أنْ نرسّخ بهذا البحث لمنحى نقدي يؤسس لفن أدبي جديد له سماته الخاصة، يسمى بـ(فن الرسائل الأدبية القصيرة جداً)، ويختصر في رمز (ر.أ.ق.ج)، وهو فنّ حضرت نماذجه في عدد من الكتب الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، بيد أنّ البحث لم يقف عند أيّ تخصيص يذكر لهذا الفنّ وإفراد له بدراسة مستقلة، تتبع نماذجه في عصور الأدب المختلفة، وتدرس خصائصها المشتركة، رغم وجود روابط فنيّة تجعل منه فناً ذا خصوصية وقف عندها البحث، وبينت الدراسة معاييرها. وانتهى البحث إلى نتائج وتوصيات، منها:

أولاً: كشفت الدراسة وجود سمات فنية وتكوينية يرى البحث أنها يمكن أن نؤسس بها لفن(ر.أ.ق.ج) في الأدب العربي. ويمكن أن تتسع الدراسة من بعد لتتناول فن الرسائل الأدبية القصيرة جداً على مواقع التواصل التقني، وخاصة موقع (تويتر) الذي يهتم بمحدودية الكلمات في النص.

ثانياً: بينت الدراسة وفق معايير (ر.أ.ق.ج) أنه يمكن أن نوجه كثيراً من نماذج فنّ التوقيعات-التي عرفت في الأدب العربي بعد عصر صدر الإسلام- إلى دعم فن الرسائل الأدبية القصيرة جداً. وتحليلها وفق نظريات ومناهج التحليل التواصلي الحديث.

ثالثاً: تقوم الرسائل القصيرة جداً على أربعة معايير (الترسل، الإيجاز، الجمالية، وحدة الموضوع).

رابعاً: تبين من الدراسة أن فن الرسائل الأدبية في الأدب العربي يمكن تقسيمه إلى:

الرسائل الأدبية المجموعة، ومن شواهدها رسائل الجاحظ ورسائل ابن المقفع قديماً، ورسائل الرافعي (السحاب الأحمر، وأوراق الورد) في العصر الحديث، وهي في جملتها رسائل طويلة ذات أهداف مختلفة، قد يكون منها الأدبي وغيره، تتكون في الغالب من عدة رسائل قصيرة يضمها مؤلّف مجموع، أو تتشكل في رسالة طويلة. ونماذجها كثيرة في الأدب العربي ويختلف أسلوبها من كاتب لآخر.

الرسائل الأدبية القصيرة، ونعني بها الرسائل الإخوانية في الأدب العربي، وهي رسائل تفاعلية بين اثنين غالباً، كتلك الرسائل التي تضمنتها كتب قديمة مثل صبح الأعشى، ومن نماذجها في العصر الحديث ما نشرته غادة السمان من رسائل أنسي الحاج وغسان كنفاني في كتاب (ورد ورماد).

الرسائل الأدبية القصيرة جداً ورُمز لها بـ(ر.أ.ق.ج)، وهي الرسائل التي وقف البحث عندها وفصّل في مكوناتها وسماتها.

وتوصي الدراسة بضرورة تتبع هذا الخط الفني وترسيخه في الأدب العربي، ومقاربته في ظل مناهج ونظريات التحليل التواصلي اللغوي الحديث، لكشف البنى الفنية للرسائل التي تنتحي جانب التكثيف والاختزال بفعل ظروفها الخاصة في كل عصر وملاحظة تلك السمات في تراثنا العربي. كما توصي الدراسة بضرورة فتح أفق البحث باتجاه فن (رأ.ق.ج) على مواقع التواصل الاجتماعي المعاصرة، وخاصة موقع تويتر الذي يعزز تكثيف الرسالة. متأملاً أن تتاح الفرصة للباحث أو لغيره لتناول سمات هذا الفن على المواقع الأدبية التقنية. والله الموفق.

المراجع:

- القرآن الكريم

الكتب العربية

- أسامة ناصر النقشبندي، حياة الحوري، الأختام الإسلامية في المتحف العراقي. مديرية الآثار العامة، دار الحرية، بغداد، 1974م.

- أمل داعوق سعد، فن المراسلة عند مي زيادة. دار الآفاق الجديد، بيروت، ط1982،1م.

- أحمد جاسم الحسين، القصة القصيرة جدا، مقاربة تحليلية. دار التكوين، سوريا، 2010م.

- أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب. طبعة مصطفى البابي،ط1972،1م، وطبعة المكتبة العلمية لبنان،1937م.

- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي صبح الأعشى في صناعة الإنشا. طبعة دار الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للنشر، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد. دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1987م.

- بسام قطوس، سيمياء العنوان. إربد، مكتبة كتانة، ط1، 2001م.

- بوجمعة جمي، ظاهرة الحذف في شعر البحتري دراسة بلاغية إيقاعية. مطبعة النجاح الدار البيضاء، ط1، 2003م.

- جميل حمداوي، القصة القصيرة جداً في ضوء المقاربة الميكروسردية، ط3، 2017 م، دون بيانات أخرى.

- حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، ديوان شعر. دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

- حسن البنا عز الدين، قراءة الآخر - قراءة الأنا، نظرية التلقي وتطبيقاتها. سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط 1، القاهرة، 2008م.

- حسن ناظم، مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمناهج. المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط1، 1994م.

- حسين المناصرة، أميمة الخميس(تحرير) القصة والقصة القصيرة جداً في الأدب السعودي. كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض، 2013م.

- خالد الخشرمي، % 99. مطابع السروات، جدة، 2013 م.

- ريحان المساعيد، الانزياح في شعر الحطيئة. دراسة أسلوبية، دار ورد الأردنية، ط1، 2015م.
- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير). المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1997م..
- « طرائق تحليل السرد الأدبي. منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1، 1992م.
-شوقي ضيف، العصر العباسي الأول. دار المعارف، القاهر، ط3، 1966م.
-صالح الهادي بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم مشروع قراءة شعرية. دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007م.
- عبد الرحمن بن حسن المحسني، خطاب الـsms الإبداعي دراسة في تشكلات البنية. دار المفردات، الرياض، 2008م.
- عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط8، 2003م.
عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز. قرأه وعلق عليه محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دون تاريخ نشر.
-عبد الله سالم الرشيد، مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي. نادي القصيم الأدبي، ط ا، 2008م.
- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة..
- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي. المركز الثقافي العربي، المغرب ولبنان، ط1، 2006م.
- لمياء باعشن، زوايا الدائرة رسائل الهاتف الجوال بقلم نخبة من أصحابه. ط1، 2008م.
- محمد الدروبي وصلاح جرار، التوقيعات الفارسية المعربة.منشورات جامعة آل البيت، 2000م.
- محمد حسين بصبوص وآخرين، الوسائط المتعددة تصميم وتطبيقات. اليازوري، الأردن، الطبعة العربية، 2004م.
- محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث. المركز الثقافي العربي، ط1، 2008م.

- محمود أبو ريه لكتابه: من رسائل الرافعي. دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968م.
- محمود مقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام. دار الفكر العربي المعاصر، بيروت، دمشق،ط1، 1993م.
- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية.دار المعارف، القاهرة، ط5، 1987م.

الرسائل النصية القصيرة (حسب ترتيب ورودها في البحث) :

- محمد السحيمي، الموضوع:جمعتك نعناع مدني يكيف حتى من ي، 25 - 07 - 2008، 8:21 ص، sms.
- محمد السحيمي، الموضوع: إذا ساءت الرؤية يمكنك اتهام ال،10 - 10 - 8:15،2008 ص، sms.
- محمد السحيمي، الموضوع: الدنيا ليست مفروشة بالورد وليس،12 - 09 - 2008، 9:36، sms.
- محمد السحيمي، الموضوع: حينما تسطع الشمس في الوحل فإن،19 - 09 - 2008، 8:14 ص، sms.
- محمد السحيمي، الموضوع: مهما كانت المشكلة تخيل كيف ست،05 - 09 - 2008، 5:47 ص، sms.
- محمد السحيمي، الموضوع: يهرب من الشمس إلى الظل، ومن الب،21 - 11 - 2008، 9:41 ص، sms.
- محمد السحيمي، الموضوع: بين ما (تريد) وما (يراد) لك – ب،14 - 11 - 2008، 9:17 ص، sms.
- محمد السحيمي، الموضوع:حياتك دائرة فارغة أنت من يرسم، 31 - 10 - 2008، 9:14 ص sms.
- محمد السحيمي، الموضوع:ستفكك الشمكلة مهما كان حجمها ب، 26 - 09 - 2008 7:39 ص، sms.
- محمد السحيمي، الموضوع:كل الأحاديث المنسوبة لسيدنا مح، 15 - 11 - 2008، 10:01 ص، sms.
- محمد السحيمي، الموضوع:كل الغرائز نفقد الشعور بها حين، 28 - 11 - 2008، 10:56

ص، sms

- محمد السحيمي،الموضوع:السعادة لا تعني عدم الألم..، 08 - 08 - 2008، 9:07 ص، sms.

- محمد سحيمي، العيد طلق صناعي لنولد من جديد،12 - 12 - 9:47،2008 ص،sms

- محمد السحيمي، (جمعن) الله رمضانكم كما (رمضن)، 21 - 08 - 2009، 11:02 ص، sms.

- محمد السحيمي، الموضوع: شعبان انتهى ب (عيد الأسبوع) وشو، 29حي - 08 - 2008، 11:18 ص، sms.

- محمد السحيمي، الموضوع: وليكن عامل المنصرم سبورة قاتمة،02 - 01 - 2009، 11:01 ص، sms.

- محمد السحيمي، رسالة (واتس آب) (6 - سبتمبر - 2017م).

رسائل جامعية:

خيرة بن غوتي، فتيحة عبد اللاوي، فن الترسل في العهد الرستمي (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013) ص(11-67).

رشا النحال، فن الرسائل في العصر المملوكي (رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف عبد الخالق العف، قسم اللغة العربية، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية غزة، 2014م).

(مهى) عبد القادر، و أ.د.جمال مقابلة، الرسائل الشعرية في العصر الجاهلي قراءات في بداية النوع الأدبي، الجامعة الهاشمية، رابط (https: - - eis.hu.edu.jo - deanshipfiles - pub101451756.pdf -).

يوسف بديدة، بلاغة الإيجاز في الشعرية العربية، (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وزارة التعليم العالي، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 2009م)

المخطوطات:

عبد الهادي بن السيد رضوان الأيباري، الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية، (مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم المخطوطات، الوراق أحمد الكلاس، إيداع 00010ن1 مخطوطات وكتب نادرة- 1301هـ،1883).

المجلات المحكمة والمقالات:

- خولة مبروك بحث: الشعرية بين تعدد المصطلح واضطراب المفهوم، مجلة المخبر، أبحاث في الأدب واللغة الجزائر، العدد التاسع- 2013م).
- عبد الرحمن بن حسن المحسني، (الصورة والحالة الشعرية على تقنية (واتس آب) دراسة سيميائية تحليلية (مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، مجلة علمية محكمة، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، المجلد الأول، العدد 13، يناير 2017م.
-حنان عقيل، مقالة، أدب الرسائل من الخطابات الورقية إلى الكتابة الرقمية، صحيفة العرب في لندن (العدد 10561 في 4 - 3 - 2017م،)
-صالح سعيد الزهراني، مقالة: السؤال المعرفي، جريدة المدينة، جدة، (الإثنين، 27 - نوفمبر - 2017).

المراجع المترجمة:

- جاكوبسون ميكي،هابرماس وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، (تصدير عبد الكريم غريب، ترجمة عز الدين الخطابي، زهور حوتي (منشورات عالم التربية، ط1، 2007م.

المرأة في شعر المتنبي بين الموروث الأدبي والتوظيف الوجداني



إعداد:

د. الريح المبارك حاج علي

أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية

كلية التربية - جامعة البطانة

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على الشعر الذي تناول المرأة عند أبي الطيب المتنبي، ومعرفة ما جاء منه على نهج القدماء، وتحديد ما وظف منه توظيفا وجدانيا لتحقيق أهدافالشاعر الخاصة ، وتوصلت إلى نتائج من أهمها أنه تناول أصول المرأة ونسبها وأخلاقها وصفاتها وتأثيرها في قلوب الرجال، وتأثرها بهم، كما رثى بعض النساء لمكانتهن لدى أولياء نعمته، وهجا أخريات نكاية بأعدائه متبعا في بعض ذلك الموروث الأدبي وموظفا للبعض الآخر في تحقيق أهدافه الخاصة ، واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الاستقرائي مستهدية بآراء من سبق، وتوصى باجراء المزيد من الدراسات حول شعر المرأة عند المتنبي في خصائصه الفنية ودلالاته الرمزية وإيحاءاته النفسية.

Abstract:

The study aimed at interpreting and analyzing the poetry wrote by Abo Eltayib Elmotanabbi, that was concerned with women. It also shows the methods he used to reach his own goals. The results showed that the poet has studied the traits, morals and special features of women and how and how they affect men's emotions and hearts as well as the way women are affected by men. He also praised some women and disliked others according to many factors including their status and his personal interests. The study has used an inductive analytical approach that was based on previous opinions. The study also recommends more research to be done about Elmotanabbi's women related poetry and its artistic featuresand symbolic indications.

مازال شعر أبي الطيب المتنبي مجالا خصبا للدراسة في شتى مجالاتها بالرغم من كثرة ما كتب عنه وعن شعره لأنه مالئ الدنيا وشاغل الناس كما قيل عنه، أو كما قال هو عن شعره:

أنامُ مِلْءَ جفُونِي عــنْ شَوارِدِها ويسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَا ويَخْتَصِمُ»[1]

1 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب.ج3ص388

وقد اختارت هذه الدراسة شعر المرأة مجالا للبحث لا من حيث العاطفة والغزل فحسب ولكن بجميع موضوعاته التي عرض لها المتنبي سيرا على نهج القدماء أو طريقته الخاصة التي اتبعها لتوظيف هذا الشعر توظيفا وجدانيا لخدمة أغراضه في مجال علاقاته الخاصة وموقفه من الآخرين ونظرته تجاه المرأة وذلك من خلال تحليل هذا الشعر واستقرائه واستصحاب آراء السابقين الذين انتبهوا لبعض هذه الجوانب.وافتتحت هذه الدراسة بنبذة موجزة تعرف الشاعر.

المتنبي هو» أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي ولد في حي كندة في مدينة الكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة هجرية»1ونسب إلى محلة كندة التي ولد بها.

ألحقه أبوه بإحدى المدارس العلوية فدرس فيها اللغة والشعر ثم سافر به إلى بلاد الشام « فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ومن مدرها إلى وبرها ويسلمه في المكاتب ويردده في القبائل ومخايله نواطق الحسنى عنه وضوامن النجح فيه حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع»2. ولقد أفاد المتنبي كثيرا في تنقله وارتحاله خاصة عندما كان في حلب ومصر وبلاد فارس وكان لاتصاله بالعلماء والأدباء والفلاسفة أثره الطيب في ثقافته مما جعله يبلغ ذروة التجديد والإبداع الشعري.

كانت خاتمة المطاف ونهاية الأحداث التي أخرست لسان الشاعر وطوت صفحة حياته حين « عرض له «فاتك بن جهل الأسدي» فقتل المتنبي وابنه وغلامه بالقرب من دير العاقول وكان ذلك في أواخر رمضان من سنة أربع وخمسين وثلاثمائة للهجرة»3.

1 - الشكعة ، مصطفي، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين، عالم الكتب، بيروت، ط1 عام 1983 م.ص19

2 - الثعالبي، عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، شرح وتحقيق د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1983،1م. ج1ص128

3- العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب.ج1ص4

برز الشعر الذي يتناول المرأة مع نشأة الشعر العربي حيث يفتتح به القصائد وصار تقليدا يسير على نهجه الشعراء، وهو شعر غزلي يتناول العلاقة بين الشاعر وصاحبته فيجمع بين الغزل والنسيب والتشبيب وذكر ديار المحبوب وارتحاله وصار جزءاً من بنية القصيدة العربيةومعيارا من معايير النقد وموروثا واجب الاتباع حتى قال ابن قتيبة: «سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً في ذكر أهلها الظاعنين عنها،ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب «1. وأحيانا يتجاوز الحديث عن المرأة المقدمات إلى ثنايا القصائد لبيان دور المرأة أو وضعها في المجتمع، فقد ذكر عمر بن كلثوم بعضا من ذلك في معرض فخره:

علَى آثارِنا بِيضٌ حِسانٌ نُحاذِرُ أنْ تُقَسَّم أوْ تَهُونا

يَقُتْنَ جِيادَنا ويَقُلْنَ لَسْتُمْ بُعُولَتَنا إذا لَمْ تَمْنَعُونا2

وعلى هذا سار المتنبي وشغلت المرأة حيزا لا بأس به في شعره، وتصدرت افتتاحيات بعض قصائده أحيانا، وسجل بعض آرائه عنها بالرغم عن انشغاله بتحقيق آماله وطموحاته التي لا تترك للمرأة مجالاً واسعا في حياته وبالتالي في شعره، وقد عبر عن ذلك بقوله:

وللخُودِ مِنِّي ساعةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا فَلاةٌ إلى غَيرِ اللِّقاءِ تُجابُ3

وما جاء من غزل في مقدمات بعض قصائد المتنبي كان جريا على نهج الشعراء الذين يفتتحون قصائدهم في مجال المديح بالنسيب، وقد لاحظ ذلك الأستاذ مصطفى الشكعة حين يقول عن نسيب المتنبي:»لم أجد

1 - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص14.

2 - ابن كلثوم، عمرو، ديوان عمرو بن كلثوم، دار صادر، بيروت. لبنان، ط 2004م, ص68

3 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب.ج1ص201

لأبي الطيب مجالا فسيحا اللهم إلا تلك الاستفتاحات التي بدأ بها قصائد المديح، والغزل فيها بارع الفكرة ، جيد الصنعة، دقيق التأليف، له في ذلك أبيات بالغة حد الروعة، ولكنه في الجملة غزل صنعة، وليس غزل روح وإحساس»1 وهذا ما نحس به ونحن نقف على وجهة نظر المتنبي نفسه حين يقرر أن ليس كل ما يقال من شعر غزلي في مقدمة المدح ناتج عن حب حقيقي في جميع الأحوال، فلربما فصاحة الشاعر وطبيعة المناسبة هي التي أملته:

إذا كانَ مَدْحٌ فالنَّسِيبُ المُقَدَّمُ أَكَـــلُّ فَصِيحٍ قالَ شِعْراً مُتَيَّمٌ

لَحُبُ ابْنِ عَبْدِ اللهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ يُبْـدأُ بِـهِ الذِّكْـرُ الجَمِيـلُ ويُخْتَـمُ2

وتأكيدا لهذا فقد ذهب الدكتور أيمن العشماوي إلى أن المتنبي يصطنع الرمز في غزله لآماله وطموحاته عند تعليقه على الأبيات:

لَيالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولٌ طِوَالٌ ولَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلٌ

يَبِنَّ لِي البَدْرَ الَّذِي لا أُرِيدُهُ ويَخْفِينَ بَدْراً مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ3

يقول :»المرأة في هذا المطلع ليست امرأة حسية، كما يتبادر إلى الذهنعند القراءة غير الواعية لرؤية الشاعر، وإنما هي رمز لآماله الحقيقية التي حالت النائبات بينه وبينها، فالشاعر هنا في الحقيقة متلهف على تحقيق أهدافه العظيمة التي تبدو له بعيدة غير متحققة يطمح إليها ولكن طموحه هذا يمتزج بشعور الخوف والرهبة من أن تفلت آماله من بين يديه»4. فالشاعر وإن كان يسير على نهج القدماء في افتتاحه لقصيدته بالغزل إلا أنه يوظف غزله وجدانيا لبيان حاله التي تتشابه مع آماله التي يطمح لتحقيقها وتحول الأيام دونها مثلما تحول دون لقاء صاحبته.

والمتصفح لديوان المتنبي لا يجد له إفصاحاً عن مشاعره الحقيقة، بل

1 - مصطفى الشكعة . فنون الشعر في مجتمع الحمدانين . ص 765

2 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج2ص104

3 - المصدر السابق نفسه. ج3 ص102

4 - أيمن محمد زكي العشماوي. قصيدة المديح عند المتنبي.ص151

يجده متكتما على عواطفه وحياته الخاصة، حيث لا يوجد ذكر لزوجته، ولا إشارة لها من قريب أو بعيد، وهذا الحكم ينطبق على غيرها من النساء حيث لم يسم امرأة تشبب بها أو تربطه معها علاقة عاطفية. وتأسيسا على ما سبق لنا أن نتساءل: هل عرف أبو الطيب الحب وتذوقه حقيقة؟ وهل ما نجده من غزل كان عن تجربة وإحساس؟ أم مجرد صنعة فنية يفرضها الأداء الفني والموروث الأدبي؟ وهل في حياة المتنبي امرأة معينة فرضت حبها عليه، ففاضت هذه المشاعر الدفاقة وهذا الحب النبيل الذي نجده أحياناً في غزلياته؟. وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول أن بعض الباحثين يشير إلى وجود علاقة عاطفية تربط بين المتنبي وخولة أخت الأمير سيف الدولة الحمداني توصل إليها من خلال سيرة المتنبي ووجوده في بلاط الحمدانيين، ومن خلال معاني النفس التي يزخر بها شعره وهذا ما قرره الأستاذ شاكر بقوله: «إن سيف الدولة كان عالماً بما بين المتنبي وخولة وراضيا به، وأنه وعده أن يزوجها له، ثم قعد عن وعده»1. أما الأستاذ كمال عبد الباقي فيعمد إلى جملة من أبيات الغزل التي يمكن صرفها إلى خولة بوجه من الوجوه، معتمداً على معاني النفس، ثم يجمل ما توصل إليه بقوله: «بقي أن أقول أن الشعر الذي قلت أنه ينصرف إلى خولة بظن راجح تركز أكثر ما تركز في ثلاث محطات نفسية من تاريخ أبي الطيب، سنة 341هـ وهو عام الجفوة التي وقعت بينه وبين سيف الدولة ، وفي سنة 346هـ وهو العام الذي نزل فيه مصر وتحول إليها بنفسه وآماله، وفي سنة 351هـ حين خرج من مصر بإخفاق جديد ، وكل ما سبق يقوي القول بأن خولة كانت حاجة من حاجات نفس أبي الطيب في حلب»2 وهذا ما أكده الأستاذ شاكر حين يقول: « وكان أبو الطيب حين فارق سيف الدولة يتلفت قلبه إلى تلك التي خلفها من ورائه وخلف

1 - محمود محمد شاكر. المتنبي السفر الأول. ص335

2 - محمود محمد شاكر. المتنبي في مصر والعراقين .ص60

عندها قلبه وعواطفه ، فأثار في قلبه ذكرى وآلاماً جعلت الدنيا تضيق بها نفسه وتضجر بها.»1 وما ذكر يشير إلى توظيف المتنبي لشعره العاطفي وتظيفا وجدانيا للتأكيد على وفائه للعلاقة التي تربطه بأولياء نعمته.

لقد شغف المتنبي بالحديث عن نساء العرب أيما شغف ، وانصرف تماما عن الجواري والإماء اللائي كانت لهن منزلة كبيرة في العصر العباسي، ومرد ذلك لدماء العروبة التي يتجري في عروقه في عصر اختلطت فيه الدماء، وكثر فيه المولدون والموالي والأعاجم، وتعاظم نفوذهم في شتى المجالات، وصار مهدداً للعرب والعروبة في صميم وجودهم، ولما «كان المتنبي يدافع عن العروبة بكل ما فيها من قيم ومثل من خلال شعره»2 فلا غرو أن يختار المرأة العربية التي تنجب الرجال العرب ويقصر الحديث عنها ويعتز بذلك وهو أمر طبيعيفي الموروث الأدبي، لكن ما يلفت النظر اختيار المتنبي المرأة العربية محورا لشعره في زمان كثر فيه الإماء والجواري وكثر الحديث عنهن مما يشير إلىالتوظيف الوجدانيلهذا الاختيار الذي يؤكد موقف المتنبي المتأصل من العروبة ومحاربته للعجم حتى في مجال العواطف والمشاعر التي لا يحول دونها الجنس أو العنصر.

ويتجه المتنبي صوب البادية معدن نساء العرب، ويعيش فيها حينا من الدهر، فيلم بمثل وقيم الأعراب ونسائهم، ويتعلق قلبه بنساء البادية، فيجري الحديث عنهن في مقدماته الغزلية كمثل قوله:

هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تمدد له طنبا3

ويعلن عن تعلقه بالجمال الفطري الذي تميزت به نساء البادية اللائي لا يعرفن الزينة المصطنعة ويفضلهن على نساء المدينة اللائي يعتمدن في زينتهن على ما أتت به الحضارة:

ما أَوْجُهُ الحضَرِ المُسْتَحْسِنَاتِ بِهِ كَأَوْجُهِ البَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيبِ

1 - المصدر السابق نفسه.ص60
2 - هادي نصر . مع المتنبي في شعره الحربي.ص27
3- العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج1ص122

حُسْـــــنُ الحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ وفِي البَداوَةِ حُسـنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ
أَيْـنَ المَعِـيزُ مِـنَ الآرَامِ نَاظِـــرَةً وغَيْرَ نَاظِرَةٍ فِي الحُسْنِ والطِّيبِ1

وهنا يركز الشاعر على عروبة المرأة وبداوتها ويوظف غزله في تأكيد هذه الحقيقة ومن ثم يجعل غزله بالبدويات رمزا لها خاصة إذا لاحظنا أن أغلب هذا الغزل نجده في مقدمات القصائد التى مدح بها غير العرب أو تلك التي قيلت في بواكير صباه قبل أن يصحب « سيف الدولة الحمداني» ولهذا يرى فيه «طه حسين» حنينا من المتنبي «إلى حياته في شمال الشام حيث البداوة اغلب من الحضارة وحيث البأس أظهر من اللين وحيث المخاطرة والمغامرة والتعرض للمكروه»2 فصار غزله هذا رمزاً وايحاءً لحياته وسابق عهده بالبادية وتوظيفا يسترد به بواكير حياته في بادية الشام.

ثم يستخدم شعره الغزلي في وصف المكان الذي تسكنه نساء البادية مشاركة مع الوحوش، ويصف أهلها وجيرانها الذين يحرسونها من كل من يتعلق قلبه بهن ويحاول الوصول إليهن:

قَدْ وَافَقُوا الوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهَا وخَالَفُـوهَا بِتَقْوِيضٍ تَطْنِيبِ
جِـيرَانُهَا وهُـمْ شَـرُّ الجِـوَارِ لهَـا وصَـحْبُهَا وهُـمْ شَـرُّ الأَصَاحِيبِ
فُـؤَادُ كُـلِّ مُحِبٍّ فِـي بُيُوتِـهِمْ ومَـالُ كُـلِّ أَخِيذِ المَـالِ محروبِ2

ويقف طه حسين عند هذه الأبيات ويعلق عليها مقرراً أن المتنبي : «أراد أن يرضي أهل البادية وأصحاب الأدب والمشغوفين بالجمال والبأس معاً والمحتفظين بالسنة البدوية القديمة في سيرتهم العملية والعقلية جميعاً»3. وما ذهب إليه طه حسين يؤكد وجدانية هذاالتوظيف في الغزل لإرضاء فئة لها رؤيتها الخاصة. وقد أكد موهوب مصطفاي أن المرأة البدوية ذات المنعة والشرف هي التي توحي بالجمال لأبي الطيب وتملأ قلبه به

1 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج1ص180
2 - المصدر السابق نفسه. ج1ص178
3 - طه حسين . مع المتنبي. ص358

ويلاحظ ذلك في قوله: «أما المرأة التي توحي له بالجمال الأمثل فهي من طبقة رفيعة، إذ تنسب إلى سادة قومها وأمرائهم، فهي عزيزة الجانب محمية الشرف»1. تتوفر لها الحماية في حالتي الحل والترحال:

مَنِ الجَآذِرُ فِي زَيِّ الأَعَارِيبِ حُمْرُ الحُلِيِّ والمَطَايَا والجَلابِيبِ

سَوَائِرُ، رُبَّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً علَى نَجِيعٍ مِنَ الفِرْسَانِ مَصْبُوبٌ2

وهن يحرسن بسيوف الفرسان من الأهل والأقارب، ولا يستأجر من يحرسهن:

يا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الفَوَارِسِ فِي الوَغَى لأَخُوكِ ثَمَّ أَرَقُ مِنْكِ وأَرْحَمُ3

وهنا يسير وفق الموروث الأدبي ومجاراة للعادات العربية التي تتحاشى التصريح بذكر اسم المرأة عامة والمحبوبة بصورة أخص ولهذا يكني صاحبته ولا يسميها، لأن مجرد ذكر اسمها سيؤدي إلى قتال تسيل منه الدماء:

فِيهِنَّ مَنْ تَقْطُرُ السُيُوفُ دَماً إذا لِسانُ المُحِبِّ سَمَّاهَا4

فهو لا يذكر الاسم فحسب، بل لا يصف، لأن الصفة أحياناً تعين الموصوف فيصير كمن سمي وذكر اسمه ولهذا يقتصر على الكنية حتى بعد موت صاحبته:

يا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

أُجِلُّ قَدْرَكِ أَنْ تُسَمَيْ مُؤَبَّنَةً ومَنْ يَصِفُكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ5

وقد ذكر صاحب الوساطة في معرض تعليقه على هذا البيت : «أن أبا الطيب أخذ معنى هذا البيت وقلبه من قول أبي نواس:

فَهِيَّ إذَا سُمِّيَتْ فَقَدْ وُصِفَتْ فَيَجْمَعُ الاسْمُ مَعْنَيَيْنِ مَعَا»6

1 - موهوب مصطفاي. المثالية في الشعر العربي.ص728
2 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج1ص160
3 - المصدر السابق نفسه. ج4ص123
4 - المصدر السابق نفسه. ج1ص160
5 - المصدر السابق نفسه. ج1ص98
6 - الجرجاني . الوساطة بين المتنبي وخصومة . ص269

ويصور المتنبي صعوبة الوصول إلى المرأة العربية وحرصه على زيارتها بتكبد مشاق الطريق وبعد المسافة:

وحَالُ إِحْدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَهَا ومِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيق وبُعْدُهُ[1]

ومع تحمل المشاق يحتاج لاستخدام الحيلة للوصول إلى صاحبته التي لا يمكن زيارتها علنا في وجه النهار فيتخذ من الليل سربالاً يتخفى به عن أعين الرقباء ويصل إليها وأهلها نيام ويظل معها إلى ما قبل الصبح :

كَمْ مِنْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الأَعْرَابِ خَافِيَةً أَدْهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيب

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وانْثَنِي وبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي[2]

والبيت الثاني يتضمن تشطيراً بديعا ، ومقابلة حسنة أشار إليها صاحب «البديع في البديع»بقوله: « اعلم أن التشطير والمقابلة هو: أن يقابل مصراع البيت الأول كلمات المصراع الثاني كقول المتنبي:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وانثني وبياض الصبح يغري بي[3]

وحين لا يجدي الخفاء وتعجز الحيلة أن تبلغ المتنبي صاحبته لا بد له من المغامرة وحمل السيف والذهاب إلى ديار المحبوبة ليلاً ليبيت معها ويضاجعها وبينهما سيفه لا يفارقه ليكون مستعداً للقتال إذا باغته أهل صاحبته،وينصرف عنها وقد علق طيبها بسيفه وبقى أثره إلى أول النهار :

وقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الحَيِّ مُرْتَدِيَا بِصَاحِبٍ غَيْرِ عِزْهَاةٍ وَلَا غَزِلِ

فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نَدْفَعُهُ وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشَّكْوَى وَلَا القُبَلِ

ثُمَّ اغْتَدِي وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا عَلَى ذُؤَابَتِهِ والجَفْنِ والخَلَلِ[4]

وهنا يوظف الحديث عن زيارته لصاحبته في حيها حاملا سيفه ليعلن عن شجاعته واعتداده بنفسه مفتخرا بذلك، وللتعرف على هؤلاء النسوة اللائي شغفن المتنبي حبا وجعلنه يغامر بحياته في سبيل الوصول إليهن

1 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج2ص20
2 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج1ص171
3 - اسامة بن مرشد.البديع في البديع في نقد الشعر .ص188
4 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج3ص84

نعيد قراءة ديوانه لنقف على صفاتهن وأحوالهن وأخلاقهن كما صورها لنا في معان مبتكرة قال عنها صاحب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب الشيخ ناصف اليازجي: «وإذا جاوزت هذه النظائر من شعره إلى ما له من المعاني المبتكرة والقلائد المعدودة مما أجمع أهل العلم بالشعر على تبريزه فيه واعترف أنداده وحساده من الشعراء باختراعه له... وذلك من نحو قوله»1

سَفَرَتْ وَبَرْقَعَهَا الحَيَاءُ بِصُفْرَةٍ سَتَرَتْ مَحَاسِنَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقُعَا
فَكَأَنَّهَا وَالدَّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ قَدْ رُصِّعَا
كَشَفَتْ ثَلاثَ ذَوَائِبَ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا
واسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي القَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا2

وجمع إلى ذلك عفتهن عن كل رذيلة وتحليهن بكل فضيلة لأنهن حرائر:

بَيْضَاءَ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوباً إذَا طُلِبَا
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يَعِيي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا3

وكلمة «بيضاء» صفة لامرأة وتعني أنها امرأةعربية حرة جميلة تتعلق بها القلوب وتشتهيها النفوس وليست أمة سوداء ولا جارية صفراء ولكنها سيدة عربية ذات عفة لا يمكن أن تفرط فيها، وقد ذكر صاحب الوساطة:» أن المتنبي أخذ بيته:

بَيْضَاءَ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوباً إذَا طُلِبَا

من قول عبد الله بن الحسن العلوي:

يُحْسَبْنَ مِنْ لِينِ الكَلامِ زَوَانِيَا ويَصُدُّهُنَّ عَنِ الخَنَا الإِسْلَامُ»4

وتتطلب عفة النساء وحياؤهن عفة مماثلة من المتنبي وحياء مثل حيائهن بحيث يغض طرفه عنهن ولا يطمع في شيء منهن ولو خلا

1 -4 اليازجي، ناصيف، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، تقديم الدكتور ياسين الأيوبي. دار ومكتبة الهلال .بيروت .ط الأخيرة 2000م ج/1 ص71
2 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج2ص265
3 - المصدر السابق نفسه. ج1ص122
4 - الجرجاني . الوساطة بين المتنبي وخصومة. ص266

بإحداهـن أثنـاء زيارتهـن لـه:

وأَجْـيَادُ غِـــزْلَانٍ كَجِـــيدِكِ زُرْنَنِي فَلَـــمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِـــلاً مِـــنْ مُطَـوَّقِ
ومَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إذَا خَـــلا عَفَافِي ويَرْضَى الحُبَّ والخَيْلُ تَلْتَقِي1

والتوظيف الوجداني هنا ماثلاً في إبراز عفته التي يفتخر بها وشجاعته التي تجعله يتذكر المحبوب عند لقاء الأعداء في الحرب متأثرا في ذلك بالموروث الأدبي المتمثل في قول عنترة :

ولَقَدْ ذَكَرْتُكِ والرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنِّي وبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَـــوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّـــيُوفِ لأَنَّـــهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ2

ولقد التزم المتنبي هذه العفة والطهارة في غزله من خلال «الصورة التي ارتسمت في نفس الشاعر للمرأة بما يعكس لك طهارة نفس الشاعر وعفته، فلا تكاد تجد للمتنبي غزلاً بالغلمان، أو غزلاً ساقطاً مكشوفاً، وإنما تبدى لك من خلال غزله انتماء المتنبي إلى عروبته ، محلى بالعفة والصدق والعمق وخاصة في النسيب بالإعرابيات»3.

ويجري الحديث عن الإعرابيات على لسان المتنبي في شتى المجالات، لكنه يقف كثيراً عند الرحيل وتأثيراته وذكرياته المتجددة في النفس، وهو تقليد سار فيه على نهج الشعراء القدامى، وأول أثر لهذا الرحيل أن يكشف ما تكتمه القلوب التي لا تحتمل فراق الأحبة فتعلن حبها في ذلك اليوم وتكون الدموع دليلاً على ذلك الحب:

وكَاتِمُ الحُبِّ يَوْمَ البَيْنِ مُنْهَتِكٌ وصَاحِبُ الرَّبْعِ لَا تَخْفَـــى سَرَائِرُهُ4

فالارتحال من موضع إلى آخر مما تستوجبهحياة البدو،وتجهز له الركائب بهوادجها لتحمل عليها النساء اللائي تتعلق بهن كثير من القلوب التي تجزع لهذا الفراق المفاجئ، ولا يتسنى لها الانتقال إلى حيث يستقر هؤلاء

1 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج2ص312
2 - المصدر السابق نفسه. ج2ص312
3 - حطيط، كاظم،أعلام ورواد في الأدب العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط3 عام 2003م . ج2ص211
4 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج2ص313

النسوة مع ذويهم، ويعد هذا الرحيل انتقال لحياة آخرين ليس لهم سوى ذرف الدموع مختبئين خلف الآكام خوفاً من الرقباء يتبادلون النظرات:

لَيْسَ القِبَابُ عَلَى الرِّكَابِ وإِنَّمَا هُنَّ الحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامِ
مُتَلَاحِظِينَ نَسُحُ مَاءَ شِئُونِنا حَذَراً مِنَ الرُّقَبَاءِ فِي الآكَامِ1

وعلى عادة القدامى لا تنتهي العلاقة بين المتنبي وأحبته من نساء البادية بهذا الارتحال والابتعاد عنه بل يظل الارتباط قائما بينهما من خلال تلك الزيارات التي يقوم بها طيف صاحبته بالرغم عن بعد المسافة وهول الطريق حاملاً نفس الصفات التي تتحلى بها صاحبته ومن أميزها ريح المسك التي تفوح من جسمها وإن لم تمس الطيب:

بِمَا بَيْنَ جَنْبِي الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا إِلَيَّ الدَّيَاجِي والخِلِّيُونَ هُجَّعُ
أَتَتْ زَائِراً مَا خَامَرَ الطِّيبُ ثَوْبَهَا وكَالمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ2

وربما تعرضت بعض نساء العرب للوقوع في الأسر من قبل أمراء عرب ، و هنا يصور لنا المتنبي القيم العربية التي تراعي النخوة العربيةفي معاملة النساء إذا وقعن في الأسر، كما هوالحال مع الأمير سيف الدولة الحمداني، الذي ظفر ببني كلاب عندما خرجوا عليه وأسر نساءهم، ولكنه لم يتعرض لهن بسوء، ولم يسلبهن شيئاً ، مراعياً حرمة النسب التي تجمعه بهن، فردهن إلى ذويهن مكرمات عزيزات، لم يتعرضن لذلة أو مهانة، الأمر الذي استوجب شكرهن له والثناء عليه:

فَعُدْنَ كَمَا أُخِذْنَ مُكَرَّمَاتٍ عَلَيْهِنَّ القَلائِدُ والمَلَابُ
يُثِيْبُكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَ شُكْراً أَيْنَ مِنَ الَّذِي تُولِي الثَّوَابُ
وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْئاً وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابُ
وَلَا فِي فَقْدِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ إِذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ اغْتِرَابُ3

فتعامل سيف الدولة نابع من قيم العرب التي تعلي من شأن المرأة

1 - المصدر السابق نفسه. ج4ص8
2 - المصدر السابق نفسه. ج2ص241
3 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب.. ج1ص91

وتمنحها خصوصية في التعامل ولو في ساحة الحرب ولهذا «عاد سيف الدولة بالرحمة والكرامة على هؤلاء البائسات، فردهن إلى أوليائهن، لم يمسسهن أذىً، ولم يلحق بهن السباء مكروها، فهن يعدن إلى أوليائهن حرائر قد ظفرن من كرم الأمير بالزينة والنعيم والطيب، وأيُّ عار في أن يقعن في أيدي الأمير وهن إنما يخرجن من يد ولي كريم ليقعن في يد ولي كريم، لهن الأمن والحصانة عند هذا كما كان لهن الأمن والحصانة عند أولئك»1

ولهذا تخشى النساء الحرب لما فيها من ويلات وتحذر سفر ذويها خشية أن يتعرضوا لقطاع الطرق:

تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرت بِهِ وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ العَارَ شَرُّ العَوَاقِبِ
إِلَيْكِ عَنِّي فَإِنَّنِي لَسْتُ مِمِنْ إِذَا اتَّقَى عِضَاضَ الأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ العَقَارِبِ2

ولهذا يخاطب المتنبي إحداهنَّ مستنكرا خوفها عليه وإيثارها له حياة السلم والدعة على إدراك المعالي من الأمور والتي لا يمكن بلوغها دون مخاطر وتضحيات:

تُرِيدِينَ لُقْيَانَ المَعَالي رَخِيصَةً وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ
حَذَرْتِ عَلَيْنَا المَوْتَ وَالخَيْلُ تَلْتَقِي وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيِّ عَاقِبَةٍ تَجْلِي3

وكانت النساء لا يخرجن إلا عند المصائب، فإذا حلت عليهن مصيبة برزن في أي وقت شئن للندب والبكاء علي الميت وهن كاشفات حاسرات وقد صور ذلك الشاعر العربي بقوله:

مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتِنَا بِوَجْهِ نَهَارِ
يَجِدِ النِّسَاءَ حَوَاسِرَ يَنْدُبْنَهُ يَلْطُمْنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالأَسْحَارِ
قَدْ كُنَّ يَكْنُنَّ الوُجُوهَ تَسَتُّراً فَالآنَ حِينَ بَرَزْنَ للنُّظَّارِ4

1 - طه حسين . مع المتنبي .ص 409
2 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج1ص160
3 - المصدر السابق نفسه. ج3ص307
4 - ابن طباطبا،محمد،عيار الشعر. دار الكتب العلمية.بيروت. شرح وتحقيق عباس عبد الساتر. ص37

ويتراءى هذا المشهد التراثي للمتنبي فيلونه بريشته ويضيف إليه من خياله ما يجمله ويكمله حين يصور لنا حال المرأة عندما تفجعها المصيبة، وعند فقدها للأقارب ومن يعز عليها من الأهل وعلية القوم:

وأَبْرَزَتْ الخُدُورَ مُخَبَآتٍ يَضَعْنَ النَّقْسَ أَمْكِنَةَ الغَوَالِي
أَتَتْهُنَّ المُصِيبَةُ غَافِلَاتٍ فَدَمْعُ الحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَال[1]

فموت أم الأمير سيف الدولة كان مفاجئة لهؤلاء النسوة اللائي يحرصن على زينتهن، فلا يبدين منها شيئاً لغريب، حيث يقصرن أنفسهن في بيوتهن فلا يخرجن منها؛ولكن موت الأميرة لا يدع لهن مجالاً للتخلي عن زينتهن؛ فيخرجن بدلالهن جزعات باكيات تختلط دموع حزنهن مع سواد الدلال.

وقد ذكر القاضي الجرجاني في الوساطة أن قول المتنبي:

أَتَتْهُنَّ المُصِيبَةُ غَافِلَاتٍ فَدَمْعُ الحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ

أخذه من قول العباس بن أحنف:

بَكَتْ غَيْرَ آنِسَةٍ بِالبُكَا تَرَى الدَّمْعَ فِي مُقْلَتَيْهَا غَرِيبَا

فزاد وأحسن وملح بذكر الدلال2، والتأثر بالسابقين هنا واضح وجلي .

ويسلك المتنبي طريقا قل من سلكه أحد من الشعراء قبله،حين يتوجه بشعره راثيا النساء دافعه إلى ذلك قوة الصلة التي تربطهن أو بأقربائهن وفي مقدمة ذلك رثاؤه لجدته التي ماتت شوقا إليه وسروراً برسالته التي وصلتها فصارت تقبلها ودموعها تتساقط عليها فتذيب الحبر الذي سود وجهها وأسنانها وتكرر ذلك حتى انقطع دمعها وجفت جفونها:

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ فَمَاتَتْ سُرُوراً بِي فَمِتُّ بِهَا هَمّا
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنَّنِي أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا
تَعْجَبُ مِنْ خَطِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا

1 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج1ص160

2 - الجرجاني، علي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، 1966م .

وَتَلْثُمُــهُ حَتَّى أَصَـــــارَ مِـــدَادُهُ مَحَاجِرَ عَيْنَيْـهَا وَأَنْيَابَـهَا سُـــحْمَا
رَقَا دَمْعُهَا الجَّارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَــارَقَ حُبِّـــي قَلْبَهَا بَعْدَمَـــا أَدْمَـــى1

ثـم يمضـي المتنبـي يعـدد مناقبهـا المتمثلـة فـي حزمهـا وروحهـا الطيـب وكـرم نسـبها وعقبهـا:

فَـوَا أَسَـــفا أَلَّا أَكِـــبُّ مُقَـــبِّلاً لِرَأْسِـكِ وَالصَّدْر الَّذِي مُلِئَ حَـــزْمَا
وَأَلَّا أُلَاقِي رُوحَكِ الطَّيْبَ الَّذِي كَأَنَّ ذَكِـــيَّ المِسْـــكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْـــرَمِ وَالِـــدٍ لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنِكِ لِـي أُمَّـا
لَئِنْ لَـذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِمَوْتِـهَا فَقَـدْ وَلِدَتْ مِنِّـي لِآنَافِـهِمْ رغْمَا2

وهنـا يبـدو توظيـف الرثـاء واضحـا فـي إبـراز فخـره وازدرائـه علـى الشـامتين مـن أعدائـه.

وننتقـل إلـى رثـاء خولـة أخـت سـيف الدولـة وفيـه نحـس بقـدر المرثيـة ومـا تتمتـع بهـا مـن صفـات قـل أن تجتمـع فـي أنثـى ونـرى فيـه وقوفـا طويـلا للمتنبـي يسـرد خلالـه مناقـب المتوفيـة فهـي ذات حسـب ونسـب ويكفـي ذلـك أنهـا أخـت الأميـر سـيف الدولـة الحمدانـي فـي توظيـف وجدانـي لا يخفـى للعلاقـة التـي تربطـه بأميـره:

يَا أَخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
أُجِـــــلُ قَـــدْرَكِ أَنْ تُسَمَّـــيْ مُـــؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ3

ثـم يتنـاول قيمهـا الخُلقيـة ويخـرج منهـا إلـى مـا لا يحسـن ذكـره فـي مجـال الرثـاء فيذكـر حسـن مبسـمها حيـن تحـي أترابهـا:

يَعْلَمْنَ حِينَ تُحَيِّي حُسْنَ مَبْسَمِهَا وَلَيْـسَ يَعْلَـــــمُ إِلَّا اللهُ بِالشَّنَبِ4

وقـد أورد الثعالبـي فـي يتيمـة الدهـر تعليقـاً للأديـب الخوارزمـي علـى هـذا البيـت :» لـو عزانـي إنسـان عـن حرمـة لـي بمثـل هـذا لألحقتـه بهـا»5.

1 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج4ص105
2 - المصدر السابق نفسه. ج4ص108
3 - المصدر السابق نفسه. ج1ص98
4 - المصدر السابق نفسه. ج1ص101
5 - يتيمة الدهر. الثعالبي. 163/1

غير أن الدكتور مصطفى الشكعة يرى سبباً آخر لهذا الرثاء حين يقول: «غير أن الأمر الذي نود الإشارة إليه هو أن أبا الطيب لم يكن يرثي فقيدة بني حمدان بقدر ما كان يبكي أيامه الغر في بلاط أخيها سيف الدولة، ومن ثم كان هذا الابتعاث الجديد في شعره بعد خمدت جذوته منذ أن ترك مصر»1.وفي رثائه لأم سيف الدولة تقل العاطفة وتتلاشى العلائق التي تربطه بها وتبقى صلته بابنها سيف الدولة التي تحتم عليه القيام بواجب العزاء وتخفيف المصاب فيخرج عن المعتاد حين يصفها بالجمال:

صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الوَجْهِ المُحَنَّطِ بِالجَمَالِ
عَلَى المَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الخِلَالِ
فَإِنَّ لَهُ بِبَاطِنِ الأَرْضِ شَخْصاً جَدِيداً ذَكَرْنَاهُ وَهُوَ بَالِي2

فنجده هنا قد استخدم معاني الحب ومفرداته على غير العادة وقد عيب عليه ذلك ولكنه لم يتخل عن نهجه حتى في رثاء جدته :

لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا
أَحِنُّ إِلَى الكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتِ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهُ التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَاوَذَاقَ كِلَانَا ثَكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا3

وقد وجد مطلع القصيدة التي رثا بها خولةشهرة واسعة وانتشارا كبيرا حيث تمثل به الناس كثيراًعند النازلات وعند التعزية وافتتحوا به رسائل العزاء كما جاء في خبر ابن العميد: قال الربعي: قال لي بعض أصحاب ابن العميد: دخلت عليه يوماً قبل دخول المتنبي فوجدته واجماً وكانت قد ماتت أخته عن قريب فظننته واجما لأجلها فقلت: لا يحزن الله الأمير فما الخبر؟ قال: إنه ليغيظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمد ذكره وقد ورد علي نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله:

طَوَى الجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَالِي إِلَى الكَذِبِ

1 - الشكعة ، مصطفي، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين. ج3ص13
2 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج1ص101
3 - المصدر السابق نفسه. ج4ص104

حَتَّــى إِذَا لَـمْ يَــدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلاً شَــرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّــى كَــادَ يَشْــرَقُ بِي[1]

لـم تسلم المـرأة مـن هجـاء أبـي الطيـب، لكـن مـا يلاحـظ فيـه أنـه لـم يكـن مـرادا بـه المـرأة ذاتهـا ولا مستقلا بهـا بـل موجـه إلـى ذويهـا وأقـرب النـاس إليهـا فهـو يشـفي غليلـه مـن غريمـه مـن خـلال التعـرض لحريمـه، فيـزاوج بيـن هجائـه وهجـاء زوجـه حتـى تتكامـل الصـورة المقذعـة التـي أراد أن يصـم بهـا عـدوه ، فهجـاء زوجـة ابـن كيغلـغ جـاء مصاحبـا لهجـاء ابـن كيغلـغ نفسـه:

يَحْمِي ابْنُ كَيْغَلغٍ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ مَـا بَـيْنَ رِجْلَيْــهَا الطَّــرِيقُ الأَعْـظَمُ[2]

ولا يكتفـي بالنيـل مـن الزوجـة عنـد هجائـه لخصومـه، بـل يتعـداه إلـى الأم ليرسـم لوحـة هجائيـة ثلاثيـة الأبعـاد قوامهـا المهجـو وأمـه وزوجـه كمـا هـو الحـال عندمـا هجـا وردان ناسباً سـوء صفاتـه إلـى أمـه التـي ورث عنهـا ذلـك وفـي الوقـت ذاتـه لا يغفـل عـن زوجـه التـي تشـاركه صفاتـه السـيئة :

لَحَـا اللهُ وَرْدَانَ وَأُمًّـا أَتَتْ بِــهِ لُــهُ كَسْــبُ خِنْزِيــرٍ وَخُــرْطُـومُ ثَعْلَبِ

فَــمَــا كَــانَ فِيــهِ الغَــدْرُ إِلَّا دِلَالَةً عَلَـى أَنَّــهُ فِيـهِ مِــنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ

إِذَا كَسَــبَ إِنْسَــانٌ مِنْ هِـنٍّ عِرْسِهِ فَيَا لُـوْمَ إِنْسَانٍ وَيَـا لُـوْمَ مَكْسَبِ

أَهَــذَا الْلَّذَيَّـا بِنْتَ وَرْدَانَ بِنْتُــهُ هُــمُ الطَّالِبَانِ الرِّزْقَ مِـنْ شَـرِّ مَطْلَبِ[3]

ولعـل أبشـع صـوره الهجائيـة مـا رمـى بـه أم ضبـة الأسـدي حيـن أقـذع فـي هجائهـا ونـال منهـا ومـن ابنهـا ضبـة:

مَـا أَنْصَفَ القَــوْمُ ضَــبَّةَ وَأُمُّــــهُ الــطُّــرْطُبَــــةَ[4]

ومـا كان هـذا الهجـاء ليذهـب أدراج الريـاح بـل أوقـر صـدر خـال ضبـة «فاتـك بـن جهـل الاسـدي» لأن المهجـوة أختـه وقـد نـال المتنبـي منهـا نيـلا عظيمـا فترصـده فـي طريـق عودتـه مـن عضـد الدولـة وقتلـه انتقامـا لأختـه.

وحيـن نمعـن النظـر فـي هجـاء المتنبـي للمـرأة تتجلـى لنـا أفـكاره وآراؤه

1 - الصبح المنبي . يوسف البديعي. ص146
2 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب. ج4ص127
3 - المصدر السابق نفسه. ج1ص226
4 - المصدر السابق نفسه. ج1ص212

حيالها وقد اجتمعت مع مخازي وليهاالمراد هجاءه في الأصل فتزداد الصورة بشاعة، فالغدر من صفاتها التي جبلت عليها، والعشق والبغض يتناوبان حالها ، والحقد والرضا يحل أحدهما مكان الآخر في قلبها وجميع النساء سواء في ذلك:

إِذَا غَـــدَرَتْ حَسَنَاءُ وَفَتْ بِعَهْـدِهَا فَمِـنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَـدُومُ لَـهَـــا عَهْـــدُ
وإِنْ عَشِـــقَتْ كَـانَتْ أَشَـــدَّ صَـبَابَةً وإِنْ فَـرَكَتْ فَـاذْهَبْ فَـمَا فَرْكُـــهَا قَصْـــد
وإِنْ حَقَـــدَتْ لَـمْ يَبْقَ فِـي قَلْبِـهَا رِضاً وَإِنْ رَضِـيَتْ لَـــــمْ يَبْقَ فِـــي قَلْبِـهَا حِقْـدُ
كَـــذَلِكَ أَخْـلَاقُ النِّسَـاءِ وَربَّـــمَا يَضِـــلُّ بِـهَا الهَـــادِي وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْـــدُ1

الخاتمة:

يتجلى لنا مما سبق روعة تناول المتنبي للمرأة في شعره حيث لم ينكف على تقليد القدماء مرددا لها في افتتاح القصائد بالغزل والنسيب دون أن يفيض عليه من وجدانه توظيفا يحقق به ما يصبو إليه ولم يقف عنده بل تجاوزه ليدخل هذا الشعر في عدة موضوعات ذات صلة بوجدانه فيما يتصل بعلاقاته الاجتماعية رثاءً وهجاءً وفيما يحقق ذاته فخراً واعتداداً بالنفس وقد اقتصرت الدراسة على هذا الجوانب لتترك المجال مفتوحا لمزيد من الدراسات نوصي بها حول شعر المرأة عند المتنبي في خصائصه الفنية ودلالاته الرمزية وإيحاءاته النفسية.

المراجع والمصادر:

1 - ابن الاثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، مصر .

2 - ابن طباطبا، محمد، عيار الشعر. دار الكتب العلمية.بيروت. شرح وتحقيق عباس عبد الساتر. ص37

3 - ابن كلثوم،عمرو،ديوان عمرو بن كلثوم، دار صادر، بيروت. لبنان، ط 2004م,

4 - الآمدي، الحسن،الموازنة بين أبي تمام حبيب بن اوس الطائي وابي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي .،حقق أصوله وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد .

1- المصدر السابق نفسه. ج2ص4

5 - البديعي، يوسف، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق مصطفي السقا ومحمد شتا، دار المعارف، القاهرة، 1963م .
6 - الثعالبي، عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، شرح وتحقيق د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1983،1م.
7 - الجرجاني، علي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، 1966م .
8 - حاوي،ايليا،فن الهجاء وتطوره عند العرب دار الثقافة، بيروت .
9 - حسين، طه، مع المتنبي، دار المعارف، ط10، مصر .
حطيط، كاظم،أعلام ورواد في الأدب العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة،ط3 عام 2003م .
10 - شاكر،محمود،المتنبي : السفر الاول،مطبعة المدني،القاهرة .
11 - شاكر، محمود، المتنبي رسالة في الطريق الي ثقافتنا، دار المدني، جدة، 1987 م .
12 - الشكعة ،مصطفي، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين،عالم الكتب، بيروت، ط1 عام 1983 م .
13 - الشكعة ،مصطفي، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، عالم الكتب، بيروت،ط2، 1981م.
14 - ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي،دار المعارف، مصر، ط2، 1974م.
15 - ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي (5) عصر الدول والأمارات، دار المعارف، القاهرة ، ط4 1996م.
16 - العشماوي، أيمن، قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني، دار المعرفة الجامعية، 1999م .
17 - العكبري، أبي البقاء، ديوان أبي الطيب، شرح أبي البقاءالعكبري، تحقيق د. كمال طالب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1997م .
18 - لاشين، كمال، المتنبي في مصر،مطبعة الحسين الاسلامية، مصر،ط1993،1م .
19 - مصطفاي،موهوب، المثالية في الشعر العربي، مطبوعات الجزائر، 1982م .
20 - نصر، هادي، مع المتنبي في شعره الحربي،مطبعة الجامعة المستنصرية بغداد،ط1، 1979م.
21 - اليازجي، ناصيف، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، تقديم الدكتور ياسين الأيوبي. دار ومكتبة الهلال .بيروت .ط الأخيرة 2000م

جمالية التجنيس في شعر لسان الدين بن الخطيب



أ. د. حسن أحمد علي حيدر[1]*

د. عبدالفتاح محمد سالم السيد[2]*

1 * أستاذ الأدب الأندلسي، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد وجامعة تعز.

2 * أستاذ الأدب الأندلسي المساعد، كلية اللغات، جامعة عدن.

المستخلص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن جمالية الجناس في شعر ذي الوزارتين (لسان الدين بن الخطيب)، وتجلياته وأسراره الفنية في قصائده، على نحو ما ورد فيها من أنواع الجناس ومظاهره المختلفة، كالجناس التام بأقسامه المختلفة: المماثل، والمستوفي، والمركب، والجناس غير التام بأنواعه المختلفة: المضارع، والناقص، والمحرق، والقلب، وكذلك الجناس الاشتقاقي. حيث كان لهذه الأنواع والأقسام شيوع ودوران في قصائده وموشحاته بصورة تجلت في عدد من النصوص التطبيقية التي تم الاستدلال بها عليها. وقد أثبتت الدراسة دور هذا المحسن البديعي بأنواعه وأقسامه المختلفة في بناء الجمل على اختلاف أشكالها، وقدرته على تكوين سياقات شعرية ذات دلالات فنية تخييلية مثيرة للمتلقي تعمل على جذب انتباهه؛ ليتمثل القارئ النص الشعري الذي يصوره الشاعر عن طريق خاصية التجنيس، ومدى التجاوب النغمي في صور التجنيس المختلفة.

Abstract:

The aesthetics of Alliteration in the poetry of Lsan Ad-din bin al - Khatib This study attempts to shed light on the distortion in the poetry of Lsan Ad-din ibn al-Khatib، to what extent it exists in his poetic texts، the detection of its artistic motives، the tracking of its aesthetic effects، and how to maintain the vocal and musical demand that is desired by the use of alliteration. The study also tried to detect the types of alliteration in his poetry in all its forms، either the complete alliteration with all its types or the non-complete alliteration. And thirdly، the derivational alliteration. These types were common and play a role in his poems. We have tried to infer practical texts to know the role of these axes in the construction of sentences of different forms، and ability to form contexts of poetry that have artistic connotations to attract the attention of the recipient; to represent the reader the poetic text that portrayed by the

poet through the alliteration. And the extent of the tonal response in the various alliteration images.

المقدمة:

اكتسب الشاعر لسان الدين بن الخطيب (713-776هـ) الملقب بـ (ذي الوزارتين) منزلة عظيمة من الناحية الأدبية إضافة إلى نواح عدة في حياته، جعلت منه شخصية يُحتفى بها في المحافل العلمية لما أنتجه من نصوص شعرية ومؤلفات مختلفة خلال حياته. ولهذه المكانة التي تبوأها لسان الدين بن الخطيب في نظم الشعر مرجعياتُها الأدبية والثقافية، وبمقتضاها حقق شعره مستوى بديعاً في الجانب الإيقاعي والصوتي. الأمر الذي دفعنا إلى استجلاء ظاهرة الجناس التي اتسم بها شعره على نحو باذخ في الإيقاع والدلالة.

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها في سياق المقاربة النقدية لظاهرة التجنيس في شعر لسان الدين بن الخطيب، ومدى حضوره بمختلف أنواعه وتقسيماته الكثيرة والتداخلات الحاصلة بينها، وربط تلك الجوانب الفنية بما يغني النص بالقيم الصوتية والإيقاع الموسيقي للحروف والألفاظ، ودلالاتها الإيحائية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى فتح نافذة على شعر الشاعر، وكشف الظاهرة البلاغية فيه، وإبراز القيم الصوتية التي حققها هذا المحسن البديعي في هذا الشعر.

منهج الدراسة:

فرضت علينا طبيعة البحث الاعتماد على مجموعة من الآليات المنهجية، المتمثلة في آليات المنهج التحليلي التي تتتبع الظاهرة الأدبية بالوصف والتعليل والنقد في آن واحد.

وتم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث يسبقها تمهيد وتلحقها خاتمة، تناول المبحث الأول الجناس التام، والمبحث الثاني الجناس غير التام، والمبحث الثالث الجناس الاشتقاقي، ثم خاتمة تضمنت نتائج هذا البحث.

مدخل:

يعد الجناس من أبرز المحسنات البديعية في البلاغة العربية، إذ يمثل الفن الثاني من بديع ابن المعتز، وهو "أن تجئ الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها».(1)، وهو ما يذهب إليه القزويني عند تعريفه له في تهذيب الإيضاح(2)، وأيضًا السكاكي في كتابه مفتاح العلوم(3)، واللذين حظي الجناس بعنايتهما أيما حظوة، ونال استحسان كثير من البلاغيين القدماء والمعاصرين بعدهما.

والجناس والتجنيس والمجانسة كلها ألفاظ مشتقة من الجِنْس، وهو الضرب من الشيء(4)، قال الخليل: "كل ضرب جنس، وهو من الناس والطير وحدود النحو والعروض والأشياء، ويجمع على أجناس"(5). ويقال: هذا الشيء يجانس هذا جناسًا ومجانسة أي يشاكله، وتجانس الشيئان إذا دخلا تحت جنس واحد، وذكر صاحب اللسان أن الأخير من كلام المتكلمين وليس بعربي وإنما هو توسع(6).

والجناس لون من ألوان البديع عرفه العرب منذ قبل الإسلام، وقد ورد في كلامهم شعرًا ونثرًا، وإن كان وروده في النثر أكثر؛ لما في الشعر من

1 - البديع، أبو العباس عبدالله بن المعتز، تحقيق عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط.1، 2012م، ص36.

2 - انظر: «تهذيب الإيضاح، جلال الدين محمد القزويني، شرح وتهذيب عز الدين التنوخي، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1948م، ج1 - 238.

3 - انظر: "مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2، 2011م، ص539.

4 - ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م،ج1 - 486. مادة (جنس).

5 - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2003م، ج1 - 267 مادة (جنس).

6 - ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ج6 - 43. مادة (جنس).

ألوان موسيقية متعددة تغنيه شيئًا ما عن الجناس، وحقيقته أن يجانس اللفظ اللفظ في الكلام، مع اختلاف في المعنى.

وسمي جناسًا لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة، ولا يشترط تماثل جميع الحروف، بل يكفي في التماثل ما تقرب به المجانسة(1)، وقد اشتهر على ألسنة العامة بالفتح، وصححه بعض المتأخرين بالكسر على أنه مصدر جانس (2). وإن كان اعتباره مصدرًا لجانس غير قياسي والقياسي مجانسة، ويقال: كلمتان متجانستان إذا شابهت إحداهما الأخرى.

ويعد الجناس فنًّا عربيًا أصيل النشأة، وهو ما يؤكده الأستاذ علي الجندي عند ما تحدث عن ثراء اللغة العربية، واحتوائها على الألفاظ المشتركة في الصياغة، المختلفة في المعنى، والعربية لغة الزخرفة اللفظية والحركة الإيقاعية، وللتجنيس موقعٌ حسنٌ في التعبير عن ذلك"(3).

ومن يستقرئ الكتب البلاغية وغيرها من الكتب التي تحدثت عن الجناس يجدها لم تخرج عن أنه تشابه الكلمتين في اللفظ مع اختلافهما في المعنى(4). وما نجد الاختلاف إلا في المصطلح، فمنهم من يسميه تجنيساً كابن المعتز، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وعبد القاهر الجرجاني، والسكاكي، ومنهم من يسميه جناساً كالخطيب وغيره، وكلا المصطلحين (تجنيسًا وجناسًا) يرجعان إلى أصل لغوي واحد هو (جنس).

---

1 - جنان الجناس في علم البديع، صلاح الدين الصفدي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط.1، 1299ه، ص11-10.

2 - ينظر: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، قدم وصحح ووثق نصوصه وشرح غريبه محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1998م، ص123.

3 - ينظر: فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، مصر، ط.1، 1954م، ص17-15.

4 - ينظر: نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص163-162. وكتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل أبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط.1، 1952م، ص 321. والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ط، د.ت، ج1 - 262. وسر الفصاحة، الأمير أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1982م، ص193.

والجناس «ظاهرة تكرارية، إذ هو في الحقيقة تكرار للفظ ما، تكرارًا تامًا، أو تكرار لبعض الحروف، ومع أن المعنى في ألفاظه يكون مختلفًا فإنه يحقق جرسًا موسيقيًا ينبه الآذان والعقول وينبغي أن يستعمل على حسب الحاجة إليه، لأنه إذا كثر في الكلام صار صنعة متكلفة مفسدة لجماله»(1)، قال عبد القاهر الجرجاني: «أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدًا"(2).

وجمال الجناس قائم على أساس «تكرار مجموعة من الحروف في كلمتي الجناس مما يعطي الكلام جرسًا موسيقيًا محببًا معبرًا"(3). وفي حال خلوه من التكلف بلغ الغاية في الجمال، يقول الصفدي:» هو نوع من الحسن، يكسب اللفظ رونقًا وطلاةً، وبه لا تزال حور المعاني في المعاني في حلى وحلية وطلاوة»(4).

والجناس محسن لفظي موسيقي، وهو أشهر فنون البديع عند العرب، وهو مظهر من مظاهر موسيقية اللغة العربية، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «فاللغة العربية التي عنيت بموسيقى ألفاظها وعباراتها في كل العصور، فلها مما يسمى بالمحسنات اللفظية فنون وفنون... وبلغ تفنن الكتاب والشعراء والخطباء في تلك العناية باللفظة أن وضع لها المتأخرون من دارسي البلاغة قواعد ونظمًا أوشكت أن تصبح علمًا مستقلًا من علوم اللغة العربية هو ما يطلق عليه (البديع)، ومن أشهر فنون البديع ما يسمى بالجناس...»(5).

1 - التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، سيد خضر، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، ط.1، 1998م، ص12.
2 - أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط.1، 1991م، ص7.
3 - التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، د. سيد خضر، ص13.
4 - جنان الجناس، صلاح الصفدي، ص8.
5 - دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو،، ط.4، 1991م، ص172.

وسيتركز حديثنا عن تجلي هذا الحضور الذي يحتازه الجناس في شعر الشاعر لسان الدين بن الخطيب، ومدى أثره على المتلقي؛ كون فائدة الجناس «الميل إلى الاصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها1(2).

المبحث الأول: الجناس التام:

يعرف الجناس التام بأنه: ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور: نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها (3)، ومنهم من يسميه الكامل، ومنهم من يسميه المستوفي، ومنهم من يسميه المماثل،

وهو أعلى أنواع الجناس مرتبة (4)، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ المماثل: وهو ما اتفقت فيه الكلمتان المتجانستان في نوع الأحرف وعددها وهيئتها وترتيبها، وكانتا من نوع واحد من أنواع الكلمة: اسمين أو فعلين أو حرفين (5)، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (6)، فالآية السابقة اشتملت على كلمتين متشابهتين لفظًا مختلفتين معنى، وهما (الساعة - ساعة)، والمراد بالأولى يوم القيامة بينما الثانية إشارة إلى ساعة من نهار.

وبالرجوع إلى ديوان الشاعر لسان الدين نجده قد ضمن أشعاره من الجناس التام نحو قوله (7):

وَلَا نَسَخَتْ كَرْبِي، بِقَلْبِيَ، سَلْوَةٌ، فَلَمَّا سَرَى، فِيْهِ، نَسِيمُ «سَلَا» سَلَا

اشتمل البيت على كلمتين متشابهتين لفظًا مختلفتين معنى، وهما(سلا - سلا)، حيث تشير الأولى في معناها إلى مدينة سلا المغربية، تلك

1

2 - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، د.ط، 1996م، ج1 - 588.

3 - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ومطبعتها، د.ط، د.ت، ج4 - 77.

4 - جنان الجناس، صلاح الصفدي، ص20.

5 - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ج4 - 77.

6 - سورة الروم، الآية 55.

7 - الديوان، ج2 - 771.

المدينة التي كان لها الأثر العظيم في نفس الشاعر كونه عاش هناك عزيز الجانب، مرتاح البال، موفور الرزق؛ بحيث تذكر المصادر القديمة أنه اقتنى بسلا الدّور والضياع والرياض، وصار واحدًا من أغنى الرجال السلاويين على ذلك العهد، إضافة إلى أن بقاءه فيها ساعده على إنتاجه العلمي الكثير. فيما تدل الثانية على معنى الفرح والسعادة، ولا يقتصر جمال الجناس في البيت على الجانب اللفظي فحسب، بل يسهم في إعطاء قيمة معنوية للبيت، وهي الإيهام، فقد يوهم السامع أن كلمة (سلا) في العجز مكررة بمعناها، وإذا به يفاجئ المتلقي بمعنى جديد، محدثًا في نفسه اللذة والإطراب. كما أن الجناس هنا فيه معنى التماثل والتناغم والانسجام فنسيم سلا يجلب السلا دون كل نسيم يرفّ.

وكثرت لدى ابن الخطيب الإشارات إلى اهتمامه بإظهار مقدرته على ضروب من الصنعة الشعرية، لفظًا ومعنى لإثبات براعته الذهنية، ومقدرته العقلية على نظم الشعر، إذ جعل منها غاية عبر عنها بمثل قوله: «وقلت في التجنيس» أو «وقلنا في غرض التجنيس»(1). كقوله: وقلنا في غرض تجنيس القافية(2):

وَلَمَّا اجْتَلَيْنَا، مِنْ نُجُومِ قِبَابِنَا، سَنَا كُلِّ خَفَّاقِ الرِّوَاقِ «بِغُورِ»
زَرَيْنَا عَلَى شُهْبِ السَّمَاءِ بِشُهْبِهَا مَتَى شِئْتِ يَا زُهْرَ الثوَاقِبِ، غُوْرِي

نجد في البيتين السابقين صورة بديعية في قوله: (بـ - غُوْر)، (بـ - غُوري)، فالجناس تام لتوفر الشروط عامة. والجناس هنا يوحي بالتقابل والمفاضلة بين دلالتي اللفظتين، فنجوم المدينة إذا ظهرت أغنت وكفت عن نجوم السماء لتفوقها عليها جمالا ورفعة.

ومن ذلك أيضًا قول لسان الدين(3):

1 - ينظر: مفهوم الشعر وبواعثه في ديوان لسان الدين بن الخطيب، فاروق أسليم، مجلة جامعة دمشق، المجلد23، العدد2، 2007م، ص73.
2 - الديوان، ج1 - 434.
3 - الديوان، ج1 - 151.

شَـرِقْتُ بِعَبْرَتِـي لَمَّـا تَغَنَّـتْ، عَلَـى الأوْتَـارِ، رائقَـةُ الشَّـبَابِ
وَمَـا اسْـتَعْبَرْتُ مِـنْ طَـرَبٍ، وَلَكِـنْ يُذَكِّرُنِـي الرَّبَـابُ هَـوَى "الرَّبَـابِ"

جانس الشاعر بين اللفظتين (الرباب) الأولى وتعني آلة وترية شعبية ذات وتر واحد و(الرباب) الثانية وتعني اسم امرأة، بلغة انزياحية. ولعل في تكرار لفظة (الرباب) في البيت ما يعكس أثرًا بليغًا على المستويين الدلالي والصوتي الذي يكمن في المغايرة في المعنى، وتكوين الخطاب الشعري الذي يتناسب تلقائيًا مع موسيقى البيت التكرارية للفظ تام.

وفي الصورة التجنيسية ذاتها نجد الشاعر لسان الدين يقول (1):

يَعُـوْدُ فُـؤادِي ذِكْـرُ مَـنْ سَـكَنَ الغَضَـا، فَيُقْعِـدُهُ فَـوْقَ الغَضَـى، وَيُقِيمُـهُ

استعمل الشاعر التجنيس على جهة المماثلة بين اللفظتين (الغضا والغضى) إيحاءً وتخييلاً، حيث يريد في الأولى (الغضا) اسم موضع، بينما يريد في الثانية (الغضى) شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمانًا طويلاً لا ينطفئ. وقد أدى التناسب بين الألفاظ في شطري البيت إلى إحداث تجاوب موسيقي صادر عن تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً. فالإيقاع في التجانس التام يظهر من خلال آلية التكرار اللفظي الذي يرتبط بالمعنى، ذلك المعنى الذي يحدد شكل اللفظة وصيغتها، ومن ذلك يتولد الإيقاع الذي يحمل في جوهره الصلة العميقة بالمعنى. فالجرس والصيغة اللفظية يعطيان للدلالة أبعادها في المستوى السياقي(2).

ومن شواهد الجناس التام المماثل في شعر الشاعر لسان الدين(3):

وَأغْرَيْتُ سُوسِي، «بِالعَذِيْبِ»، و«بَارِقٍ» عَلَى وَطَنٍ دَانِي الجِوَارِ مِنْ السُّوسِ

استعمل الشاعر التجنيس على جهة المماثلة بين اللفظتين (سوسي،

1 - الديوان، ج2 - 549.
2 - ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين، دار المعارف القاهرة، ط.1، 1979م، ص167.
3 - الديوان، ج2 - 731.

والسوسِ)، حيث تشير الأولى من الناحية الدلالية إلى السجية والطبع، بينما تدل الثانية على اسم موضع أقصى جنوب المغرب العربي. فالسوس الأقصى كان يطلق هذا الاسم قديمًا على سهل سوس الحالي وهي منطقة جغرافية تقع جنوب المغرب، تحده سلسلة جبال الأطلس الكبير من الشمال وسلسلة جبال الأطلس الصغير من الشرق والجنوب والمحيط الأطلسي من الغرب. سكانها من الشلوح و العرب ممثلين بخليط هوارة، تمثل ربع مساحة المملكة. تشتهر بتواجد غابات (الأركان) النادر كما تشتهر أيضا بالفلاحة إذ إنها من أكثر المناطق المسقية، والرافد الأول للسوق المغربية بالخضر والفواكه.

فكلتا اللفظتين متماثلتان صوتيًا توهم بإحداث التماثل المطلق بينهما، وهو ما أفضى إلى تماسك النص، كما أحدث التوازن الصوتي الموهم بإحداث تماثل مطلق بين اللفظتين، إذ إن تشابه جرس الكلمتين وتشابه أصوات حروفها وانسجام هذا التأليف في النطق، أعقبه اختلاف دلالي، مما له تأثير في القارئ.

ب ـ المستوفي: وهو ما اتفقت فيه الكلمتان في نوع الحروف وعددها وهيأتها وترتيبها، واختلفتا في نوع الكلمة بأن تكون إحداهما فعلاً والأخرى اسمًا أو حرفًا أو العكس(1)، كقول الشاعر محمد بن كناسة يرثي صغيراً له (2):

وَسَمَّيْتُهُ يَحيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إلى رَدّ أمْر اللهِ فِيْهِ سَبِيلُ

1 - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج4 - 78.
2 - نفسه، ج4 - 70.

وشاهده في شعر لسان الدين قوله في رثاء ثلاثة من الإخوان (1):

أ»يَعْقُـوبُ» مَـا حُزْنِـي عَلَيْـكَ بِمُنْقَـضٍ وَلا أُنْـسُ إنْسَـانٍ، مُصَابَـكَ، أنْسَـانِي
وَلا حَالِـي الحَالِـي، عَلَـى البُعْـدِ، غَرَّنِـي، وَلا عَيْشِي الهَانِي، عَلَى النَّأيِ، ألْهَانِي
وَقَـدْ كَانَ، قَبْـلَ اليَـومِ، دَمْعِـيَ خَالِصَـاً، وَلَكِـنَّ إدْمَانِـي عَلَـى الدَّمـعِ أدْمَانِـي

اشـتملت الأبيـات علـى عـدد مـن الصـور التجنيسـية تختلـف فـي نوعيتهـا، فالبيـت الثانـي اشـتمل على(الهانـي، وألهانـي)، حيـث تشـير الأولـى إلـى رغـد العيـش المريـح، بينمـا تشـير الثانيـة لمعنـى آخـر وهـو الانشـغال عـن شـيء مـا. فبيـن المفردتيـن المتجانسـتين نـوع مـن التنافـر بحيـث إذا تحقـق مدلـول إحداهمـا ألغـى الآخـر أو لـم يسـتطع الاجتمـاع بـه علـى الرغـم ممـا بيـن اللفظتيـن مـن تماثـل ظاهـر فـي الأصـوات. كمـا اسـتثمر الشـاعر الترتيـب الموسـيقي الناشـئ عـن علاقـات التألـف بيـن عنصـري الجنـاس الـدال والمدلـول؛ ليلفـت انتبـاه القـارئ ويقنعـه بفكرتـه، فالشـاعر بهـذا الجـذب وطريقـة الإقنـاع أعطـى لنصـه وموسـيقاه الجماليـة والقيمـة الفنيـة العاليـة.

وقـول لسـان الديـن أيضًـا، وقـد كتـب إلـى الأولاد، وهـم بالمنكَّـب صحبـة السـلطان (2):

يَـا سَـاكِنِي مَرْفَـأَ الشَّـوَانِي شَـوْقِي، مِـنْ بُعْدِكُـمْ، شَـوَانِي
وَلَاعِـجُ الشَـوْقِ قَـدْ هَوَانِـي مِـنْ بُعْدِكُـمْ، فَاقْتَضَـى هَوَانِـي

وإذا أمعنـا النظـر فـي البيتيـن السـابقين نجـد حزمـة مـن الصـور(التراكيـب) الجناسـية فيهمـا (الشـواني، شـواني)، (هوانـي، هوانـي)، فالشـواني الأولـى اسـم موضـع جمـع شـونة وهـو المركـب المعـد للجهـاد فـي البحـر(3)، بينمـا الثانيـة أحرقنـي حتـى بلـغ بـي مرحلـة الشـواء، فبيـن اللفظتيـن تناغـم شـكلي ودلالـي، فالشـوق إلـى سـاكني الشـواني هـو الـذي يشـويه دون سـائر الأشـواق، وكأن

1 - الديوان، ج2 - 625.
2 - الديوان، ج2 - 628.
3 - تاج العروس، ج9 - 257.

هذا الشواء تولد من اسم الموضع الذي يسكن فيه أحبابه، وهواني الأولى عشقني وتعلق بي، والثانية ذلي في سبيل حبكم، وفي هذا ربط بين الهوى والهوان وهو معنى تعاوره الشعراء كثيرًا في تعبيرهم عن تجارب الحب.

وقول الشاعر لسان الدين أيضًا في الجناس ذاته (1):

وَصَلْتُ حَثِيثَ السَّيْرِ، فِيمَنْ فَلَى الفَلا، فَلا خَاطِرِي لَمَّا نَأى، وَانْجَلَى انْجَلَى

وَلا نَسَخَتْ كَرْبِي، بِقَلْبِيَ، سَلْوَةٌ، فَلَمَّا سَرَى، فِيْهِ، نَسِيمُ "سَلا" سَلا

فقد جانس بين لفظتي (فلى، الفلا)، وتعني الأولى الطواف، إذ جال كثيرًا وتنقل، بينما يقصد باللفظة الثانية الصحراء، على نحو يجعل بين اللفظتين نوعًا من القربى والمواءمة، فـ (الفلا) لا يمكن أن ينجو فيها ويعرف متاهاتها إلا من فلاها وخبرها، فالتجنيس المتجاور (فلى، والفلا) وردت فيه اللفظتان متوافقتين في الصوت توافقًا تامًا، بينما افترقتا في الدلالة. وهناك تجنيس ثان في البيت وهو (انجلى، وانجلى) فالأولى تعني وضح، بينما تعني الثانية مشى، وفي البيت الثاني نجد التجنيس أيضًا بين لفظتي (سلا، وسلا) فـ (سلا) الأولى تعني اسم موضع في المغرب، و(سلا) الثانية تعني سَعُدَ.

فنلاحظ أن الدفقات الإيقاعية بين (فلى، والفلا) في نهاية الشطر الأول وبين (انجلى، وانجلى) في نهاية الشطر الثاني متجانسة تجانسًا تامًا، إلا أن القيمة الجمالية تكمن في اختلاف الدلالة لكل منهما، فهناك بون شاسع بينهما، وكذلك التجانس في نهاية الشطر الثاني من البيت الثاني (سلا، وسلا)، وهذا التجانس قد أحدث تناغمًا موسيقيًا رتيبًا من خلال تكرار اللفظتين في البيتين.

1 - الديوان، ج2 - 771.

وقال لسان الدين في قصيدة شاكرًا أبا سالم المريني على حسن ضيافته وإكرامه (1):

فَأَمَّنَنِي الدَّهْرُ الَّذِي قَدْ أَخَافَنِي، وَجَدَّدَ لِي السَّعْدَ الَّذِي كَانَ أَبْلانِي
وَخَوَّلَنِي الفَضْلَ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ وَشَيْكًا، وَأَعْطَانِي، فَأَفْعَمَ أَعْطَانِي
تَخَوَّنَنِي صَرْفُ الحَوَادِثِ، فَانْثَنِي يُقَبِّلُ أَرْدَانِي، وَمِنْ بَعْدُ أَرْدَانِي
وَآمُلُ أَنْ لا اسْتَفِيقَ مِنَ الكَرَى، إِذَا الحُلْمُ أَوْطَانِي، بِهَا، تُرْبَ أَوْطَانِي

والأبيات محملة بمجموعة من الجناسات، ففي البيت الثاني (أعطاني، وأعطاني) فالأولى تشير إلى العطاء، والثانية تشير إلى أعضاء الجسد وما يغطى به من الثياب والأردية، فبين اللفظتين المتجانستين هنا نوع من السببية المتخيلة أو الصيرورة التكاملية، فالإعطاء كان كاملاً وكثيرًا إلى درجة أنه أفعم الأعطان وملأها؛ فلم يترك فيها متسعًا لمستزيد، وأما في البيت الثالث فالجناس في قوله(أردانى - وأردانى)، والأولى تعني أكمام اليد، والثانية أسقطني في الردى وهو المهلكة، فبين اللفظتين هنا تناقض سوغه اختلاف زمن حدوث كل واحدة منهما، ففي الماضي كان الدهر يحسن إليه ويقدره قدره، ثم في المستقبل تنكر له وهضمه حقه، وكأنه لا يعرفه، وفي بيته الرابع (أوطاني - وأوطاني)، فالأولى تعني الفعل أوطأ قدمي وأنزله تراب الوطن، والثانية جمع وطن وهو منزل الشاعر وبلده، فبين اللفظتين الاسمية والفعلية تناسب وتفاعل، إذ إن أحسن الإيطاء ما كان على تراب الأوطان، ولأجل لذة التناغم هذه إيقاعيًا ودلاليًا تمنى الشاعر أن لا يستفيق من حلم هذا مضمونه.

1 - الديوان، ج2 - 593. ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي، محمد زنيبر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، العدد 2، 1977م، ص92.

ومن الشواهد في الجناس التام المستوفي قول لسان الدين في رثاء ثلاثة من الإخوان (1):

فَلَو شَعَرَتْ نَفْسِي، وإنِّي لَشَاعِرٌ، بِهِ يَوْمَ أَرْدَانِي، لَشَمَّرْتُ أَرْدَانِي

اشتمل البيت على الجناس التام المستوفي (أَرْدَانِي، وأَرْدَانِي)، فالأولى تعني أهلكني وأسقطني، بينما الثانية تعني أكمامي، وهذه الدلالة المتوافقة مع الإيقاع الذي انسجمت فيه اللفظتان في سياق البيت، جعل المعنى في مكان رفيع من النص الشعري. كما عكست صورة التجنيس التام تلك الصورة بأعلى درجات التكثيف والمبالغة في إيراد القصد وهذا ما يدل على براعة التخيل عند الشاعر.

جـ ـ جناس التركيب: وهو ما كان أحد ركنيه لفظًا مركباً. أي أن تكون إحدى الكلمات كلمة واحدة، والأخرى مركبة من كلمتين(2)، وهو على ثلاثة أضرب :

1 ـ المتشابه: وهو ما تشابه ركناه، أي أن تكون الكلمة المفردة والأخرى المركبة متشابهتين لفظاً وخطاً(3)، نحو قول الشاعر أبي الفتح البُستِّي(4):

إذا ملكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَه فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذاهِبَهْ

فـ (ذا هبة) الأولى مكونة من ذا بمعنى صاحب وهبة عطية، والثانية من الذهاب.

1 - ديوان لسان الدين، ج2 - 625.

2 - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج4 - 78. وانظر: علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008م، ص 298.

3 - نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، تحقيق علي بو ملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د.ت، ج7 - 77.

4 - ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ط، 1989م، ص40.

2 ـ المفروق: وهو ما تشابه فيه ركنا الكلمة المفردة والأخرى المركبة لفظاً لا خطاً (1)، نحو قول الشاعر(2):

لا تَعْرَضَنَّ عَلَى الرَوَاةِ قَصِيْدَةً مَا لَمْ تَكُنْ بَالَغْتَ فِي تَهْذِيْبَهَا
وَإِذَا عَرَضْتَ الشِعْرَ غَيْرَ مُهذَبٍ عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوَساً تَهْذِيْ بِهَا

وشاهده في شعر لسان الدين في التجنيس (3):

مَالِي أُعَذِّبُ نَفْسِي فِي مَطَامِعِهَا، وَالنَّفْسُ تُزْرِي بَتَهْذِيبِي وَتَهْذِي بِي
إذَا اسْتَعَنْتُ عَلَى دَهْرٍ بِتَجْرِبَةٍ تَأْبَى المَقَادِيرُ تَجْرِيبِي، وَتَجْرِي بِي

ففي قوله (تهذيبي، تهذي بي) و(تجريبي، تجري بي) جناس تام، وهو الشاهد، وهو من الجناس التركيبي، حيث إن لفظيه مركب وهو في البيت الأول اللفظ الأول تهذيبي، وفي البيت الثاني تجريبي وفائدته من حيث اللفظ تتمثل فيما يحدثه في البيت من جرس داخلي، ومن حيث المعنى في بيان المعنى الجديد للفظ مكرر، وكلا الجناسين يحدثان في نفس السامع إطرابًا وأريحية، لما بين هذه المتجانسات من تعارض دلالي على الرغم من تطابقها التلفظي - الصوتي، وهو ما يخلق صدمة سمعية وذوقية ودلالية لدى المتلقي فتخاتله الدلالة بمراوحتها بين النفي والإثبات (تزري بتهذيبي، وتهذي بي- تأبى تجريبي، وتجري بي)، فلا يكاد ينتفي في ذهنه المعنى الأول للكلمة حتى يثبت معنى آخر جديد عبر أصوات الكلمة نفسها.

والجناس يحتاج إلى دقة وتوازن بين أجزاء الكلام المتجانس والكلمة نفسها، وابن الخطيب هنا يظهر دقة في اختيار ألفاظه، بحيث يظهر الجرس الموسيقي في توالي حروف المد في قوله (تهذيبي و تهذي بي) و(تجريبي و تجري بي)، فالباء حرف مد يحتاج إلى نفس طويل وجهد في نطقه، كما إن «الكلمة التي تشتمل على حرف واحد من حروف المد

1 - نهاية الأرب في فنون الأدب، ج7 - 77.
٢ - نفسه، ج7 - 78.
٣ - الديوان، ج1 - 147.

يصبح لها إيقاع واضح، لأن النغمة تتولد من خلال تطويل النفس في هذا الحرف ويكون الصدى فيه طويلاً"(1). وهذا ما يتناسب وجوهر الأبيات ومضمونها، فعذاب النفس منبته الطمع في الزيادة.

ويمكننا مشاهدة التجنيس في قول لسان الدين أيضًا (2):

بِتْنَا نُكَابِدُ هَمَّ القَحْطِ لَيْلَتَنَا وَأَنْجَدَ السُّهْدُ وَالكَرْبُ البَرَاغِيثَا
وَكَانَ يَحْمَلُ مَا كُنَّا نُكَابِدُهُ مِنْ المَشَقَّةِ لَوْ أَنَّ البَرَى غِيثَا

لعل في تكرار لفظتي (البراغيثا، والبرى غيثا) في آخر البيت الأول، وكذا آخر البيت الثاني ما يعكس أثرًا بليغًا على المستويين الدلالي والصوتي الذي يكمن في المغايرة في المعنى، وتكوين الخطاب الشعري الذي يتناسب تلقائيًا مع موسيقى البيت التكرارية للفظ تام. حيث تعني الأولى (البراغيثا) نوع من الحشرات، بينما تعني الثانية (البرى غيثا) التراب الذي أصابه الغيث، وفي ذلك تلاعب بالألفاظ قصد التجنيس.

3 ـ المرفو: وهو ما يكون أحد ركنيه كلمة، والآخر مركباً من كلمة وجزء من كلمة (3)، نحو قول الحريري:

سم سمة تحسن آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما استطعت لا تأته لتبتغى السؤدد والمكرمه

ونحو قول الشاعر أبي الفتح البُستِّي(4):

فَهِمْتُ كِتَابَكَ، يَا سَيِّدِي! فَهِمْتُ وَلَا عَجَبٌ أنْ أهِيْمَا

فجناس التركيب يكون على ثلاثة أنواع (المتشابه - المفروق - المرفو)،

1 - جماليات اللغة وغنى دلالتها من الوجهة العقدية والفنية والفكرية، محمد صادق حسن عبدالله، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، ط.1، 1993م، ص293.
2 - الديوان، ج1 - 116.
3 - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،، ج4 - 78.
4 - ديوان أبي الفتح البستي، ص289.

إلا أننا لم نجد لهذا النوع من الجناس حضوراً في ديوان الشاعر إلا في النوع الثاني أي المفروق.

وتتجلى فائدة الجناس في السابق فيما يحدثه من نغم داخلي ناتج عن تكرار اللفظ دون المعنى، وهو يخرج مخرج التصدير في الوقت نفسه، كما أن هناك فائدة معنوية تتمثل في إيهام السامع بتكرار اللفظ، إلا أن هذا التكرار يحمل معنىً آخر جديدًا يحدث عند السامع إطرابًا، فكما أن بين اللفظتين تماثلاً صوتيًا؛ فإن بينهما تعالقًا سببيًا تمثل في كون (فهمت) الثانية نتيجة لـ(فهمت) الأولى، وهذا من حسن التعليل والقرابة السببية المتخيلة بين الكلمتين.

المبحث الثاني: الجناس غير التام

يعرف الجناس غير التام بأنه: ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة (نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها)، ومنهم من يسميه الجناس المغاير، ومنهم من يسميه تجنيس التحريف، ومنهم من يسميه المختلف(1). ويأتي على أنواع :

أ - الجناس المضارع أو اللاحق: وهو ما اختلف فيه اللفظان في نوع الأحرف، ويشترط ألا يكون الاختلاف في أكثر من حرف، فإن كان الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج سُمي الجناس (مضارعاً)، كما في قوله تعالى: ((وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ))(2)، فالجناس في الآية السابقة (ينهون - ينئون)، ومثل قول النبي صلى الله عليه وسلم ((الخيل معقود بنواصيه الخير إلى يوم القيامة))(3)، فالتجانس بين (الخيل - الخير) وإن كانا متباعدين في المخرج سُمي (لاحقاً)، كقوله

1 - جنان الجناس، ص22.

2 - سورة الأنعام، الآية 26.

3- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم «صحيح مسلم»: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، د.ت، باب: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، رقم: 1872،ج3 - 1493.

تعالى (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)(1). فالجناس في الآية بين كلمتي (همزة - لمزة).

وبالرجوع إلى شعر الشاعر لسان الدين نجد شاهده في قوله يرثي ثلاثة من الإخوان (2):

وَمَا حَالُ زَنْدٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِسَاعِدٍ وَمَا حَالُ طَرْفٍ قَدْ أُصِيْبَ بِإِنْسَانِ
وَهَبْنِي أَمِنْتُ الحَادِثَاتِ، وَلَمْ تَرُعْ جَنَانِي، وَخَلَّانِي الزَّمَّانِ، وَحَلَّانِي
أَلِيسَ إِلَى التَّحلِيلِ كُلّ مركَّب مُقَدِّمَةٌ لَمْ يَخْتَلِفْ عِنْدَهَا اثْنَانِ

اشتمل البيت الثاني على صورة من صور الجناس المضارع غير التام (خلاني، وحلاني)، حيث يشير معنى خَلاني الزمان أي تركني وترك خِلاني (أحبابي، أصدقائي)، بينما يشير إلى معنى حلاني أي إخراج الشيء من مكانه. وهو ما يبينه حادث وفاة الإخوان الذين افتقدهم الشاعر فتركوه برحيلهم، كإخراج الجدي من بطن أمه ونحو ذلك. وهنا نجد الجناس قد خلق نغمًا موسيقيًا متساويًا من خلال إضفاء جو من الإيحاء الذي كونه، فضلاً عن تقوية الدلالة ودفعها إلى الأمام.

ويمكننا مشاهدة ذلك في قول الشاعر لسان الدين أيضًا(3):

يَا رَبّ بَارِكْ لِمَنْ بَنَانِي فِي الفِكْرِ، والقَلْبِ، وَالبَيَانِ

استعمال الشاعر للجناس في البيت في قوله (بناني، والبيان) حيث جاءت اللفظة الأولى بمعنى شيّدني وعمّرني، وهذا البناء بناء فكر وقلب ورفدها بالعلوم المختلفة. واللفظة الثانية بمعنى العلم الذي يراد به المعنى الواحد بطرق مختلفة. وهذا الاختلاف أوجد في البيت موسيقى تناغمية من خلال اللفظتين، فهو يحسن جمال البيت وما فيه من حكمة.

1 - سورة الهمزة، الآية 1.
2 - الديوان، ج2 - 625.
3 - الديوان، ج2 - 629.

ويقول مخاطبًا أحد الفضلاء وهو أبو زكريا يحيى بن عبدالله(1):

أَعَـدْتَ، لِـي، الأَيَّـامَ سَـهْلاً وَمَرْحَبَـا، وَأَحْيَيْتَ أُنْسِـي بَعْدَمَـا مَـاتَ، يَـا «يَحْيَى»
جَعَلْتُـكَ يَـا "يَحْيَـى"، إِلَيْـهِ وَسِـيلَةً عَلَيْهَـا اعْتِمَـادِي فِي المَمَـاتِ، وَفِي المَحْيَا

مـن خـلال اسـتنطاق القـول السـابق نجـد الشـاعر قـد جانـس بيـن اللفظتيـن (يحيـى، المحيـا)، وهـذا النـوع مـن الجنـاس المضـارع. فاللفظـة الأولـى تعنـي اسم الشـخص المخاطَـب، بينمـا اللفظـة الثانيـة تـدل علـى الحيـاة، ففاعليـة سمة التكـرار اللفظـي مـن خـلال التجنيـس تعمـل علـى تركيـز انتبـاه المتلقـي علـى الحـدث المقصـود دون سـواه.

وأيضًـا نجـد هـذا النـوع مـن الجنـاس حاضـراً فـي قولـه حسـب مـا اقتـرح عليـه السـلطان(2):

يَـا حَبِيْبَـاً مَـنْ لِعَيْنِـي أنْ تَـرَاهُ قَـدْ رَمَـى حُبُّـكَ قَلْبِـي، وَبَـرَاهُ

عنـد تمثـل البيـت السـابق نجـد الشـاعر قـد وضـف المحسـن البديعـي فـي اللفظتيـن (تـراه، بـراه)، ولـكل لفظـة معناهـا الدلالـي السـياقي، فتـراه تـدل علـى الرؤيـة العينيـة البصريـة، بينمـا بـراه تعنـي اخترقـه، فـكان للجنـاس الـدور الفاعـل والمتميـز فـي خلـق جـو موسـيقي ينسـجم مـع طموحـات الشـاعر فـي التأثيـر فـي شـخص الممـدوح.

وقولـه أيضًـا مخاطبًـا الشـيخ الرئيـس (أبـا عبـدالله بـن حسـون بـن أبـي العـلا(3):

يَـا خَاتِـمَ الفَضْـلِ، أو يَـا خَاتِـمَ الزَّمَـنِ، وَمُشْـتَرِي الحَمْـدِ بالغَالِـي مِـنَ الثَّمَـنِ
مِـنْ بَعْـدِ لُقْيَـاكَ لا آسَـى عَلَـى وَطَـرٍ مَهْمَـا تَعَـذَّرَ، أو أَبْكِـي عَلَـى وَطَـنِ

يعكس لنـا التجنيـس أثـرًا فنيًـا علـى المسـتويين الدلالـي والصوتـي مـن خـلال

1 - الديوان، ج2 - 780-781.
2 - الديوان، ج2 - 743.
3 - الديوان، ج2 - 616-617.

المزج بين لفظتين متجانستين هما (وطر، وطن) على نحو يحمل على القول بروعة البيت وجماله، وانسجام موسيقاه مع طبيعة الغرض. فلفظة وطر تعني الغاية والبغية والحاجة إلا أنه وبلقائه الشيخ الرئيس لا يندم على أي غاية أو حاجة، وإن كان ذلك الهدف وتلك البغية هي الوطن أي مكان الإقامة ومقر السكن.

ومنه قوله في الجناس المضارع(1):

يُرْتَجَى حِيْنَاً وَحِيْنَاً يُهَابْ كالغَيثِ أو كاللَيثِ عِنْدَ الهُبُوبِ

فقد جانس بين(الغيث، والليث)، وفيها دلالة على اجتماع الأضداد في الممدوح، وكريم في الرجاء وشديد في هيبته فحينما ذكر لفظة (يرتجى) في الغصن الأول جاء بما ينسجم معها من الألفاظ، وهي (الغيث)، وحينما ذكر(يهاب) في الغصن ذاته جاء بما هو أليق بها، فقال: (الليث)، وجاء بهما على الترتيب نفسه. وقد تبرز المقدرة الأدبية للشاعر الوشاح لسان الدين، حيث «اجتمع الطباق والجناس معًا [في] (الغيث والليث) كما استطاع أن يحكم الإيقاع بالتقديم والتأخير والتكرار والترصيع، وكذا قام بتنظيم الوحدة الصوتية في القفل نفسه؛ ليعطي تدفقاً موسيقيًا داخليًا عاليًا، ولتلوين النص بها، وتعد هذه واحدة من عناصر إبداعه، ومظهر من مظاهر جمال النص لديه»(2).

ب ـ الجناس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الأحرف وسمَّي ناقصًا؛ لأن أحد اللفظين ينقص عن الآخر حرفاً أو حرفين، ولا يكون النقصان بأكثر من ذلك، كقوله تعالى: ((وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ* إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ))(3).

1 - موشحات لسان الدين بن الخطيب، (دراسة وجمع) عبدالحليم حسين الهروط، دار جرير للنشر والتوزيع، ط.2، 2012م، ص73.
2 - السابق، ص73.
3 - سورة القيامة، الآية 30-29.

وشاهده في شعر لسان الدين قوله(1):

أَكْـرِمْ بِهَـا مِـنْ بِنَـاءِ بَانِـي ... أَرْسَـخَ، فِـي الفَجْـرِ، مِـنْ أَبَّـانِ
أَيُّ جَنَـىً، لِلأَكُـفِّ، دَانِـي ... مَـا لِلمُبَـارَى، بِـهِ، يَـدَانِ
أَقسِـمُ بِالذِّكْـرِ، وَالمَثَانِـي ... مَـا لَـكَ، فِيمَـا سَـمِعْتُ، ثَانِـي
مُدَامَـةٌ بَـرَّةُ الأَوَانِـي ... تُنَشِّـطُ لِلقَـوْلِ كُلَّ وَانِـي

اشـتملت الأبيـات السـابقة علـى مجموعـة مـن الجناسـات الناقصـة (بانـي، أبَّانِ)،(دانـي، يدانِ)،(المثانـي، ثانـي)، (أوانـي، وانـي)، ولـكل مـن هـذه الألفـاظ دلالتـه السـياقية وفقًـا لسـياقها الفنـي. فلفظـة بانـي مـن البنـاء والعمران والتشـييد، وأبَّـان اسـم جبـل، وكـذا دانـي تعنـي قـارب، ويـدان تعنـي الطرفيـن العلوييـن، أمـا المثانـي فتعنـي الآيـات والذكـر الحكيـم، ثانـي تشـير إلـى الرقـم والعـدد، والأوانـي جمـع إنـاء وهـو الوعـاء، ووانـي تعنـي الضعيـف. فـكل الجناسـات ذات الإيقاعـات الصوتيـة رسـمت لنـا صـورة فنيـة بموسـيقى هادئـة الإيقـاع قويـة التأثيـر. وصـورة الجنـاس حليـة رائعـة، ذو أثـر جمالـي فاعـل فـي النـص الشـعري، لاسـيما إذا كان الأثـر حاضـرًا فـي شـعر شـاعر يمتلـك طاقـات غيـر متناهيـة مـن التعبيـر والإيحـاء والموسـيقى مثـل لسـان الديـن، إذ يمثـل التجنيـس فيـه جـزءًا لا يتجـزأ مـن بنـاء فنـي متكامـل.

وقـول لسـان الديـن فـي قصيـدة يهنـئ السـلطان أبـا سـالم المرينـي بفتـح تلمســان (2):

تَلـوَّن إخوَانِـي عَلَـيَّ وقـد جنـت ... عَلـيَّ خُطُـوبٌ جَمَّـةٌ ذَاتَ ألـوانِ
وَمَـا كُنْـتُ أدْرِي، قَبْـلَ أنْ يَتَنَكَّـرُوا، ... بِـأنَّ خِوَانِـي كَانَ مَجْمَـعَ خَوَّانِـي

تنشـأ فاعليـة التجنيـس بيـن اللفظتيـن المتجانسـتين (خِوانـي، خَوَّانـي) مـن خـلال البنـاء الفنـي، الـذي يؤسـس لقدرتـه علـى خلـق الصـور التـي تسـتحضر التحسـين الشـكلي للفـظ، مـع البقـاء علـى المعنـى المعجمـي وموافقتـه للسـياق،

1 - الديوان، ج2 - 629.
2 - الديوان، ج2 - 593. وانظر: ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي، ص92.

وهذا ما انعكس أثره من خلال التجنيس بين اللفظتين (خِواني، خَوَّاني) على نحوٍ متوازنٍ يلقي بظلاله على إحساس المتلقي وشعوره الداخلي، فـ(خِواني) تعني ما يؤكل عليه، بينما (خَوَّاني) تعني المبالغ في الخيانة بالإصرار عليها. وهنا يكمن جمال التجنيس وسره في مراعاة البعد النفسي للقارئ، حيث يدفع بالمتلقي إلى إقامة مقارنة تنتج من تشابه اللفظين، تتبعها المفارقة الناتجة من اختلاف المعنيين.

وقوله في الجناس ذاته (1):

يَا نَسِيْمَ الصَّبَا، عَلَى الأوْرَاقِ لُدِغَتْ مُهْجَتِي، فَهَلْ مِنْ رَاقِي؟!
أيُّ عَيْشٍ، فِيْهِ، قَطَعْنَا، وَأُنْسٍ سَاقَ شَمْلَ السُّرُورِ أيَّ مَسَاقِ

جاء التجنيس في البيتين السابقين بين (الأوراق، راقي)، و(ساق، مساق)، فلفظة (الأوراق) وما تحمل من دلالة تمت مجانستها بلفظة (راقي) الدالة على صانع الرقية، وكذلك لفظة (ساق) الدالة على الحدث، فساقه بمعنى حثه، ولفظة (مساق) تعني منتهى الشيء، وهذه المجانسة التي كان لها حضور في قول الشاعر دلت على شاعرية الشاعر من خلال اختيار اللفظ ذي الوقع الايقاعي المؤثر. فالشاعر يريد أن يقرر معنًى بليغًا في وصفه المحبوبة بالنسيم وما يجلب للأوراق من الحياة والبهاء والرونق، فحال المحبوبة هي من يعيد له الراحة والطمأنينة والحياة.

ج ـ الجناس المحرف: وهو ما اختلف فيه اللفظان في هيئات الأحرف في الحركات والسكنات، واتفقا فيما عدا ذلك من نوع الأحرف وعددها وترتيبها، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ)(2).

1 - الديوان، ج2 - 714.

٢ - سورة الصافات، الآية 73-72.

وقال لسان الدين يرثي أبا الحسن المريني(1):

إِنْ بَـانَ مَنْزِلُـهُ، وَشَـطَّتْ دَارُهُ قَامَـتْ، مَقَـامَ عِيَانِـهِ، أَخْبَـارُهُ
قَسِّـمْ زَمَانَـكَ عَبْـرَةً، أو عِبْـرَةً هَـذِيْ ثَـرَاهُ، وَهَـذِهِ آثَـارُهُ

جاء الجناس في قول الشاعر بين لفظتي (عَبْرة، عِبْرة) فتدل الأولى على معنى الدمعة، بينما تدل الثانية على الاتعاظ والاعتبار بما مضى، ورسم الشاعر ذلك بلوحة فنية معبرة عن عاطفة قوية صادقة تنبع من تجربة شعورية ملئ بها جوفه فسطرها بكلماته البديعية المتجانسة. وندرك ما يتركه التجنيس من واقع إيقاعي له أعظم الأثر في نفس المتلقي وانفعاله من خلال المداعبة في إثارة الذهن وتشويقه لمعرفة معنى اللفظتين المتجانستين. وقد يترك التجنيس أثرًا دلاليًا عميقًا في إيضاح القصد والمعنى المراد.

وقال لسان الدين يخاطب الشيخ الرئيس (أبا عبدالله بن حسون بن أبي العلا)(2):

فَالْبَسْ نَسِيجَةَ مَا قَدَّمْتَ مُعْلَمَةً مِنْ صَنْعَةِ اليُمْنِ تُنْسِي صَنْعَةَ اليَمَنِ

استعمل الشاعر التجنيس في اللفظتين (اليُمن، اليَمن)، ولكل لفظة دلالتها السياقية، إذ يريد في الأولى السعادة والبركة، بينما يريد في الثانية اسم بلد عربي. وقد نتج من خلال التجنيس أثر فني فاعل في التكرار الصوتي والزيادة الإيقاعية التي تشد المتلقي. فتأليف كلمة وائتلاف حروفها مع حروف كلمة أخرى في سياق شعري واحد هو ما يعكس الأثر الدلالي للتجنيس.

د - جناس القلب: ويسميه البعض(جناس العكس) وهو ما اختلف في ترتيب الحروف، وهو إما قلب الكل، وذلك إذا جاء أحد اللفظين عكس

1 - الديوان، ج1 - 440.
2 - الديوان، ج2 - 617-616.

الآخر في ترتيب حروفه كلها، كما في قول الشاعر الأحنف بن قيس:

حُسَامُكَ فِيْهِ للأحبَابِ فَتْحٌ وَرُمْحُكَ فِيْهِ للأَعَدَاءِ حَتْفُ

أو قلب البعض، نحو قول الشاعر:

إنَّ بَيْنِ الضُّلُوعِ مِنِّي نَاراً تَتَلَظَّى فَكَيْفَ لِي أنْ أطِيْقَا؟
فَبَحَقِّي عَلَيْكَ يَا مَنْ سَقَتنِي أرَحِيْقَاً سَقَيْتَنِي أمْ حَرِيْقَا؟

ومنه قول الشاعر لسان الدين في الجناس (1) :

وَالجَوَى فِي فُؤادِ هَيْمَانَه يَشْتَكِي مِنْ وَجِلْ
وَلَقَدْ شَدَّ خَصْرَهُ بِهَمْيَانَهِ فَوْقَ رِدْفِ الكفلْ

فالجناس واقع بين (هيمانه وهميانه)، فـ (هيمان) تعني المحب الشديد الوجد والعطشان شديد العطش، و(هميان) تدل على كيس يوضع فيه المال ويشد على الوسط، وهمى المال سال. حيث رسم الشاعر صورة شعرية من خلال الجناس الذي شارك في تحميل الصورة فنيًا وجعلها أكثر موسيقية من خلال البؤر الإيقاعية وإيحاءاتها التي تكشف عن نفسية الشاعر، وأثرها التخييلي في المتلقي.

وهناك نوع آخر من أنواع الجناس وهو جناس الاشتقاق، الذي لا يخلو منه شعر لسان الدين بن الخطيب، سيحدثنا عنه المبحث الثالث.

المبحث الثالث: الجناس الاشتقاقي:

جناس الاشتقاق: وهو "ما توافق اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى. وهو ما جمع ركنيه أصل واحد في اللغة، ثم اختلفا في حركاتهما وسكناتهما»(2)، ومنهم من يسميه الجناس المقارب، ومنهم من يسميه جناس الاقتضاب(3).

والاشتقاق: «أخذ لفظ من الآخر لمناسبة بينهما في المعنى، والمراد

1 - موشحات لسان الدين بن الخطيب، ص73.
2 - فن الجناس، ص 114.
3 - جنان الجناس، ص33.

هنا الاشتقاق الصغير الذي ينصرف إليه اللفظ عند الإطلاق. وهو ما يوافق فيه اللفظان في الحروف الأصول مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى»(1). وأما الاشتقاق الكبير فهو: "الاتفاق في الحروف والأصول دون الاتفاق في الترتيب مثل القمر والرمق والمرق»(2).

قال لسان الدين في رثاء ثلاثة من الإخوان(3):

ألا لَيْتَ عُمْرِي لَمْ يُفِدْنِي زَمَانُهُ مَوَدَّة خِلٍّ سَارَ عَنِّي، وخَلَّانِي
هُو المَوْتُ يَخْتَارُ الخِيَارُ، وَيَنْتَقِي جَنَى لِبَنِي الدُّنْيَا كَمَا يَفْعَلُ الجَانِي

فقد جانس بين لفظتي (خِلٍّ - خَلَّاني)، الأولى بمعنى الصديق والثانية بمعنى تركني، وكذلك (يختار - الخيار)، و(جنى - الجاني)، وفي التجنيس السابق يظهر الشاعر غاية ما يؤديه التكرار إلى استحضار معانٍ عميقة، مؤثرة في النفس، فهذا التكرار الذي انضوى عليه التجنيس يجعل منه ضربًا من الاختيار الأسلوبي الذي يسهم بدقة في إكساء العناصر اللسانية إيقاعًا خاصًا ينبثق من طبيعة الوحدات الصوتية للكلمتين المتجانستين، ويلحق التجنيس بالتكرار اللفظي المحض الذي يوظف عند الشاعر لتحسين اللفظ (4).

وقال لسان الدين بما يستحسن في غرض الرسالة وأبياتها، في مراجعة ثلاثة أشخاص بما نصه (5):

أَجْنَى، إِلَيْهَا، الرِّضَى، جَنَانِي مِنَ المَعَانِي جَنَى جِنَانِي

حصل الجناس الاشتقاقي بين (أجنى، جَناني)، (جنى، جِناني)، وكلها مشتق من أصل لغوي واحد هو الفعل (جنى)، وقد برز الجناس لتوافقه

1 - فن الجناس، ص 114.
2 - نفسه، ص 114.
3 - الديوان، ج2 - 625.
4 - ينظر: حضور النص، قراءات في الخطاب البلاغي النقدي عند العرب فاضل عبود التميمي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط.1، 2012م، ص81.
5 - الديوان، ج2 - 629.

مـع أسـلوب التقابـل، فـكان أكثـر تأثيـرًا فـي المتلقـي.

ويلاحـظ أن معظـم الاشـتقاق فـي الأقـوال السـابقة جـاء مـن الأسـماء الجامـدة، وهـو مـا يقصـد مـن الاشـتقاق، وفـي ذلك يقـول ابن شـهاب الحضرمي: "والمـراد بالاشـتقاق أن يشـتق المتكلـم مـن الاسـم معنـى فـي غـرض يقصـد مـن مـدح أو هجـاء أو غيـره، ومشـتق مـن الاسـم بمعنـى مأخـوذ منـه وليـس المـراد بـه اشـتقاق المـادة، لأن ذلـك يكـون مـن المصـادر لا مـن الأعـلام»(1).

قال لسان الدين حسب ما اقترح عليه السلطان (2):

إِنَّ الصَّدَاقَـةَ لَفْظَـةٌ، مَدْلُولُهَـا فِـي الدَّهْـرِ كَالعَنْقَـاءِ، بَـلْ هُـوَ أَغْرَبُ
كَـمْ فِضَّـةٍ فُضَّـتْ، وَكَـمْ مِـنْ ضَيْعَـةٍ ضَاعَـتْ، وَكَـمْ ذَهَـبٍ رأيْنَـا يَذْهَـبُ!

نسـتحضر شـواهد مـن شـعر الشـاعر لسـان الديـن قـد تجلـت فيهـا فاعليـة التجنيـس بشـكل مؤثـر فـي المسـتويين الصوتـي والدلالـي، ومـا تحمـل اللفظـة الثانيـة مـن السـمة الاشـتقاقية فـي سـياق خـاص مؤثـر، ففـي البيـت السـابق اسـتطاع الشـاعر أن يجعلـه مكتظـاً بالجنـاس الاشـتقاقي ومنهـا: (فِضَّـة، فُضَّت)، (ضيْعـة، ضاعـت)، (ذهـب، يذهـب). وارتسـمت تلـك الجناسـات بلوحـة فنيـة تنبـع عـن تجربـة شـعورية أحـس بهـا الشـاعر فسـطرها بكلماتـه وحضورهـا فـي القـول السـابق، ممـا يبـرز الأثـر الفنـي لفاعليـة الجنـاس فـي سـياق البيـت، فضـلاً عـن الموسـيقى الإيقاعيـة التـي تطـرب لهـا الأذن.

لقـد اسـتطاع الشـاعر أن يعبـر عـن الصداقـة بصـورة فنيـة جماليـة تعطـي للصداقـة أعلـى درجـات الفخـر ومـا يتولـد عنهـا، فقد اسـتطاع أن يولـد معانـي جديـدة مـن خـلال اسـتخدام اللـون البديعـي، فالتطابـق الإيقاعـي بيـن ركنـي التجانـس يتعانـق مـع المعانـي وإحسـاس الشـاعر بهـم، علـى الرغـم مـن تباين مدلولهـم فـي الواقـع، فهمـا مختلفـان فـي المعنـى واقعـاً، ولكنهمـا متحـدان فـي نفـس الشـاعر إحساسـاً، وهنـا تأتـي مهمـة الشـاعر فـي «المـزج والجمـع بيـن

1 - فن الجناس، ص 128.
2 - الديوان، ج1 - 111.

العناصر المتباعدة، وتحقيق الوحدة فيها من خلال عاطفته وأحاسيسه»(1).

ونشاهد هذا أيضًا في قول الشاعر لسان الدين ضمن قصيدة قالها ردًا على أبي عبدالله بن مرزوق حين قدومه على مدينة فاس (2):

رَاحَتْ تَذَكَّرُنِي كُؤوسَ الرَّاحِ وَالقُرْبُ يَخْفِضُ لِلجُنُوحِ جَنَاحِي
مَا زِلْتُ أَجْعَلُ ذِكْرَهُ، وَثَنَاءَهُ رَوْحِي، وَرَيْحَانِي الأَرِيْجَ وَرَاحِي

جانس الشاعر جناسًا مشتقًا بأن أخرج الأفعال من مصادرها، فجانس بين لفظي (راحت، الراح)، (الجنوح، جناحي)، (روحي، راحي)، وهذا يشير إلى أن الجناس الاشتقاقي يحمل عنصر المفاجأة؛ لأنه يوهم المتلقي أن اللفظ قد تكرر دون فائدة سيجنيها، ولكن سرعان ما يدرك الدلالات المختلفة لكل لفظة غير المعنى المتوقع، فيكون لذلك أثر حسن في النفس ووقع في القلب.

ونختم هذه الدراسة بإيراد أبيات من قصيدة للشاعر لسان الدين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم جمع فيها أكثر من نوع من أنواع الجناس(3):

سَلْ مَا «لِسَلْمَى» بِنَارِ الهَجْرِ تَكْوِيْنِي وَحُبُّهَا فِي الحَشَى مِنْ قَبلِ تَكْوِينِي
وَفِي مُنَاهَا تَمَنَّيتُ المُنَى، فَغَدا قَلْبِي كَئِيْبًا، بِبَلْوَاهُ، يُنَاجِينِي
وَفِي قِبَابِ "قُبَا" قَامَتْ لَنَا، بِقُبَا طِرَازُهَا مُذْهَبٌ فِي حُسْنِ تَزْيِينِ
لَمَّا تَغَنَّيْتُ فِي أَفْنَانِ قَامَتِهَا تَغَنَّتْ بِفُنُونِ الصَّدِّ تُغْنِينِي
وَتَحْسَبُ الصَّدَّ يُسْلِينِي مَحَبَّتَهَا، هَيْهَاتَ، لَوْ أَنَّ جَمْرَ النَّارِ يُصْلِينِي
وَقَدْ رَأَيْتُ مَسِيرِي عَزَّ مَطْلَبُهُ وَالطَّرفُ، والظَّرفُ، يُبْكِينِي وَيَكْوِينِي
ثُمَّ آتِ "جَزْعًا» وَجُزْ عَنْ حَيِّ «كَاظِمَةٍ، وَاقْرَ السَّلامَ عَلَى خَيْرِ النَّبِيئِينِ

يبدأ الشاعر أبياته من خلال الاعتماد على الجناس التام، الذي ظهر في لفظ: (تكويني) المعبر عن الأذى والألم و(تكويني)، الذي عبر عن

1 - الفخر عند الشاعر يوسف الثالث، محمود راشد يوسف مصطفى، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2004م، ص78.
2 - الديوان، ج1 - 232.
3 - الديوان، ج2 - 610.

خلق الله له (النفس البشرية)، فهو يربط بين الألم وحبه القديم للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ما لبث أن رسخ هذه الفكرة في نفوسنا بوساطة تعدد القافية داخل بعض أبيات القصيدة نحو قوله: (الشوق يقلقني والقرب ينشرني)، وهذا التعدد جاء مصاحبا لضمير المتكلم، وكأن هذه الصفات التي تدل على معاني الألم قد بدأت مع ولادة الشاعر.

وفي بعض هذه الأبيات إيقاع منبعث من نواة أمٍّ أو بؤرة إيقاعية أساسية ما تلبث أن تنبث وتتشظى في البيت كله أو في شطر منه، فهي في البيت الأول (سل - كون)، وفي البيت الثاني (منيَ) وفي البيت الثالث(قبب) وفي البيت الرابع(حرف الفاء مع مكملاته) وفي البيت الخامس(حرف السين والصاد ومكملاتهما) وفي الخامس(حرف الطاء مع مكملاته) وفي السادس (جزع)، ولكل واحد من هذه البؤر الإيقاعية إيحاءات تكشف عن نفسية الشاعر ومقاصده الإبلاغية.

وقد يظهر جمال الجناس في البيت في التجاوب النغمي للفظي الجناس بين الصدر والعجز، وبوقوع لفظي الجناس في آخر كل شطر من البيت يخرج مخرج السجع الذي يسمى تصريعاً.

الخاتمة:

بعد هذه الإضاءة التي ألقيناها على جمالية التجنيس في شعر ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب يبرز أمامنا الاستخدام الجمالي الفني لأنواع الجناس في شعره من حيث دقة اختيار الكلمات، وغزارة معانيها؛ كون الشاعر قد أتى بها عفوية في مواضع من شعره، ومتكلفًا في مواضع أخرى، إلا أن هذا التكلف كان تكلفًا فنيًا جماليًا، مقصودًا به الإمتاع والتعبير الدقيق عن خلجات الشعور لحظة إنشاء الشعر.

كما أنه استطاع مقاربة أنواع الجناس سواء أكان التام بأنواعه المختلفة أم الناقص أم الاشتقاقي؛ ليظهر مقدرته الفنية على ذلك، ويبرز مدى معرفته باللغة ومهارته في التلاعب بها لخدمة أغراضه الفنية ومقاصده

البلاغيــة والإبلاغيــة.

حيـث لـون الخطـاب وأكسـبه فاعليـة وإقناعـا، مسـتخدماً طاقـات اللغـة مـن أصـوات وتجانـس بيـن حروفهـا؛ لنقـل المعنـى وإيصالـه كامـلاً إلـى متلقيـه، مستجيبة تلـك اللغـة لأفكار الشـاعر، آسـرة فكـر المتلقـي وعاطفتـه معًـا، وشـد انتباهـه إلـى مـا تخفـي مـن معـان وغايـات فـي خطابـه.

ويمكـن القـول إجمـالًا إن تحليـل مـا سـبق مـن شـعر الشـاعر ينبئنـا بمجموعـة مـن الدلائـل، أهمها:

أنـه اسـتثمر بعـض تقنيـات الجنـاس فـي نصوصـه الشـعرية؛ وفقًـا لمـا اقتضاه المعنـى وتطلبـه المضمون.

اسـتطاع الشـاعر أن يحافـظ علـى المطلـب الصوتـي والموسـيقي المرجـو فـي الجنـاس، وهـذا دليـل تمكنـه مـن نصـه شـكلًا ومضمونًـا، إفـرادًا وتركيبًـا، وزنًـا وإيحـاءً.

يبـدو الجنـاس أكثـر شـيوعاً ودورانـاً عنـد لسـان الديـن فهـو «عنصـر هـام يفجـر فـي الألفـاظ طاقـات حديثـه للعطـاء فـي أنغـام مختلفـة»(1)، وإذا نظرنـا إلـى موشـحاته نجـد أنـه فـي الغالـب لا تخلـو موشـحة ولا قصيـدة إلا واشـتملت علـى هـذه الظاهـرة، فقد كان ينتقـي مـا هـو طريـف مـن الجنـاس «ذي الإيحـاء السـمعي الحسـن، دلالـة علـى ثرائـه اللغـوي وقدرتـه علـى توليـد الألفـاظ بعضها ببعض»(2).

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أسـرار البلاغـة، أبـو بكـر عبـد القاهـر بـن عبدالرحمـن بـن محمـد الجرجانـي، تحقيـق محمـود محمـد شـاكر، دار المدنـي، جـدة، ط.1، 1991م.

البديـع، أبـو العبـاس عبـدالله بـن المعتـز، تحقيـق عرفـان مطرجـي، مؤسسـة الكتـب الثقافيـة، ط.1، 2012م.

1 - عناصـر الإبـداع الفنـي فـي شـعر ابـن خفاجـة، د. يحيـى خاطـر، مؤسسـة الإخـلاص للطباعـة والنشـر، مصـر، ط.1، 1999م، ص418.

2 - موشحات لسان الدين بن الخطيب، ص73.

البديع في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، ط.1، 1979م.
بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب ومطبعتها، د. ط، د.ت.
التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، سيد خضر، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، ط.1، 1998م.
جماليات اللغة وغنى دلالتها من الوجهة العقدية والفنية والفكرية، محمد صادق حسن عبدالله، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، ط.1، 1993م.
الجناس الصوتي والبلاغي في اللغة العربية، هناء عبد الرضا رحيم الربيعي، مجلة آداب البصرة، العدد 55، لسنة 2011م.
جنان الجناس في علم البديع، صلاح الدين الصفدي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط.1، 1299ه.
حضور النص – قراءات في الخطاب البلاغي النقدي عند العرب، عبود فاضل التميمي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط.1، 2012م.
دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، 1984م.
دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو،، ط.4، 1991م.
ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ط، 1989م.
ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، تحقيق د. محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط.2، 2007م.
سر الفصاحة، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1982م.
شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، قدم وصحح ووثق نصوصه وشرح غريبه محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1998م.
علم البديع، بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط.3، 2011م- 1432ه.
عناصر الإبداع الفني في شعر ابن خفاجة، يحيى خاطر، مؤسسة الإخلاص للطباعة والنشر، مصر، ط.1، 1999م.
علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، أحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008م.
فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، مصر، د. ط، 1954م.

كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل أبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط.1، 1952م.
كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2003م.
لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، د. ط، د.ت.
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ط، د.ت.
المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم «صحيح مسلم»: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، د.ت.
معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، 1979م.
موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهاوني، مكتبة لبنان ناشرون، د. ط، 1996م.
موشحات لسان الدين بن الخطيب، (دراسة وجمع) عبدالحليم حسين الهروط، دار جرير للنشر والتوزيع، ط.2، 2012م.
نقد الشعر، أبوالفرج قدامة بن جعفر، تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د.ت.
نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، تحقيق علي بو ملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د.ت.
الرسائل والدوريات :
الفخر عند الشاعر يوسف الثالث، محمود راشد يوسف مصطفى، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2004م.
ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي، محمد زنيبر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، العدد 2، 1977م.
مفهوم الشعر عند ابن الخطيب التلمساني، فاروق أسليم، مجلة جامعة دمشق، المجلد23، العدد2، 2007م.

شعرية المتعاليات النَّصيَّة في ديوان
محمد الثبيتي الأعمال الكاملة[1]*

"مقاربة سيميائية»



د. خالد عبَّاس مصطفى عبد السلام

أستاذ الأدب والنقد المشارك في جامعة الملك خالد

المملكة العربية السعودية

1 □ هذا البحث تمَّ دعمه من خلال البرنامج البحثي العام بعمادة البحث العلمي جامعة الملك خالد المملكة العربية السُّعودية، بالرقم (G.R.P-163-38).

المستخلص:

مـن أبـرز مظاهـر تطـوُّر الدراسـات الأدبيـة والنقديـة الحديثـة، ظهـور نظريـات جديـدة فـي النقـد الأدبـي المعاصـر، منهـا مـا عُـرِفَ عنـد الناقـد الفرنسـي (جيـرار جينيـت) بالمتعاليـات النَّصَّيـة، فـي مشـروعه الموسَّـع حـول الشـعرية. وفـق هـذه النظريـة أُجـريَ هـذا البحـث بهـدف الإجابـة عـن عـدد مـن الأسـئلة، والتـي تُكْسِـبُ البحـثَ أهميـةً مزدوجـةً، مـن حيـث تقديمـه محاولـةً لقـراءةِ الأدبِ السُّـعودي الحديـث قـراءة جامعـة مـن خـلال المتعاليـات النَّصِّيـة عنـد محمـد الثبيتـي، كمـا أنَّـه يهـدف إلـى إحـداث مفارقـة واضحـة فـي حقلـه، فمعظـم الدراسـات السـابقة كانـت جزئيـة، تناولـت شـعرية النـص عنـد الثبيتـي، أو تجربـة الشـاعر ومكانتـه فـي الأدب السُّـعودي. اعتمـدتْ الدراسـة المنهـج الاسـتقرائي والاسـتنباطي، وتوصَّلـتُ إلـى عـدد مـن النتائـج مـن أَهمِّهـا: إنَّ شـعرية الداخـل والخـارج فـي ظـلِّ المنـاص تفتـح نصـوص الثبيتـي علـى قـراءات جديـدة، كذلـك يتبيَّـن مـن خـلال تنـاص النصـوص الخلفيـة الثقافيـة والإبداعيـة التـي شـكَّلتْ نـص الثبيتـي، وأخيـراً يوصـي الباحـث بضـرورة إعـادة قـراءة الشـعر السُّـعودي فـي ظـلِّ المتعاليـات النَّصيـة.

Abstract:

Poeticalness Of Transtextualities In Dewan Mohamed Elthobyti Alaamal Alkamila " Semiotic approach"

One of the most prominent development of modern literary studies, is the emergence of new theories in modern criticism, inculding what was known to the French critic (Gerard Genette) with transtextualities in his expanded project. According to this theary, this research was conducted in order to answer a number of questions, which earns double importance in presenting it to an attempt to read modern Saudi literature auniversal reading, through transtextualities in elthobyti's poetry, also the research aims to make aclear paradox in his field. Most of the previous studies in Saudi literature were partial, were delt the poeticalness of the text at elthobyti or the poet's

experience and his place in the saudi literature. The study adopted.the deductive inductive method, and was reached a number of results, the most important: the inside and out of poeticalness under the paratextuality medium opens the text of elthobyti to new reading, and also this reading reflects the cultural and creative background that formed the text of elthobyti.

Finaly that researcher recommonds, the need to read Saudi poetry in light of the transtextualities.

المقدمة:

شهدت الفترة الأخيرة تطوُّراً ملحوظاً ومتسارعاً على مستوى الدراسات الأدبية والنقدية، في ظِلِّ حركة العولمة التي انتظمت العالم، والقائمة على فكرة التداخل والبحث عن صلات وعلاقات بين الشعوب على مستوى الثقافة والفكر واللغة والدين والعرق وغيرها، بدلاً عن علاقة الضدية والغزو العسكري والاستلاء، والتي سادت العالم ردحاً من الزمن. ومن أبرز نتاج هذا الاتجاه الفكري، ظهرتْ نظريات جديدة في النقد الأدبي المعاصر، منها ما عرف بالمتعاليات النَّصية التي هي موضوع هذا البحث، والتي تقوم برصد العلاقات النَّصيَّة في ظل فكرة التَّداخل بين النُّصوص، من خلال تطبيق نظرية التَّعالي النَّصي على أحد أعلام الشِّعر السُّعودي المعاصر، وهو الشاعر محمد الثبيتي.

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالمتعاليات النصية في النقد المعاصر؟
- ما هي أبرز مستويات التَّعالي النَّصِّي التي تجلَّت عند الثبيتي؟
- إلى أيِّ مدى تُسهم المتعاليات النَّصيَّة في قراءة شعر الثبيتي وفهمه؟
- ما مدى استيعاب الشِّعر السُّعودي لنظريَّة التَّعالي النَّصِّي من خلال تجربة الثّبيتي؟
- ما الإضافة الجمالية للمتعاليات النصية عند الثبيتي؟

ومن خلال الإجابة عن هذه التساؤلات، تتحقق أهداف هذا البحث. فهو

يقدِّمُ دراسة تشتغل على توظيف المناهج النقدية المعاصرة في قراءة الشِّعر السُّعودي من خلال شعر الثبيتي.

مصطلحات البحث:

أوَّلاً- الشعرية: هناك إشكالية واضحة في هذا المصطلح تمثلتْ في تعدد الترجمات اللفظية التي بدت واضحة عند النقاد العرب، ومنها: (الشعرية، والشَّاعرية، وبويطيقا، والإنشائية، وبويتيك، ونظرية الشِّعر، وفن الشعر، وفن النظم، وعلم الأدب)، كلها مرادفات للدلالة على الشعرية. فعند الشكلانيين نجد (رومان جاكبسون (Roman Jakobson))، قد ربط بين الشعرية واللسانيات، وكذلك ربط بين الشعرية والبحوث الأسلوبية، فالشعرية عند الشكلانيين الروس سعت إلى تجاوز آفاق البلاغة للتخلص من الأحكام المعيارية الجاهزة. يقول صلاح فضل: (إذا كان جاكبسون قد ربط بين الشعرية واللسانيات، فإنَّه في الاتجاه نفسه سعى إلى الربط بين الشعرية والأسلوبية، وظلَّ يلحُّ عليه طيلة الخمسين الماضية مما أسس مفهوم الشعرية الحديثة وربطها بالبحوث الأسلوبية)1. فالشِّعرية بذلك تحوي الأسلوبية؛ وذلك لأنَّ الأسلوبية اقتصرت على دراسة الشَّفرة دون السِّياق، مما يستدعي الحاجة إلى الشِّعرية، (فهي لا تسعى لدراسة الشعرية لذاتها؛ ولكن لتأسيس السياق منها كوجود قائم وكتبشير باحتمال آت)2(1). أمَّا الشِّعرية الفرنسية فكان التأصيل لها منذ الستينيات مع الناقد (تزفتان تودروف)، (Tzvetan Todorov)، الذي تركز عمله في الأساس على التأكيد بأنَّ العمل الأدبي ليس في حدِّ ذاته موضوع الشعرية وإنَّما ما تستنطقه من خصائص هذا الخطاب النَّوعي، بمعنى أنَّنا نسعى للبحث عن الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الأثر الأدبي، يقول تودروف: (إنَّ الشعرية لا تسعى لتسمية المعنى، بل إلى معرفة القوانين العامة التي

1 صلاح فضل: شفرات النَّص، ط1، دار الآداب، القاهرة، 1995، ص75 .
2 عبد الله محمد الغذامي: الخطيئة والتكفير، ص97.

تنظـم ولادة كل عمـل)1.

ثانياً - مفهوم المتعاليات النصية Transtexttualite:

ظهـر هـذا المصطلـح عنـد (جيـرار جينيـت)، Gerard Genette نتيجـة مشـروعه المتعمِّـق لسـبر أغـوار مصطلـح التنـاص وبحثـه المسـتفيض عـن الشـعرية، وهـو بحـث عـن الأدبيَّـة والإجابـة عن السـؤال الـذي طرحه الشَّـكلاني الروسـي(رومان جاكبسـون) Roman Jakobson، ويمكننـا تحديـد هـذا المصطلـح مـن خـلال التعريـف بأنماطـه الخمسـة بحسـب (جيـرار جينيـت)، وهـي:

أوَّلاً- التناص (النشأة والمصطلح):

مصطلـح التنـاص مـن المصطلحـات المحدثـة فـي حقـل النقـد عامـة، والنقـد العربـي بصفـة أكثـر خصوصيـة، فقـد شـاع هـذا المصطلـح فـي سـتينيات القـرن الماضـي، وعـرف أو ظهـر - كمـا يُشـير أغلـب الدارسـين - علـى يـد الباحثـة الفرنسـية جوليا كرسـتيفاJulia Kristeva، في سـنة سـت وسـتين وتسـعمائة وألف، فـي مقالاتهـا عـن السـيميائية والتنـاص، والتـي نُشِـرَتْ فـي مجلتـي (Tel-Quel) (تيـل- كيـل) و(كريتيـك)2(Critique)، وهـذه المقـالات أعيد نشـرها ضمـن كتابيها (Semeiotike) سـيميوتيك، ونـص الروايـة (Le Texte du roman)3 ، مـن المهـم أنْ نقـفَ علـى الأصـل الـذي تُرْجِـمَ عنـه هـذا المصطلح فـي اللغـات الأخـرى، لتعدُّد ترجماتـه فـي العربيـة، فالتنـاص أو تداخـل النصـوص أو النصـوص المتداخلـة، أو النصـوص المهاجـرة والمهاجـر إليهـا، أو النصـوص الحالَّـة والمزاحـة... إلـخ، كلّهـا صيـغ لفظيَّـة متفرِّقـة الاسـتعمال بيـن الباحثيـن العـرب يقابلهـا مصطلـح Intertextuality)) فـي الإنجليزيـة4، و(Intertextualite) فـي الفرنسـية5، ويعنـي

1 تزفتان تودروف: الشعرية، ترجمة شكري البخوت، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء بيروت، 0991م، ص32 .

2 أحمد الزغبي: التناص التاريخي والديني، (رواية رؤيا لهاشم غرايبه)، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد31، العدد الأول، 5991م، جامعة اليرموك- الأردن، ص071.

3 تركي المغيض: التناص في معارضات البارودي، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة الآداب واللغويات، المجلد التاسع، العدد الثاني،1991م، جامعة اليرموك - الأردن، ص68.

4 الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التفكيكية، ص023.

5 جيرار جينيت: مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمن أيوب، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986م، ص97.

عند الفرنسيين كما ورد في معجم لاروس: (مجموعة العلاقات التي تربط نَصَّاً أدبياً - بصفة خاصة- بنص آخر أو نصوص أخرى، في مستوى إبداعه من خلال الاقتباس، الانتحال، التلميح، المعارضة...إلخ وفي مستوى قراءته وفهمه بفضل الربط الذي يقوم به القارئ)1، كما يعني أيضاً: (شبكة الأفكار والخطابات والموضوعات الثقافية التي تدخل في تفاعل مع أثر أدبي ما)2.

أمَّا مصطلح التناص في النقد العربي الحديث، فلم يعرف إلا مؤخراً، كما أنَّ معرفته فيها كثير من الخلط والتداخل بين مفهوم التناص وعدة مفاهيم أخرى كثيرة، مثل: (الأدب المقارن) (Comparative littérature)، و(المثاقفة) (Akloration)، و(دراسة المصادر)، و(السرقات) (Plagiarism)3(5)، وسبب تأخر ظهور هذا المصطلح في حقل النقد العربي - بحسب الباحث - أنَّ معظم الدارسات الأولى حول التناص رُبَّما كُتِبَتْ بلغات لم تكن العربية من بينها، إضافة إلى أنَّ الباحثين العرب المحدثين أحجموا - أول الأمر- عن الخوض في الدراسات اللغوية المقارنة، وترجمة مخرجاتها إلى العربية. فصيغة التناصص نفسها مصدر الفعل على زنة (تفاعل) تأتى من اثنين أو أكثر وهو تداخل النصوص ببعضها عند الكاتب، والشاعر بخاصة؛ طلباً لتقوية الأثر، أو توسُّعاً في القول بالإحالة على نصوص أخرى4.

مفهوم التناص عند النقاد الغربيين:

إنَّ مصطلح التناص من المصطلحات المولَّدة التي احتفل بها النقد المعاصر، ولقد استقل بصورة منتظمة وجديَّة - في الغرب - عند جماعة (Tel-Quel) الأدبية النقدية، واستثمر من أجل تجاوز الجنس الأدبي وطرح

1 .Le petit Larousse compacte ,le premier du siècle, Canada, juillet 2000 . p555
Bernard le charbonnier et autres, littérature textes et documents : introduction historique 2 .de Pierre Miquel xx siècle. Collection Henri Mitterrand .France, juillet 1998, p857

3 محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ص119.

4 عبد الواحد لؤلؤة (ناقد عراقي): من قضايا الشعر العربي المعاصر التناص مع الشعر الغربي، مجلة الوحدة السنة السابعة ، العدد 82 83- ، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المغرب، 1991م، ص14.

صيغة النص المتعدِّد، والذي يتوالد في الوقت نفسه من نصوص كثيرة سابقة عليه أو متزامنة. وإذا كانت كرستيفا، هي صاحبة التنظير المنهجي الأول لمسألة التناص، في تقديمها لبختين1 فإنَّه في هذه المرحلة المشار إليها تحوَّلَ إلى حتم لا غنى عنه في حقل النص الأدبي، وتجاوز ذلك إلى غيره من النصوص. ثم ما لبث أنْ اكتسب تنويعات، وتفريعات عديدة في الاستعمال، وتولَّدتْ، بكيفية محاذية، صيغ ومصطلحات مغايرة له لفظاً، وإنْ اتجهتْ في معظمِها إلى تحصيلِ معناه بحسب السياق الذي ترد فيه والنص الذي تفرزه2.

لعلَّ بختين من السابقين لهذه (الظاهرة) - والتي تبلورت فيما بعد إلى قضية من خلال العلاقات التكاملية للدراسات والأبحاث التي أحدثت تحوَّلاً هائلاً، ليس في طرائق تحليل النصوص الأدبية فحسب، وإنَّما في تجاوزها ذلك إلى الفكر العالمي بعامة في مختلف مناحي الحياة - حين تحدث عن الحوارية: فهو (...أول من نبَّه إلى ظاهرة التناص في الأعمال الأدبية حينما أكَّدَ أنَّ النص الأدبي ذو طابع حواري، وأنَّ أيَّ نص لا بد أنْ يدخل في حوارات مع نصوص أخرى لأنَّ الأديب يتطوَّر في عالم مليء بكلمات الآخرين فيبحث في خضمها عن طريقه فيعثر على الكلمات التي تسكنها أصوات أخرى. واهتم اهتماما خاصَّاً بالوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص - أو لأجزاء من نصوص- سابقة عليها)3. وأكَّدَ بختين أنَّ كل خطاب يتكوَّن من خطابات أخرى سابقة عليه، ويتقاطع معها بصورة ظاهرة أو خفيَّة، فلا وجود لخطابٍ خالٍ من آخر بل هو: (أسير، مخترق بالأفكار العامة والروايات والتقديرات

1 جراهام ألان: نظرية التناص، ترجمة باسل المسالمة، ط1، دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق- ،2011م، ص21.

2 مارك أنجينو: في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة أحمد المديني، ط1، دار الشئون الثقافية، بغداد، 1987م، ص99.

3 محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، الشعر المعاصر، ط1دار توبقال، المغرب، 1990، ص183.

والتحديات الصادرة عن الآخرين. وهو في توجهه نحو موضوعه يشتبك مع هذه البيئة المكونة من الكلمات الأجنبية، المتهيجة بالحوارات، المتوترة بالأحكام والنبرات الغريبة، فيندس بين تفاعلاتها المعقدة، منصهراً مع بعضها، ومنفصلاً عن بعضها الآخر، ومتقاطعاً مع فئة ثالثة من هذه العناصر. وداخل هذه الصيرورة للصوغ الحواري يستطيع أنْ يعطي شكلاً لصورته ونبرته الأسلوبيتين)1، « فكل ملفوظ حي ينبثق بدلالة في لحظة تاريخية، وداخل بيئة اجتماعية محددتين، لا يمكن أن يفلت من ملامسة آلاف الأسلاك الحوارية الحيَّة المنسوجة من لدن الوعي الاجتماعي الإيديولوجي القائم حول ذات الملفوظ. وانطلاقا من هذه الفكرة طرح نظرية الحوارية2. وتعرِّفه (جوليا كرستيفا) بأنَّه: (عملية نقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة في النص الجديد)3، وتقول أيضاً: (إنَّ كلَّ نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرُّب وتحويل لنصوص أخرى)4.

أمَّا (رولان بارت) (Roland Barthes)، فيرى أنَّ كل نص هو: « نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله»5، وقد شكَّل من خلال مقالته عن (موت المؤلف) بُعداً جديداً للتناص، وأنَّ تطوير النص مرهون بالاستغناء عن المؤلف، كما جذور الأشجار التي تغوص وتختفي في الأرض لِتَمُدَّ فروعها بالغذاء، وكذلك تتم قراءة النَّص بوصفه سلطة قائمة بذاتها بعيداً عن مؤلِّفه، وقد أشار بارت إلى ذلك بأنَّ (موت المؤلِّف): «لا يعني إلغاء المؤلف، وحذفه من دائرة الثقافة؛ إنَّما تهدف إلى تحرير النص من سلطة الطرف المتمثل

1 ميخائيل بختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر، باريس، القاهرة،1987م، ص52.

2 المرجع السابق، ص53-54.

3 جوليا كرستيفا: علم النص، ترجمة، فريد الزاهي، مراجعة، عبد الجليل ناظم، ط2 ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص23.

4 أحمد الزغبي: التناص التاريخي والديني، مجلة أبحاث اليرموك، ص170.

5 رولان بارت: من الأثر الأدبي إلى النص، ترجمة :عبد السلام بنعبد العالي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 28، آذار 1989، بيروت، ص115.

بـالأب المهيمـن: المؤلـف؛ وتزيـح المؤلـف مؤقتـاً، إلـى أنْ يمتلـئ النَّـص بقارئـه والقـارئ بالنـص»1؛ وبذلـك يعطـى بـارت السـلطة للقـارئ، فربَّمـا يفتـحُ - القـاريء - النـص علـى قـراءات لـم يفكِّـر المؤلـف - نفسـه - فيهـا لحظـة إنتـاج النـص، ممـا يُسـهم فـي ثرائـه، بوصـف القـاري منتجـاً للنـص وليـس مسـتهلكاً لـه. وقـد أشـار الدكتـور أحمـد الزغبـي إلـى ذلـك فيما سمَّاه بـ «تنـاص القارئ» وأنَّ بـارت قـد طـوَّر هـذا المصطلـح وعمقـه وكثَّـف البحـث فيـه ولكـن قـد يكـون زاده غموضـاً لانفتاحـه علـى آفـاق وحقـول لا نهائيَّـة ولا محـدودة ترفـد النـص الأدبـي، يقـول بـارت: (إنَّ كل نـص هـو نسـيج مـن الاقتباسـات والمرجعيـات والأصـداء، وهـذه لغـات ثقافيـة قديمـة وحديثـة، وكل نـص الـذي هـو تنـاص مـع نـص آخـر، ينتمـي إلـى التنـاص، ولهـذا يجـب ألا يختلـط مـع أصـول النَّـص، فالبحـث عـن مصـادر النـص أو مصـادر تأثـره هـي محاولـة لتحقيـق بُنُـوَّة النَّـص، فالاقتباسـات التـي يتكـون منهـا النَّـص مجهولـة المصـدر، ولكنَّهـا مقـروءة، فهـي اقتباسـات دون علامـات تنصيـص. والـذي يهتـم بـه بـارت فـي ملاحظاتـه السَّـابقة هـو أنَّـه إلـى جانـب التَّنـاص الـذي يسـتخدمه أو يسـتحضره المؤلِّـف هنالـك تنـاص آخـر يسـتحضره القـارئ، وهنـا تتعقَّـد المسـألة وتتشـعَّب وتـزداد غموضـاً، فالكاتـب يسـتحضر نصوصـاً مـن مخزونـه الثقافـي أو مقروئه المعرفـي ويضمنهـا نصَّـه الجديـد، ولكـن فـي ذات الوقـت يسـتحضر القـارئ أثنـاء قراءتـه للنـص، نصوصـاً أخـرى مـن مخزونـه الثقافـي، - وهـو فـي ذلـك- قـد يختلـف عمومـاً عمَّـا لـدى الكاتـب أثنـاء كتابتـه، ويصبـح النـص هنـا تناصـاً فـي تنـاص وهكـذا... أو (جينولوجيـا كتابـات) حسـب تعبيـر (بـارت) 2. وهكـذا يرتبـط علـى الأرجـح بنظريـات أو دراسـات (بـارت) عـن القـارئ كمنتـج آخـر للنـص، وعـن الكاتـب الـذي فقـد أبـوة النـص، وغيرهـا مـن قضايـا كثيـرة أثارها

1 بـارت: نقـد حقيقـة، ترجمـة منـذر عياشـي، مركـز النمـاء الحضـاري، الـدار البيضـاء، المغـرب، ط1، 1994، ص10.

2 أحمد الزغبي: التناص التاريخي والديني ، مجلة أبحاث اليرموك، ص191.

في كثير من دراساته1. ولعلنا هنا نشير إلى مراحل التحوُّل الذي طرأ على الفكر النقدي حول النص، حيث انتقل من طور الاهتمام بالنص كبنية قائمة بذاتها بعيدة عن كل ما هو خارج النص بحسب البنيوية. ثمَّ مرحلة الاهتمام بالمؤلِّف بوصفه صاحب السلطة الأولى في تحديد حركة النص وتحديد مدلولاته وفهمه من خلال الظروف التاريخية والنفسية والاجتماعية الخاصة بالمؤلف، وقد انتهى ذلك الاهتمام بالمؤلِّف أو الكاتب من خلال مقالة بارت عن "موت المؤلف"، بمعنى أنَّ السلطة الفعلية في قراءة النص وفهمه انتقلت للقارئ بوصفه منتجاً آخراً للنص من خلال ما يقدمه من إشارات رُبَّما لم يفكر الكاتب فيها لحظة الكتابة؛ مما أكسبَ النَّصَّ أبعاداً جديدة أسهمتْ في إثرائه وعمَّقَتْ قراءاته.

أمَّا جيرار جينيت(Gerard Genette) فقد أسهم بشكل واضح، من خلال كتابه مدخل لجامع النص (Introduction Alarchitexte)، في تطوير المفاهيم المتصلة بالعلاقات النصية، من خلال ما أسماه بالتعالي النَّصِّي (transtextualité)؛ والذي هو موضوع بحثنا ويعدُّ التناص أول علاقاته، يقول جينيت: (لا يهمُّني النَّصَّ حالياً إلا من حيث «تعاليه النَّصَّي» أي أنْ أعرف كلَّ ما يجعله في علاقة خفيَّة أم جليَّة مع غيره من النصوص هذا ما أُطلقُ عليه التعالي النَّصَّي)2، ونجده في حديثه عن التداخل النصِّي ضمن المتعاليات يُشِيْرُ إلى توالدية النَّص حسبما ذكرتها كرستيفا، ويقصد بالتداخل النَّصِّي؛ (التواجد اللغوي سواء أكان نسبياً أم كاملاً أم ناقصاً لنصٍّ في نص آخر...)3

وضمن التعالي أو «ما فوق النصيَّة» يضع الزوج التقابلي « اللغة واللغة الواصفة»؛ ويقصد بذلك علاقة الوصف النصِّي التي تقرن التحليل

1 المرجع السابق، ص171.
2 جيرار جينيت: مدخل لجامع النص، ص90.
3 المرجع السابق، ص90.

بالنَّـص المُحَلـل1.

ولعلَّ هذا مـا أشـار إليـه بـارت مـن خـلال حديثـه عـن القـاري كمنتـج آخـر للنـص، وعبـارة جينيـت فـي ذيـل الصفحـة تؤكِّـد ذلـك: (وينتـج نقـاد الأدب منـذ قـرون «نصَّـاً واصفـاً» دون علـم منهـم بذلـك). وهـذا مـا يمكـن أنْ نطلـق عليـه تنـاص القـارئ. وسـمَّاه جينيـتً فـي المسـتقبل (ميتـا نـص)، فـي كتابـه طـروس. ويضـع جينيـت ضمـن التعالـي أنواعـاً أخـرى مـن العلاقـات، أهمّهـا: علاقـة المحـاكاة وعلاقـة التغييـر وقـد أشـار هنـا إلـى المعارضـة والمحـاكاة السـاخرة وهـو مـا أسـماه «النظيـر النَّصِّـي»، وهـو مـا أطلـق عليـه (النـص المـوازي) وذكـر أنَّـه يمثِّـل التعالـي بمعنـاه التـام)2. وأخيـراً يضـع ضمـن «التعالـي النَّصِّـي» علاقـة التداخـل التـي تقـرن النـص بمختلـف أنمـاط الخطـاب التـي ينتمـي النـص إليهـا، وهـو مـا أصطلـح عليـه بـ « الجامـع النَّصِّـي « أو «جامـع النسـيج»3.

أمَّـا فـي كتابـه «طـروس الأدب علـى الأدب» (Palimpsestes)، فقـد تعـرَّض بوضـوح للعلاقـات النَّصيَّـة التـي تنشـأ بيـن عمـل وآخـر، كمـا أنَّـه عـدل فـي نظرتـه عمَّـا كان عرضـه فـي كتابـه «مدخـل إلـى جامـع النـص»، إذ تُرْجِمَ هـذا الكتـاب إلـى العربيـة وصـار مـا فيـه عمـدة بعـض الذيـن تعرَّضـوا لموضـوع النـص والتناصيـة دون الانتبـاه إلـى التعديـل الجوهـري الـذي أجـراه المؤلِّـف فـي عمـق نظرتـه لهـذا الموضـوع. يقـول جينيـت فـي كتابـه «مدخـل لجامـع النـص»: (وليكـن، واقتـرح أنْ يكـون مصطلـح «جامـع النسـيج» آخـر مـا اقترحـه مـن مصطلحـات)4. ونجـده فـي كتابـه «طـروس» يقـول: (إذاً ينبغـي أنْ أعيـد النظـر فـي ذلـك البرنامـج المتعجِّـل كلَّـه... لقـد قلـت مـا ظاهـره إنَّ موضـوع الشـاعرية ليـس النَّـص فـي حالتـه الانفراديـة بـل أنَّ موضوعهـا جامـع

1 نفسه، ص90.
2 جيرار جينيت: مدخل لجامع النص، ص91.
3 المرجع السابق ، ص23.
4 نفسه، ص91.

النَّـص (Larchitexte)، ويـكاد يكـون ذلـك نفسـه، أدبيـة الأدب»، ويعنـي ذلـك مجمـوع المقـولات العامـة، أو المفارقـة التـي ينتسـب إليهـا أيِّ نـص فـرد، وأقـول اليـوم وبتوسُّـع أكثـر: (إنَّ موضـوع الشـاعرية، هـو (التعديـة النَّصيـة) (Transtextualite) أو (التعالـي النصـي للنَّـص) كنـت عرَّفتـه تعريفـاً كليـاً فقلـتُ: (أنَّـه كل مـا يضـع النـص فـي علاقـة ظاهـرة أو خفيـة مـع نصـوص أخـرى). ويضيـف الدكتـور محمـد خيـر البقاعـي - مترجـم الكتـاب- تعليقـاً يقـول فيـه: (إذاً التعديـة النصيـة تتجـاوز جامـع النـص وتضمنـه مـع أنمـاط أخـرى مـن علاقـات التعديـة أو المتعاليـات النصيـة). يقـول جينيـت: (يبـدو لـي اليـوم13 تشـرين الأول عـام 1981م أنَّ هنـاك خمسـة أنمـاط مـن علاقـات التعديـة النصيـة، وأعددهـا مرتبـة ترتيبـاً يـكاد يكـون متنامياً فـي التجريـد والتضميـن والكليـة.

أول هـذه العلاقـات سـبرت أغوارهـا (جوليـا كرسـتيفا) لسـنوات خلـت وسـمَّتها: (التناصيـة) Intertextualite)، أُعـرِّف هـذه العلاقـة تعريفـاً ضيقـاً فأقـول: (إنَّهـا علاقـة حضـور مشـترك بيـن نصيـن أو عـدد مـن النصـوص بطريقـة اسـتحضارية وهـى فـي أغلـب الأحيـان الحضـور الفعلـي لنـص فـي نـصٍّ آخـر). إنَّ أكثـر أشـكال هـذه العلاقـة وضوحـاً وحرفيـة هـي الممارسـة العاديـة للاستشـهاد (Citation) مـع الإحالـة أو عـدم الإحالـة إلـى مرجـع محـدد؛ وإنَّ أقل أشـكالها وضوحـاً وشـرعية هـي السـرقة Plagiat وهـي اقتـراض غيـر مُعْلَـن؛ ولكنَّـه حرفـي. وإنَّ أقـل أشـكالها وضوحـاً وحرفيـة هـي: (الإلمـاع) (Allusion) وهـو أنْ يقتضـى الفهـم العميـق لمـؤدَّى مـا (Enonce) ملاحظـة العلاقـة بينـه وبيـن مـؤدَّى آخـر؛ تحيـل إليـه الضـرورة هـذه أو تلـك مـن تبدُّلاته، وهـو بغيـر ذلـك لا يمكـن فهمـه. وقـد أوضـح جينيـت مـن خـلال كتابـه طـروس أنَّ التناصيـة ليسـت إلا واحـداً مـن علاقـات أخـري تنشـأ بيـن نصيـن.

والنمـط الثانـي: (مـا سـمَّاه جينيـت بـ «الملحـق النصـي» (Paratexte) ويقصد بـه العنـوان، والعنـوان الصغيـر، والعناويـن المشـتركة، المدخـل، الملحـق، التنبيـه، التمهيد...إلـخ، الهوامـش فـي أسـفل الصفحـة أو فـي النهاية...ويمكـن

في هذا الخصوص لما «قبل التناص» المسودات والملخصات والمخططات المتنوعة أن تكون ملحقاً نصياً أيضاً. والنمط الثالث أسميه الماورائية النصية أو النَّصية البعدية أو الواصفة (Metatextualite)، وهي العلاقة التي شاعت تسميتها بـ»الشرح» أو النقد والتعليق تصل بين نص وآخر بحيث يتضمن الثاني حديثاً عن الأول، ولا تبدي هذه العلاقة حاجة إلى معرفة ما إذا كان هذا الحديث صريحاً معلناً أو ضمنياً مضمراً؛ ولكنَّها تتطلَّب بعض التحديد، فالنصِّية الواصفة عادة ما تكون خارجية، لما يأخذ التعليق النَّقدي شكل الجنس المخالف للنص الذي ينقده، ويتميَّز عنه بوجود مؤلِّفِه ودار نشره، أمَّا إنْ كان النَّقدُ داخلياً مندمجاً في النص الإبداعي، أو نقدها، وهذا ما يقرب الميتانص من التناص)1. والنمط الرابع من أنماط التعدية النصية، إنَّه ما أُسميه من الآن فصاعداً «الاتساعية النَّصية» (Hypertextualite)، وأقصد بهذا كل علاقة توحّد نصَّاً B (أُسمِّيه النَّص المتَّسِع)، بنص سابق A (أُسميه طبعاً، النَّص المنحسر)، والنَّص المتَّسع ينشب أظفاره في النَّص المنحسر دون أنْ تكون العلاقة ضرباً من الشَّرح، وكما نرى من الاستعارة «ينشب أظفاره» ومن التحديد السلبي فإنَّ التعريف مؤقت. لكن ولكي ننظر إليه من جانب آخر، نأخذ مفهوماً عامَّاً للنَّص في الدرجة الثانية وبما أنَّ الاستخدام عابر فأنَّني أترك البحث عن سابقة تجمع التجاوز(Hyper) والما وراء (Meta) أو أنَّ نصَّاً مستقٌ من نصٍّ آخر موجود من قبل. ويمكن أنْ يكون ذلك الاشتقاق من نسق وصفي وثقافي كأنْ «تتحدث» علاقة ما وراء النص(عن نقل تلك الصفحة من كتاب الشعر لأرسطو) أو (عن نص الملك أُوديب). ويمكن أنْ يكون من نسق آخر أنَّ B لا يتحدَّث أبداً عن A ؛ ولكنَّه لا يستطيع مع ذلك أنْ يوجد كما هو دون A وهو ينتج في آخر عملية أسميها مؤقتاً أيضاً التحويل (Transformation) فهو النتيجة يذكره ظاهرياً

1 سليمة لوكام : شعرية النص عند جيرار جينيت من الأطراس إلى العتبات، التواصل، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عنابة، عدد 23جانفي، الجزائر، 2009م، ص35.

قليلاً أو كثيراً دون أنْ يتحدَّث عنه بالضرورة أو يستشهد به1. والنمط الخامس فهو ما أطلق عليه جينيت، النَّصية الجامعة Architextualite),): ذهب جينيت إلى عد هذه العلاقة الأكثر تجريداً، والأكثر ضمنية، فهي التي تحدِّد انتماء نص ما في جنس من الأجناس الأدبية، ومن هنا جاء نعته لها بالبكماء تأسيساً على إحالتها الأثر على جنس، ومن ثَمَّ تغدو هذه العلاقة أساسية بالنسبة إلى إنتاج النَّص؛ إذ أنَّها تؤطِّر انخراطه في نظم تأسيسه سلفاً، وأساسية أيضاً في تلقِّي هذا النَّص، ذلك أنَّ القرَّاء يذهبون مذاهب مختلفة ومتباينة في تفضيلهم للأجناس الأدبية. تقول دكتورة سليمة لوكام:(ونخلص إلى القول إنَّ (جينيت)، قد صنَّف علاقات المتعالية النَّصية فجعلها خمساً وبحث فيما يمكن أنْ يوجد بينها من صلات، فتوصَّل إلى أنَّها، على الرغم من تنافرها فيما يتعلَّق بدرجات تجريدها... فما يقوم بين «التناص» و «الميتانص»، لا يمكن أنْ ينكر، وما يوحد بين «النصية المصاحبة»، و» النَّصية الجامعة»، لا يجحد، أمَّا دلالة الاحتواء والانتماء والتجاور التي تربط بين هذه العلاقات فهو(hypertextualit(2).

ثانياً- التناص في النقد العربي الحديث: (النشأة والمفهوم)

ظهر هذا المصطلح في أواخر السبعينيات، وتحديداً لدى الناقد المغربي محمد بنيس في كتابه: «ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب»، ط1 دار العودة بيروت 1979م، تحت مسمَّى «النص الغائب»، ثمَّ طوَّر هذا المفهوم في كتابه «حداثة السؤال» وسمَّاه «هجرة النص» أو «النصوص المهاجرة». وتَحَدَّثَ عن صياغة جديدة لم يُسبق إليها هي مصطلح: (النَّص الغائب). يرى (أنَّ النص الشعري هو بنية لغوية متميِّزة ليست منفصلة عن العلاقات الخارجية بالنصوص الأخرى)، وهذه النصوص الأخرى هي ما يسميه بالنص الغائب2. وبنيس في دراسته للتناص إنَّما يركِّز

1 جيرار جينيت: طروس الأدب على الأدب، ترجمة محمد خير البقاعي، ترجمة الصفحات (1-16).

2 محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، ط1، دار العودة، بيروت، 1979م، ص251.

على النَّص الغائب من خلال مفهومين التداخل النصي وهجرة النص، وقد أشار في كتابه «الشعر العربي الحديث ـ بنياته وإبدالاتها» إلى أنَّ مفهوم التداخل النَّصِّي في كتابه «ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب» جديداً على المتداول في الخطاب النقدي العربي وهو ترجمة لمصطلح Intertextuality)).

وبعد هذا ظهرتْ دراسات عربية في المغرب أكَّدتْ أهمية هذه الخاصية النَّصية؛ ولكنَّها فضَّلتْ ترجمة المصطلح بالتناص1.

ثمَّ جاءت دراسة الدكتور عدنان حسين قاسم 1980م، متتبِّعاً الأسلوب البنيوي وحركة النص من لدن الشكلانيين الروس؛ يقول: (فإذا كان الشكلانيون الروس، قد ذهبوا إلى أنَّ العمل الأدبي ينغلق على ذاته، وأنَّ له قوانينه الداخلية التي تنقطع به عما سبقه أو عاصره من أعمال أدبية، فإنَّ السميولوجيين، والتفكيكيين، يرون أنَّ النص مفتوح على غيره من النصوص – أي - إنَّه يتداخل معها. ولعلَّ ذلك يفسر رؤية كرستيفا عن النص، (إنَّ كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرُّب وتحويل لنصوص أخرى)2.

وقد صاغ الناقد فؤاد منصور، هذا المعنى بعبارة أخرى في قوله: (إنَّ النَّص مأخوذ من نصوص أخرى داخل مكوناته، فهي ـ جوليا ـ تطرح فكرة النص التوليدي ـ أي ـ النص المحلل كهيكلية بنيوية؛ وليس فقط مجرد بنية قائمة بحد ذاتها، فالتوالدية تتخطى البنية لتضعها في إطار أعمق منها، هو مجموعة إشارات وعلامات بينها، تهدمها وتعيد بناءها من جديد بشكل لا نهائي، انطلاقاً من نزوات، واعية ـ لا شعورية ـ أسطورية دينية)3(3).

ثمَّ جاءت دراسة الدكتور محمد مفتاح، «تحليل الخطاب الشعري،

1 الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ص181.

2 عدنان حسين قاسم: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر، ط1 دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1980م، ص153.

3 فؤاد منصور: النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، نصوص جماليات تطلعات، ط1، دار الجيل بيروت، 1985م، ص343.

استراتيجية التناص 1985م»، وقد عرَّف التناص بقوله: (التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة)1. ويرى الباحث أنَّ آخر كلام بنِّيْس يشير إلى ما ذكره د. محمد مفتاح في تعريفه للتناص، واعترف بأنَّ التناص ظاهرة لغوية معقَّدة تستعصى على الضبط والتقنين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي ومعرفته الواسعة، وقدرته على الترجيح على أنَّ هنالك مؤشرات تجعل التناص يكشف عن نفسه، ويدلُّ القارئ للقبض عليه، منها: التلاعب بأصوات الكلمة، والتصريح بالمعارضة، واستعمال لغة وسط معين، والإحالة على جنس خطابي برمته2.

ويرى الباحث أنَّ معظم الدراسات العربية حول مصطلح ومفهوم التناص، دارت حول تعريف مفتاح للتناص؛ فقد سار توفيق الزيدي على خطى مفتاح؛ إذ أورد تعريف مفتاح للتناص، ونقل الأشكال التي تحدث عنها، وعن مفهومه للتناص يقول: (إنَّ التناص هو تضمين نص لنص آخر وهو أبسط تعريف له، أو استدعاؤه، أو هو تفاعل خلاق بين النَّص المُسْتَحْضِر والنَّص المُسْتَحْضَر، فالنَّص ليس إلا توالد لنصوص سبقته)3.

ثمَّ تأتي دراسة الدكتور عبد الله الغذَّامي في كتابه الخطيئة والتكفير» 1985م، متزامنةً مع دراسة مفتاح، وقد تحدَّث الغذامي عن مصطلح «تداخل النصوص» أو النصوص المتداخلة ترجمة لمصطلح Intertextuality. وقد أورد مقولة (روبرت شولز) R.Scholes في تعريفه لمصطلح التناص، فقد كان يعي ذلك تماماً ـ كما أشار إليه الغذامي ـ يقول شولز: (النصوص المتداخلة اصطلاح أخذ به السميولوجيون مثل؛ (بارت، وجينيه، وكرستيفا، وريفاتير)، وهو اصطلاح يحمل معاني وثيقة الخصوصية، تختلف بين ناقد وآخر .. والمبدأ العام فيه هو أنَّ النصوص تشير إلى نصوص أخرى مثلما

1 محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ص121.
2 المرجع السابق، ص131.
3 تركي المغيض: التناص في معارضات البارودي، مجلة أبحاث اليرموك، ص90.

أنَّ الإشارات تشير إلى إشارات أخرى وليس إلى أشياء معنية مباشرة فالنص المتداخل هو نص يتسرب إلى نص آخر ليجسد المدلولات، سواء وعي الكاتب بذلك أو لم يع)1.

ثمَّ جاء إبراهيم رُمَّاني فقدَّمَ صياغة بنِّيْس نفسها عن النص الغائب، حيثُ عرَّفه بأنَّه: (مجموعة من النصوص المستترة التي يحويها النَّص الشِّعري في بنيته، وتعمل بشكل باطني عضوي على تَحَقُّقِ هذا النَّص وَتَشَكُّلِ دلالاته)2. ثمَّ كَثُرَتْ الدِّراسات النَّقديَّة العربيَّة عن التَّناص ونُوقشَتْ الكثير من الرسائل في الجامعات العربية حول مفهوم التناص على مستوى الماجستير والدكتوراه. ومن نماذج التناص في ديوان الثبيتي مع القرآن الكريم، قول الثبيتي في قصيدته الأجنَّة3:

مَنْ يلقي بوادي الجنِّ شيئاً من نحاسْ

مَنْ ذا يُغَنِّيْ: لا مساسْ

فالثبيتي هنا يستحضر معنى الآية ليفتح نصه على قراءات تسهم في إثرائه، ويكشفُ لقرائه عن ما ستؤول إليه الأمور في ذلك الواقع الذي يتحدَّث عنه الثبيتي بلسان الاحتجاج، وينظر إليه بعين السَّخط، الواقع الذي تطلب الأجنة فيه النبأ العظيم الذي سيشكل مستقبلها وهويتها وهي لا تملك فيه يداً؛ ولكنَّها ستدفع ثمنه في مستقبلها الآتي إنَّه زمن اللقاح، فكأنَّ الشاعر يُحيلنا إلى الآية الكريمة ليوصل رسالته التي ضمنها هذا النص. يقول تعالى: (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) 4.

1 عبد الله محمد الغذامي: الخطيئة والتكفير، ص32.

* جمعها محمد المرزوقي: «يا ليل الصب ومعارضاتها»، الدار العربية للكتب، تونس، 1976م .

2 إبراهيم رماني: النص الغائب في الشعر العربي الحديث، مجلة الوحدة، العدد49، تشرين الأول، 1988م، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط- المغرب، ص52.

3 محمد الثبيتي: ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ط1 النادي الأدبي بحائل بالتعاون مع مؤسسة الانتشار العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2009م، ص96.

4 سورة طه الآية: (97) .

كذلك من نماذج التناص القرآني القائم على الاقتباس وإحداث المفارقة مع تشابه المواقف والنذير بتشابه النهاية، قول الثبيتي في نفس القصيدة1:

هل أَزْهَرَ الجرحُ القديمُ على مصابيح الشتاءْ
سَنحَتْ طيورُ النارِ
فَانْتَهزوا الولادة
سَنحتْ طيورُ الماءِ
فَانتهزُوا الولادة
وتَماثلوا للاحتلام .. تَمَاثلوا للهَاجسِ الليليِّ
يَا أرضَ ابْلَعِي تعبَ العُرَاةْ

فهو استلهام وتحوير لقول الله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)2.

ومن التناص مع القرآن الكريم قصيدته الطَّير3:

مَا بَالُ هَذَا الطَّيْر كَمْ غَنَّى غِنَاءً نَابِيَا
حَتَّى ادْلَهَمَّ التِّيْهُ وَانْكَشَفَتْ مِنَ البَيْدَاءِ سَوأَتَهَا
فَعَادَ يَمُصُّ مِنْ ظَمَأٍ وَرِيْدَهْ

فهنا تناص فيه مهارة فائقة؛ إذ ليس هناك اجترار مباشر، وإنَّما يلمع الشاعر إلماعاً لقصة أبينا آدم وأُمِّنا حواء وكيف أنَّ الشيطان استطاع أنْ يوقع بهما فأكلا من الشجرة فبدت لهما سوأتهما ... ويستلهم المضمون ويعمل على توظيفه في نصِّه بكلِّ اقتدار، يقول تعالى4: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ

1 ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص94.
2 سورة هود الآية: (44).
3 ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص47.
4 سورة طه الآية (-120 121).

رَبَّـهُ فَغَوَىٰ. ومـن جميـل التنـاص مـع الحديـث النبـوي عنـده، قولـه فـي قصيدتـه (القصيـدة) ضمـن ديوانـه الأخيـر (بوابـة الريـح)، يقـول1:

القصيدةُ

إمَّا قَبَضْتَ عَلَى جَمْرِهَا
وأَدَبْتَ الجَوارِحَ فِي خَمْرِهَا
فَهْيَ شَهدٌ عَلَى حَدِّ مُوسْ
فَحَتَّامَ أَنْتَ خِلَالَ اللَّيَالِيْ تَجُوسْ
وَعَلَامَ تَذُوْدُ الكَرَىْ
وَتُقِيْمُ الطُّقُوسْ
وَأَلْفٌ مِنَ الفَاتِنَاتِ الأَنِيْقَاتِ يَفْرَحْنَ
مَا بَيْنَهُنَّ عرُوسْ.
وَلا أنتَ أوتيتَ حكمة لُقْمَا
وَلَاْ هُنَّ أُوْتِيْنَ فِتْنَةَ يُوسْ

وهـو يتنـاص مـع حديـث أنـس بـن مالـك، قـال: قـال رسـول الله ﷺ: (يَأتِـيْ عَلَـى النَّـاسِ زَمَـانٌ الصَّابِـرُ فِيْهِـمْ عَلَـى دِيْنِـهِ كَالقَابِـضِ علـى الجمـر)2. فـكأنَّ الشَّـاعر يـودُّ القـول إنَّ قـول الشـعر ويجـره عليـه مـن مشـكلات، أَصبـح تمامـاً كحـال المؤمـن الصابـر علـى دينـه فـي آخـر الزمـان والـذي حـدث عنـه الرسـول الكريـم ﷺ. وكذلـك وفـي آخـر هـذه الأبيـات التـي أوردناهـا، نجـد شـكلاً رائعـاً مـن أشـكال التنـاص علـى مسـتوى اللغـة نفسـها وهـو أسـلوب مـن الأسـاليب اللغويـة المعروفـة (الترخيـم)

وَلا أنتَ أوتيتَ حكمة لُقْمَا
وَلَاْ هُنَّ أُوْتِيْنَ فِتْنَةَ يُوسْ

ومثالـه فـي القديـم، قـول المُثقِـب العبـدي: (أفاطـمُ قبـل بينـك متعينـي)، وكذلك

1 ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص 297 .

2 الترمـذي، أبـو عيسـى محمـد بـن عيسـي: سـنن الترمـذي، تحقيـق إبراهيـم عطـوة، ط1، مطبعـة مصطفـى بابـي الحلبـي، جمهوريـة مصـر العربيـة، 1962م، ج4، ص526.

قـول جميـل بثينـة، (ودهـر تولَّـى يـا بثيـنُ يعـود)، فالشـاعر اسـتلهم الأسـلوب التراثـي؛ ولكنَّـه يكشـف عـن قدرتـه الفائقـة علـى صـوغ القوافـي والأصـوات المنسـجمة فـي نصـه ومثـل هـذا الـدواء لا يخـرج إلا مـن صيدليـة الثبيتـي. ونجـده يتنـاص مـع المـوروث الثقافـي العربـي فيتقاطـع مـع أبـي تمـام، يقـول الثبيتـي1:

أمضي إلى المعنى
وأمتصّ الرحيقَ من الحريقِ
فأرتوي
وأعلُّ من
ماءِ الملامِ

فهو يتناص مع قول أبي تمام 2:

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

يريـد أبـو تمـام مـن هـذا البيـت التعبيـر عـن أنفتـه لعـذل العـذال ولومهـم فـي حبـه وأنَّـه وهـو العاشـق يجـد مـاء البـكاء (الدمـع) عذبـا سـائغا؛ لأنـه بـكاء لأجـل الحـب وإنَّ مـاء المـلام (العـذل) مـر كالحنظـل بجنـب مـاء البـكاء... والثبيتـي فـي سـبيل الوصـول إلـى المعنـى يمتـصُّ الرحيـق مـن الحريـق حتـى يرتـوي ويعـلُّ (العلـل الشـربة الثانيـة)، فيشـرب الشـرب الثانيـة مـن مـاء الملام، وهنـا المفارقـة بينـه وبيـن بيـت أبـي تمـام الـذي يتحـدث مـن منطلـق الثـورة أو القـوة بعكـس الثبيتـي الـذي يشـكو الانكسـار فهـو يصـور معاناتـه بمفارقـة تبيِّـن عمـق الشـاعرية التـي تسـكنه. كذلـك نجـد تجليـات التنـاص فـي قصيـدة (أغنيـة) للثبيتـي، حيـن يمتـصُّ أسـلوب نـصَّ محمـد الفيتـوري:

في حضرة مَنْ أهوى عصفت بي الأشواق
حدَّقتُ بلا وجهٍ ورقصتُ بلا ساقْ

1 ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص21.
2 أبو تمام : ديوان أبي تمام، شرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص14.

يقول الثبيتي1:

وَصِرْتُ أُغَنِّي بلا شفتين
وأَحْيا بِلا رِئتين
وألْجُمُ بَيْنَ يَدَيْهَا خُيُوْلَ الكَلَامْ

ومن أشكال التناص المتوافرة في ديوان الثبيتي، استحضار الشخصيات الدينية والتاريخية والأسطورية إما للاستعانة بقواها في لحظات ضعفه وانكساراته، وإمَّا احتفاءً بها وتمجيداً لها، ومن هذا القبيل، ذكر من التراث العربي، حاتم الطائي ومعن ابن زائدة، في قصيدة (تعارف) قوله2:

كان يثوي بقربي حزيناً
ويطوي على ألمٍ ساعدَهْ
قلتُ: منْ؟
قال: حاتمُ طيٍّ وأنتَ؟
فقلتُ: أنا مَعْنُ بنْ زائدةْ!

ويردف الشاعر رمز ذي القرنين بالغراب وهو ذو حضورٍ مشترك في الذاكرة الإنسانية، حضور يتلَّق بالمعرفة أيضاً وهو مرتبط بتاريخ البدايات الإنسانية الأولى، والنص ينشغل بالبدايات وهو ترتيلة البدء، كما أنَّ ورق التين والتنين والنَّار، عناصر تتداولها أساطير التكوين- والغراب هنا لا ينبش في الأرض؛ ولكنَّه ينبش النار3، وذلك واضح في قصيدة (ترتيلة البدء)، إذ يقول4:

وهَذِهِ أُوْلَى القراءات وهذا
وجه ذي القرنين عادْ
مشرَّباً بالملح والقطران عادْ

1 ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة ، ص32.
2 ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة ، ص36.
3 عبد الحميد الحسامي: مرايا العرَّاف «البنية الأسطورية في شعر محمد الثبيتي»، ط1، نادي الإحساء الأدبي، المملكة العربية السُّعودية،2015، ص 75.
4 ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة ، ص60-61.

خارجاً من بين أصلاب الشَّياطين
وأحشاء الرَّماد
يا غراباً ينبش النَّارَ
يواري عورة الطينِ وأعراسَ الذُّبابْ

وكذلك في قصيدة (القرين) ، يزاوج في استحضاراته بين المفردات الدينية والتراثية، فيذكر «اليمين الغموس»، ويذكر تمتمات البسوس، يقول1:

تلاحقني تمتمات البسوس
أَرى بينَ صدري وبين صراط الشهادةِ
شمساً مراهقةً وسماءً مرابطةً
ويميناً غموساً

ونجد إشارات لطقوس من الديانات الأخرى مثل إشارته للتعميد2 في قصيدة (آيات لامرأة تضئ)3، كذلك قصيدة (البابلي)4، فيها استحضار لقصة أيوب عليه السلام: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)5، وفي قصيدة (شهرزاد والرَّحيل)6، يستحضر الشاعر أُسطورة السندباد البحري، وكذلك نجد إشارات تراثية في شِعر الثبيتي تحضر بكثافة وتتكشف على سطح نصوصه. وهو بارع في هذا على نحوٍ متميّز. يبرز ذلك في قصيدة (أيا دار عبلةَ عِمْتِ صباحا)7:

1 المرجع السابق، ص65.
2 * والتعميد طقس مسيحي يمثل دخول الإنسان الحياة المسيحية. تتمثل المعمودية باغتسال المعمّد بالماء بطريقة أو بأخرى. ويعتبر سر المعمودية أحد الأسرار السبعة المقدسة في الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية وأحد السرين المقدسين في الكنائس البروتستانتية. الشخص الذي يجري تعميده يصبح تابعاً ليسوع المسيح وتابعاً للكنيسة المسيحية. والعماد يمثل موت يسوع المسيح وقيامته في الحياة الجديدة. أيضاً الطفل المعمد يخلص من الخطيئة الأصلية التي هي خطيئة آدم وحواء ويدخل الحياة مرة أخرى كإنسان جديد. وبحسب الاعتقاد المسيحي، فإنَّ أول عماد في التاريخ كان عماد المسيح على يد يوحنا المعمداني في نهر الأردن.
3 ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص119.
4 المرجع السابق، ص81.
5 سورة الأنبياء الآية (83).
6 ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص141.
7 المرجع السابق، ص179. وانظر كذلك -19 عبد الله بن أحمد الفيفي(دكتور): حداثة النَّص الشِّعري في

غريقٌ بليل الهزائم سيفي
ورمحي جريح
ومهري على شاطئ الزمن العربي
يلوك العنان
أعانق في جسدي شبحاً
مثخناً بالجراح
ومرثية للكميّ الذي ضاع من يده
الصولجان

ونجد التناص عند الثبيتي، تجاوز كل الحدود، فأخذ يستحضر مفردات من أصقاع أفريقيا، ففي قصيدة (مساء وعشق وقناديل)، ذكر الشاعر العاج، والأبنوس، وهما أفريقيان، فليس في الجزيرة العربية لا الأبنوس ولا سن الفيل التي يطلقون عليها العاج. كذلك يكرر الشاعر ذكر الأبنوس في قصيدة (مسافرة)، ونختم بهذه الأبيات للثبيتي لأنها توضح استحضاراً آخر، يقول في قصيدة (أيا دار عبلةَ عِمْتِ صباحا):

كأنَّي لم ألقَ في دجلةَ
والنيلِ
حزن الصحاري
ولم أسقِ من عرق الشَّمسِ
تيما...
وزحلة...
والقيروان

فالشاعر هنا يستحضر النيل والفرات، ويستحضر المدن كأنَّ يتأسى ويجتر المرارة على كل جميل، فهذا الاتساع والشمول والانفتاح على

المملكة العربية السُّعودية « قراءة نقدية في تحوُّلات المشهد الشعري الإبداعي»، ط1، النادي الأدبي بالرّياض- السُّعودية، 2005م، ص114.

الآخـر إنَّمـا يـدلُّ علـى سـعة الثبيتـي إنسـاناً وشـعرا.

الملحق النَّصي أو العتبات: (paratexte)

والنمـط الثانـي مـن المتعاليـات النَّصيـة هـو مـا سـمَّاه جينيـت فـي كتابـه طـروس بالملحـق النصـي، ثـمَّ أطلـق عليـه اسـماً جديـداً فـي كتابـه عتبـات (Seuils) وهـو مـن المصطلحـات الحديثـة التـي ظهـرت مؤخـراً كآليـة ناجعـة فـي قـراءة النصـوص، قـدَّم جيـرار جينيـت ((Gerard Genette هـذا المصطلـح فـي كتابـه «عتبـات» عـام 1987م- (حيـث قامـت الـدار العربيـة للعلوم ناشـرون، الجزائـر، بنشـر طبعتـه الأولـى المترجمـة للعربيـة، 2008م).

أولاً- مصطلح المناص أو العتبات عند جيرار جينيت:

يقـدِّمُ « جينيـت» تعريفـاً مفصَّـلاً فـي كتابـه «عتبـات» للمنـاص، بجعلـه نمطـاً مـن أنمـاط المتعاليـات النصيـة، والشـعرية عامـة1. يقـول جينيت:(فالنـص فـي الواقـع لا يمكننـا معرفتـه وتسـميته إلا بمناصـه، فنـادراً مـا يظهـر النـص عاريـاً عـن عتبـات لفظيـة أو بصريـة مثـل: (اسـم الكاتـب، العنـوان، العنـوان الفرعـي، الاهـداء، الاسـتهلال، صفحـة الغـلاف)، فالمنـاص هـو « كل مـا يجعل مـن النـص كتابـاً يقتـرح نفسـه علـى قرائـه أو بصفـة عامـة علـى جمهـوره، فهـو أكثـر مـن جـدار ذو حـدود متماسـكة، نقصـد بـه هنـا تلـك العتبـة، بتعبيـر (بورخيـس) البهـو الـذي يسـمح لـكل منـا دخولـه أو الرجـوع منـه...)2. مـن هنـا رأى الباحـث ألَّا تخـرج آلياتـه فـي قـراءة "ديـوان محمـد الثبيتـي" – والـذي هـو موضـوع الدراسـة وهدفهـا الأساسـي - عـن هذيـن المؤشِّـرين: (أنَّ النـص لا يمكننـا معرفتـه وتسـميته إلا بمناصـه، فنـادراً مـا يظهـر النـص عاريـاً عـن عتبـات لفظيـة أو بصريـة). (المنـاص هـو «كل مـا يجعـل مـن النـص كتابـاً يقتـرح نفسـه علـى قرائـه فهـو أكثـر مـن جـدار ذو حـدود متماسـكة، وكل هـذه المؤشـرات متوافـرة فـي ديـوان محمـد الثبيتـي الأعمـال الكاملـة).

1 - عتبات من النص إلى المناص، ص44 .

2 - عتبات «من النص إلى المناص»، ص43.

ثانياً – مفهوم العتبات عند الباحثين العرب:

الملاحظ أنَّ هناك تعدديَّة واضحة في ترجمة المصطلح (Paratexte) عند الباحثين العرب؛ إذ ترجمه محمد بنِّيس، بالنص الموازي، ومختار حسني بالتوازي النصي، ومحمد الهادي المطوي، بموازي النص، وعبد العزيز شبيل، بالنص المحاذ، وجليلة طريطر النص المؤطر، وسعيد يقطين بالمناص، وترجمات عديدة؛ منها المناصصة، النص المصاحب، العتبات ...إلخ[1].

أنواع المناص:

المناص النشري (مناص الناشر): (Paratexte Editorail)

المناص التأليفي (مناص المؤلِّف): (paratexte auctorial)

أولاً- المناص النشري/ مناص الناشر:

ويشمل كل الإنتاجات المناصية التي تعود مسؤوليتها للناشر، المنخرط في صناعة الكتاب وطباعته، وهي أقل تحديداً عند «جينيت» إذ تتمثَّل في (الغلاف، الجلادة، كلمة الناشر، الإشهار، الحجم، السلسلة...)، ويضم هذا النوع تحته قسمين هما: (النص المحيط، والنص الفوقي).

1 - **النص المحيط النشري:**

فالنص المحيط النشري، من خلال كتاب الشاعر السُّعودي محمد الثبيتي؛ الموسوم بـ « ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة" نجد صفحة الغلاف وقد حوت، اسم المؤلِّف: محمَّد الثبيتي باللغتين العربية والإنجليزية، ثمَّ ديوان محمد الثبيتي، وأُضيفتْ كلمة الأعمال الكاملة لاسم المؤلف - كمؤشِّر جنسي حسب تقسيم جينيت – وصورة للشاعر في غلاف الكتاب في طبعته الأولى العام 2009م، تعبِّرُ عن الحيرة وإعمال الفكر كأنَّ الشاعر يبحث عن حلٍّ لمعضلةٍ نقَّصتْ عليه حياته العملية والاجتماعية وربَّما الصحية التي كانت سبباً في وفاته، أو الفنية؛ إذ أنَّ خط الحداثة والتحديث بدايات

1 - المرجع السابق، ص44.

الثمانينيات في المملكة العربية السُّعودية، كان صعب الولوج فقد تعرض الذين تبنوا هذا المشروع إلى تهم أقلها هدم اللغة وتخريبها، وأكثرها التكفير والإخراج من الملة. وقد حوت الصفحة الداخلية للكتاب الآتي:

اسم الشاعر في أعلى الصفحة.

وفي وسطها: ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة.

ثمَّ في أسفل الصفحة من جهة اليمين شعار دار الانتشار العربي للطباعة والنشر، وفي اليسار شعار نادي حائل الأدبي الذي قام بتمويل طباعة الكتاب.

وتضم كذلك الصفحة التي تليها اسم الشاعر أعلى الصفحة، وأسفله مباشرة ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ثمَّ شعار دار الانتشار العربي؛ ولكنَّه في هذا الظهور مصحوباً بالمعلومات الآتية:

الانتشار العربي ص ب: 1135752

E-mail:arabdiffusion@hotmail.com

WWW.alintishar.com بيروت - لبنان.

هاتف: -659148 9611 فاكس:659150-9611

ثمَّ وضع أسفل الصفحة شعار النادي الأدبي بحائل، وكتب أسفله على التوالي: النادي الأدبي بحائل، المملكة العربية السُّعودية – حائل- ص ب: 2865 - الرَّمز البريدي: 81461 .

هاتف: 065436418 فاكس: 065430944

وفي آخر الصفحة الصف الضولي: ياسر حجازي. المراجعة: عبد الهادي الشِّهري، ثم الترقيم الدولي للكتاب، ISBN978-614-404-024-9

الطبعة الأولى 2009. كذلك نجد في صفحة الغلاف الخلفية تعريف بالشاعر:

الشاعر محمَّد عواض الثبيتي، ولد عام 1952م في مدينة الطائف.

فازت قصيدته «موقف الرِّمال موقف الجناس»، بجائزة أفضل قصيدة

في الدورة السابعة لمؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري عام 2000م.

عاشقة الزَّمن الوردي، ط2 الدار السُّعودية للتوزيع والنشر، 1982.

تهجيت حلماً تهجيت وهماً: ط1، الدار السُّعودية للتوزيع والنشر، 1983م.

التضاريس: النادي الأدبي الثقافي، مطابع دار البلاد، 1986م.

موقف الرِّمال: ط1، دار شرقيات – كتاب جهات الثقافي، 2005م.

والكتاب قام بطبعه النادي الأدبي بحائل بالتعاون مع دار الانتشار العربي، ببيروت، ولا توجد كلمة للناشر في الكتاب.

2 – **النص الفوقي النشري:**

ويشمل الإشهار وقائمة المنشورات لدار النشر. إلى حدٍّ ما هناك حملة إشهارية للديوان فقد بدأ المثقفون يلتفتون إلى ديوان الثبيتي وأشعاره، ولكن لا توجد قائمة بمنشورات النادي الأدبي مرفقة مع الديوان. ولا دار الانتشار التي قامت بالطباعة لم تضع أيضاً قائمة بمنشوراتها.

ثانياً- المناص التأليفي (مناص المؤلِّف):

1 - النص المحيط التأليفي:

ويشمل اسم الكاتب، العنوان الرئيسي والفرعي، العناوين الداخلية، الاستهلال، المقدمة، والإهداء، والتصدير، الملاحظات، الحواشي والهوامش.

اسم الكاتب: محمد بن عواض بن منيع الله الثبيتي العتيبي1(1373 - 1432هـ (الموافق (1952 - 15 يناير2011م)، الاسم المستعار سيد البيد2، ولقب شاعر عكاظ للعام 2207م، شاعر سعودي، يُعدُّ واحداً من أبرز أدباء ما يعرف بأدب الحداثة، والذي بدأت تتشكل ملامحه في المملكة العربية السُّعودية في ثمانينات القرن العشرين. ولد الثبيتي في إحدى قرى بلاد بني سعد،

1 - انظر على الأمير: الثبيتي يتلو أسارير البلاد الإيقاع ومقاربات المعنى في ترتيلة البدء «قراءة أسلوبية»، ط1، نادي جازان الأدبي بالتعاون مع الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، 2014م، ص17.

2 الصادق القاضي (دكتور): عتبات النَّص الشِّعري الحديث» في شعرية المعاصرة ومعاصرة الشعر»، نادي جيزان الأدبي بالتعاون مع دار أروقة للدراسات والترجمة والنشر، د.ت.ص206.

جنـوب مدينة الطائف غرب المملكـة العربيـة السـعودية، وعـاش طفولتـه المبكـرة فيهـا، ودرس هنـاك سـنوات دراسـته الأولـى قبـل أن ينتقـل للعيـش مـع عمـه فـي مكـة المكرمـة ويكمـل مـا تبقـى مـن دراسـته، حتـى تخرجـه مـن كليـة المعلمين بدرجـة بكالوريـوس العلـوم الاجتماعيـة. عمـل بعـد تخرجـه مـن الكليـة، معلمـاً فـي مـدراس التعليـم العـام، قبـل أن يفـرّغ بشـكل كامـل للعمـل فـي المكتبـة العامة بمكـة المكرمـة.

العنـوان الرئيسـي للديـوان: ديـوان محمـد الثبيتـي الأعمـال الكاملـة، ولا يوجد عنـوان فرعي.

أمَّـا العناويـن الداخليـة: فنأخـذ علـى سـبيل المثـال عتبـة العنـوان فـي قصيـدة (الأعـراب)1، فـإذا تعرفنـا علـى مـا لاقـاه الشـاعر فـي مكة مـن إهمـال ومحاربة فـي رزقـه وغربـةٍ فـي وطنـه وكيـف أنَّهـم ضيَّقـوا عليـه، وقرأنـا شـكواه مـن خـلال هـذه القصيـدة، يقـول الثبيتـي:

لَيتَهُم حِينَمَا أَسْرَجُوا خَيلَهُم
وتَنَادَوا إلَى سَاحَتِي
أَوقَدُوا نَارَهُمْ تَحْتَ نَافِذَتِي
واسْتَرَاحُوا
لَيتَهُم حِينَمَا أدْلَجُوا فِي غَيَاهِبِ ظَنِّيَ
بَلُّوا حَنَاجِرَهُمْ بِنَشِيدِ السُّرَى
واسْتَبَانُوا صَبَاحِيَ
إذْ يُسْتَبَانُ الصَّبَاحُ
لَيتَهُم نَظَرُونِيَ حَتَّى أَعُودَ
فَأَرْقِيَهُم بِالحُرُوفِ التي لاَ تُرَى
والحُرُوفِ التي تَتَنَاسَلُ تَحْتَ الثَّرَى
والحُرُوفِ التي لاَ تُبَاحُ ولاَ تُسْتَبَاحُ

1 - ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص33.

ليتَهُم سَألُونِيَ
كيفَ مخرتُ لَهُم جانبَ اللِّيل
حتَّى تدلَّتْ عناقيدُهُ

واستوى تحتَ عرشِ غدائِرِهِ
قَمرٌ ناصعٌ وغرامٌ مُباحُ

حينها ندرك أنَّ الثبيتي إنَّما يحيل هؤلاء المتشددين إلى آيات سورة التوبة التي تتحدَّث عن قسوة الأعراب، وغلظتهم غير المبررة وأنهم بعيدون تماماً عند الدين؛ لذلك وُفِقَ الشاعرُ في اختيار عنوان هذه القصيدة (الأعراب) أيَّما توفيق، وهي عتبة قوية من حيث الوفاء بمراد الشاعر. يقول تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾1.

كذلك من عتبات عناوين الثبيتي المهمة قصيدة (ليلة الحلم وتفاصيل العنقاء)2، في ديوانه (تهجيتُ حلماً تهجيتُ وَهْماً)، فقد اشتمل عنوان الديوان على الحلم، وهو عنوان لإحدى قصائد الديوان، وقصيدة(شهرزاد والرحيل في أعماق الحلم)3، ففي قصيدة (ليلة الحلم وتفاصيل العنقاء)، استحضر الشاعر اسطورة العنقاء وهي كائن مستحيل الوجود ؛لأنَّه كائن أُسطوري؛ لذلك لابد من الوقوف قليلاً - كما يقول السريحي4(4)- أمام هذه القصيدة يقول الثبيتي:

هبطت زنجية شقراء في ثوب من الرعب البديع

1 - سورة التوبة، الآيات (94-97).
2 - ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص185.
3 - سعيد السريحي: عتبات التهجي قراءة أولى في تجربة الثبيتي، ط1،جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، 2015م، ص14.
4 - سعيد السريحي: الكتابة خارج الأقواس «دراسات في الشعر والقصة»، ط1، نادي جازان الأدبي، السعودية، 1986، ص47. وانظر كذلك محمد الرَّاشد: أيقونة الرَّمل « التلقي النقدي لتجربة الشعر محمد الثبيتي ومقاربات في منجزه الشعري»، ط1، النادي الأدبي بأبها بالتعاون مع دار الانتشار العربي، بيروت- لبنان، 2014م، ص40.

حلَّقتْ حول المدينة فصدَّتْ شريانها
فامتزج الفجر وطوفان المساء
وابتدأ رقص الدماء

فالثبيتي يفاجؤنا بزنجية شقراء، فالكلُّ يتوقَّ أنْ تكون الزنجية قبيحة، وربَّما نتقبل أنْ تكون مليحة ولكن لابد أن تكون سوداء أو حتى سمراء البشرة ، ولكن الصدمة في أنَّ الثبيتي يتكلم عن المستحيل لذلك جعل الزنجية شقراء، وهذه القراءة تحيلنا إلى أهمية عتبة العنوان في فهم النص.

استهلَّ الشاعر ديوانه بهذه القصيدة 1: (تحية لسيد البيد)

سَتَمُوتُ النُّسُورُ التي وَشَمَتْ دَمَكَ الطفلَ يوماً
وأنتَ الذي في عروقِ الثرى نخلةٌ لا تَمُوتْ
مَرْحَباً سَيَّدَ البيدِ ..
إنَّا نَصَبْنَاكَ فَوقَ الجِرَاحِ العَظِيمَةِ
حَتَّى تَكُونَ سَمَانَا وصَحْرَاءَنَا
وهَوانَا الذِي يَسْتَبِدُّ فَلاَ تَحْتَوِيهِ النُعُوتْ
سَتَمُوتُ النُّسُورُ التي وَشَمَتْ دَمَكَ الطفلَ يوماً
وأَنْتَ الذي فِي حُلُوقِ المَصَابِيحِ أغْنِيَةٌ لاَ تَمُوتْ
مَرْحَباً سَيَّدَ البِيدِ ..

المقدمة: كتب الثبيتي مقدمة لديوانه الأول2 (عاشقة الزمن الوردي)، بالرغم من أنْ ترتيب الديوان في الأعمال الكاملة قبل الأخير3، اثبتت المقدمة فيه، يقول الثبيتي: منذ مدَّة طويلة وأنا أُورط نفسي في اقتحام مجاهل الشِّعر وذرع متاهاته المسحورة. أُحاولُ هزَّ أفنانه اللدنة لتمطرَ

1 - ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص9.
2 - محمد الصفراني : التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ط1، النادي الأدبي بالرياض بالتعاون مع المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،2008م، ص147.
3 - ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص217.

لـي الـوردَ والفراشـات والسوسـنَ والأصـدافَ- وتمنحنـي الإكسـيرَ المتوهِّـجَ الـذي يهـبُ الحـبَّ والحيـاة. وادعـو أشـعته الملونـةَ لتخضـلَّ فـي صـدري، وتُـورقُ بيـنَ أصابعـي، وتلـدُ لِـي السـحرَ والرحيـقَ والقصيـدة العصمـاء. وفـي الفتـرة الأخيـرة وجـدتُ أوراقـي متخمـةً بكلمـات: صاخبـة تجمـدتْ فـي أحشـائها اللحظـات العطشـى إلـى الانغمـاس فـي النـور، وماتـت فيهـا الهنيهـات المـوَّارةِ بالزخـم والنشـاط والتمـرُّد. مزَّقـتُ مـن أوراقـي الكثيـر، وأحرقـت الكثيـر، وخنقـتُ فـي صـدري ولاداتٍ فجَّـة ينقصهـا الانصهـار الكامـل فـي عمـق الجـرح، وداء الـورد. لـم يبـق فـي دفتـري إلَّا هـذه القصائـد التـي أُقدِّمُهـا اليـومَ بـكلِّ مـا فيهـا مـن نفحـاتٍ حبلـى بالألـم والفـرح، وبكـبِّ مـا فيهـا مـن محاسـن وأَخطـاء. ولقـد فكَّـرتُ فـي بـادي الأمـر أنْ أَتقـدَّمَ بهـا إلـى أحـد أُدبائنـا الكبـار ليتولـى عنِّـي كتابـة هـذه الأسـطر، أو بعبـارة أُخـرى ليكتـب لهـا مقدمـة تكـونُ «بطاقـة مـرور»، إلـى قلـوب القـرَّاء. ولكنَّنـي عدلـتُ عـن ذلـك لسـببين:

أولهمـا - أنَّنـي أردتُ أنْ أَضـع شـعري بيـن يـدي القـارئ كمـا هـو مجـرَّداً مـن أيِّ اعتبـاراتٍ قـد تحيطـه بهالـة مـن «وهـجٍ مستعارٍ» سـرعان مـا ينكشـف عنـد مواجهـة البصيـرة النافـذة.

وثانيهمـا - أنَّنـي أَحببـتُ أَنْ أُلقـي شـيئاً مـن الضـوء علـى بعـض قصائـد هـذه المجموعـة، فهـي فـي مجملهـا مـن الشـعر العمـودي، إلَّا أنَّنـي تعمَّـدتُ فـي بعـض القصائـد المـزج بيـن الشـعر العمـودي والشـعر الحـرّ الـذي يرتكـز علـى منـح التفعيلـة قـدراً أكبـر مـن الحريـة لتمتـدَّ وتنحسـر حسـب مـا تمليـه «الحالـة الشـعرية»... ولتتمكّـن مـن احتضـان التجربـة الإنسـانية وبلورتهـا. وأنـا فـي ذلـك لـم آتِ بجديـد فالشِّـعر الحـرّ أصبـحَ واقعـاً عملاقـاً وعلامـة بـارزةً فـي شـعرنا العربـي، بـل أصبـح الينبـوع الأعـذب والتيـار الأقـوى علـى مواكبـة واقعنـا الحضـاري وحياتنـا المعاصـرة. (محمـد الثبيتـي، 1400/10/10هـ).

ومـن العتبـات المهمـة عنـده الإهـداء: فقـد كتـب الثبيتـي إهـداء الأعمـال الكاملـة بخطِّـه وتوقيعـه، ووضـع تاريـخ الإهـداء علـى التوقيـع وهـو كالتالـي:

إلـى صاحبتـي (كتبهـا بحـروف متداخلـة)، ثـم وقَّـع عليهـا محمـد الثبيتـي، ووضـع تاريـخ 2008/2/12م. ثـمَّ نجـد إهـداءات فـي بدايـات بعـض دواوينـه ففـي ديـوان التضاريـس كتـب ... إلـى هـوازن ابنتـي، وفـي مقدمـة ديـوان " تهجيـت حلمـاً تهجيـتُ وهمـاً" كتـب إهـداء ... إلـى يوسـف ونـزار، فالأعمـال الكاملـة أهداهـا لزوجتـه مـوزة الثبيتـي ابنـة عمـه، والتضاريـس لابنتـه هـوازن (هـوازن فاتحـة القلـب) هكـذا سمَّاها فـي الديـوان1، ويوسـف ونـزار يكبرانهـا وهـي أكبـر البنـات. ومـن الاهـداءات الداخليـة التـي تمنـح القـارئ مفتاحـاً لفهم النـص ذلـك الاهـداء الداخلـي فـي قصيدتـه (صـوت مـن الصـفِّ الأخيـر)، والتـي استهل بهـا ديوانـه الأول عاشـقة الزمـن الـوردي، ولـك أنْ تقرأ عنـوان هـذه القصيـدة بغيـر عتبـة الإهـداء، هـل هـو الصـف الدراسـي؟ أم هـل المقصـود صـف الحيـاة الأخيـر؟ ولكـن حيـن نقـف عنـد عتبـة الإهـداء يتكشـف المقصـود، يقـول الثبيتـي: (إلـى الراكضيـن خلـف الأجيـال يزرعـون الأمـل ويجنـون التعـب والملـل والإرهـاق)2، فـإذا عرفنـا أنَّ الثبيتـي كان معلمـاً وكان شـغوفاً بمهنـة التدريـس خاصـة مـواد اللغـة العربيـة، وأنَّـه اسـتطاع أنْ يحـول تلاميـذه إلـى أصدقـاء تواصلـوا معـه حتـى أيامـه الأخيـرة، وتعرفنـا علـى حجـم المعانـاة التـي عاشـها الشـاعر فـي مكـة مـن الحاجـة وقلـة ذات اليـد تبيَّـن لنـا مَـنْ المقصـود بالصـف الأخيـر، وبذلـك يمكننـا قـراءة ذلـك الالتبـاس فـي العنـوان والـذي يجسـد عـدم تقديـر المعلـم والمسـاواة بيـن الخامـل والمنتـج فـي فضـاء التعليـم. بالنسـبة للتصديـرات فلـم يسـتخدم الثبيتـي فـي ديوانـه أي تصديـر، كتـب الثبيتـي تعليقـاً فـي مقدمـة ديـوان التضريـس (كتبـت القصائـد بيـن عامـي 1984 - 1986م). كذلـك كتـب تعليقـاً علـي قصيـدة (مـن وحـي العاشـر مـن رمضـان)، ضمـن ديوانـه عاشـقة الزمـن الـوردي، كتـب التعليـق الآتـي: (فـازت بالجائـزة الأولـى فـي مسـابقة الشـعر التـي نظمهـا مكتـب رعايـة الشـباب بمكـة المكرَّمـة 1977م).

1 - ديوان محمد الثبيتي الأعمال الكاملة، ص107.
2 - المرجع السابق، ص221.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنَّ الشاعر كتب قصيدته "بوابة الريح» بخط يده في صفحة الغلاف الأخيرة معلناً بذلك أنَّها آخر ما كتب الثبيتي كما ذكرت ذلك ابنته في إحدى اللقاءات. كذلك لم يلجأ الثبيتي إلى والحواشي السفلية في ديوانه، ولم يضع عليه هوامش.

2 - **النَّص الفوقي التأليفي**: وينقسم إلى قسمين (عام وخاص):

أوَّلاً- النص الفوقي التأليفي العام: ويشمل اللقاءات (الصحفية، الإذاعية، والتلفزيونية)، الحوارات، المناقشات، والندوات، المؤتمرات، القراءات النقدية.

ثانياً- النص الفوقي التأليفي الخاص: ويشمل المراسلات العامة والخاصَّة، المسارات، المذكرات الحميمية، النص القبلي، التعليقات الذاتية.

عاش حياة بسيطة، عمل مدرساً ذاق الفاقة والعوز وهما حصاد مهنة التعليم كما صور ذلك في قصيدته: (صوت من الصف الأخير)، اختار الشاعر طريق الحداثة في زمن كان مجرد الحديث عن التحديث جريمة يعاقب مقترفها، عاش معزولاً في وطنه محارباً في رزقه، وسوف يحفظ التاريخ أنَّ الفتى المكي الذي كان صوته يعلو المربد وجرش عاش أربعين سنة في مكة – كما يقول صديقه السريحي- ولم يدعَ مرة واحدة إلى منبر ناديها الأدبي، وتم حجب جائزة ديوانه التضاريس بنادي جده الأدبي 1989م، ولم يلق الفرصة التي تليق به في العلاج إلى أنْ لاقى ربَّه إثر ذبحة قلبية، أدخلته في غيبوبة لفترة طويلة وافته المنية بعدها.

الميتانص أو ما وراء النَّص: (Metatextualite)

عبارة عن علاقة التفسير التي تربط نصَّاً من النُّصوص بنصٍ آخر، يتحدث عنه دون أنْ يلفظ به بالضرورة، وقد عرَّفه جينيت بأنَّه: عبارة عن علاقة النَّص الأصلي بالتحليل والتفسير، والتي تربط نصَّاً بآخر يتحدث عنه أو يذكره في بعض الأحيان، ويأخذ الميتانص بُعداً نقديَّاً محضاً في علاقة نصَّية، وهي التحليل مع بنية نصيَّة تتمثَّل بالنَّص الأصلي. وأكَّدَ

(جيرار جينيت) أنَّ بعض الكُتَّاب يعطون تلميحاً بطريقة مبهمة وغير جليَّة لأي كتاب آخر دون ذكره بصورة صريحة. والمتأمل في اتجاه حركة الدراسات التي تناولت تجربة الثبيتي يجد أَنَّها أخذت اتجاهين، دراسات أوردت ذكر الشاعر في معرض الحديث عن الحداثة والتحوُّل في الشِّعر السُّعُودي بصورة عرضية، وهي كثيرة بحكم أهمية الشاعر في المشهد الشِّعري السُّعودي، ودراسات ركَّزت على الشاعر الثبيتي، وهي قليلة نذكر منها على سبيل المثال: دراسة منى المالكي، الموسومة بـ «عندما يحكي الثبيتي» دراسة نقدية للسَّردية الشِّعرية السُّعودية في الثمانينات، ط1، النادي الأدبي بجدة، 2013م. ودراسة عبد العزيز المقالح، الموسومة بـ «الشاعر الثبيتي حلم الرغبة في كتابة ما لم يكتب»، مجلَّة دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، العدد 82 سبتمبر، 2006م. ودراسة سعيد السريحي، «عتبات التَّهجي قراءة أولى في التجربة الشعرية عند محمد الثبيتي»، قامت بنشرها جداول النشر والترجمة والتوزيع، لبنان، 2015م. ودراسة ولد متالي لمرابط أحمد محمدو الموسومة بـ «شعرية التناص أثر تجربة الشاعر محمد الثبيتي في الشعر السُّعودي المعاصر»، قام بنشرها نادي الطائف الأدبي 1438هـ. وقد لاحظت أنَّ الباحث قد وقع – في هذه الدراسة – في إشكالية ضبط مصطلح التناص من خلال الكلمات المفتاحية لعنوان كتابه ومضمونه، فالكلمات المفتاحية للعنوان تضم شعرية التناص، وتجربة الثبيتي، وأثر هذه التجربة على الأدب السُّعودي المعاصر، والمعروف أنَّ شعرية التناص تشتغل على الإنتاجية النَّصية- وهذا ما أشارت إليه الباحثة جوليا كرستيفا في حديثها عن الإنتاجية النَّصية أو التناص؛ فهي تتعلَّق بالنَّص المنتج وهو، (نص لاحق)، والعلاقة التي تنشأ بين هذا النص والنصوص السابقة سمَّتها كرستيفا التناص، فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما علاقة شعرية التناص، بأثر تجربة الثبيتي في الشِّعر السُّعودي المعاصر؟ وسؤال آخر أين النَّص اللاحق هنا (المتناص)، هل

هو تجربة الثبيتي أم الشِّعر السُّعودي المعاصر؟ وإذا علمنا أنَّ الكتاب قد فاز بجائزة نادي الطائف الأدبي في إطار احتفالية خاصة بالشاعر الثبيتي، عرفنا أنَّ المستهدف بشعرية التناص الشاعر الثبيتي، وتجربته، وهي بذلك لا يمكن أنْ تكون نصاً لاحقاً أو متناصاً، يمكن دراسة شعرية التناص من خلاله! وإذا كان الشِّعر السُّعودي هو النص المنتج – وهذا ما لم يشر إليه عنوان الكتاب - فهنا يوجد تعالق نصِّي أو تناص؛ ولكن حقل الدراسة في هذه الحال يكون الشعر السُّعودي وليس شعر الثبيتي، فالشعر السُّعودي لم يكن هدفاً استراتيجياً في هذه الدراسة، بقدر تركيز الباحث على أثر تجربة الشاعر الثبيتي عليه، وهنا الإشكالية؛ لذلك أرى أنَّ شعرية التناص يجب أنْ تحذف تماماً، ويكون عنوان الكتاب (أثر تجربة الثبيتي في الشعر السُّعودي المعاصر).

والدراسات السابقة عن الثبيتي في مجموعها، إمَّا دراسات جزئية تناولت الثبيتي أو دراسات لا علاقة لها بالمتعاليات النصية، وهذا ما يكتسب البحث فرادةً في حقل دراسة التَّعالي النَّصي، أو دراسات ما بعد التناص في الأدب السُّعودي المعاصر؛ إذ إنَّه يشتغل على العلامة الملفوظة على مستوى اللغة، والعلامات البصرية من رسومات وأيقونات، وغيرها داخل النصوص وخارجها من خلال مستويات التَّعالي النَّصي عند الثبيتي.

الاتساعية النَّصية: (Hypertextualite)

ومثال (النَّص المتسع) في شعر الثبيتي قصيدة (صوت من الصف الأخير)، التي تحدثنا عنها في عتبة الإهداء، فقد أنشبتْ أظفارها في نص شوقي (العلم والتعليم وواجب المعلم)1 (النص المنحسر)، فالثبيتي كتب قصيدته على نفس وزن شوقي وقافيته، فكلاهما على وزن بحر الكامل، وقافية اللام بعدها حرف الإطلاق الألف، وكلاهما تكلم عن المعلم ودوره

1 أحمد شوقي: الأعمال الشعرية الكاملة (الشوقيات)، المجلد الأول، ج1، دار العودة، بيروت- لبنان، 1988م، ص180.

في المجتمع ماله وما عليه، ولكن عنوان شوقي لم يعبِّر عن معاناة المعلم التي خبرها الثبيتي وعاشها؛ لذلك نجد عتبة العنوان عند الثبيتي أحدثت مفارقة كبيرة مقارنة بعنوان شوقي، فشوقي يعرض وصفاً مكوناً من ثلاث كلمات وعطف على الأخير كلمة رابعة هي: (العلم والتعليم وواجب المعلم)، أَمَّا الثبيتي فيلامس المشكلة في عمقها ويفضح ذلك المجتمع الذي يجعل المعلم صوتاً خافتاً في الصف الأخير من البناء الاجتماعي، ثمَّ يعرض عتبة أخرى وضعها في غير موضعها استثناءً هي عتبة الإهداء فالمعروف أنَّ مكان الإهداء في بداية الديوان أو الكتاب، ولكنَّ الثبيتي في حضرة المعلم يفعل ما يشاء لأنَّ المعلم يستحق، (إلى الرَّاكضين خلف الأجيال يزرعون الأمل ويجنون التَّعب والملل والإرهاق)، فكلمات الثبيتي محملة بشحنات من الوجع الثقيل لا يحسها إلَّا الجنود المجهولون رسل الإنسانية الذين أقعدتهم المجتمعات في الصفوف الأخيرة، بدأتْ قصيدة شوقي بقوله:

قُـــمْ للمُعَـــلِّمِ وَفِّـــهِ التَّبْجِـيْلا ... كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يَكُوْنَ رَسُـوْلَاْ

أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ أَو أَجَلَّ منْ الَّذِيْ ... يَبْنِيْ، وَيُنْشِئُ أَنْفُسَاً وَعقولا؟

أَمَّا الثبيتي فيقول مستهلاً قصيدته:

هَلْ كُنْتَ يَوْمَاً فِي الحَيَاةِ رَسُوْلَاْ ... أَمْ عَامِـلَاً فِي ظِلِّـهَا مَجْهُـــوْلَاْ

تَسْخُوْ بِرُوْحِـكَ للخُـــلُوْدِ مَطيّة ... وَحُبِيْتَ حَظَّاً فِي الخُلُوْدِ ضَئِيْلَاْ

فشوقي يتوخى الفخامة في النظم والشكل الشعري، بينما يركِّز الثبيتي على المضمون وواقع المعلم المطحون، وربَّما تكون كلمات شوقي فيها شيءٌ من التَّدجين والمثالية التي لا تشتري خبزاً، وربَّما أسهمتْ في تضييع حق المعلم، ولكنَّ الثبيتي المجرِّب يعرف الداء والدواء؛ لذا فالمفارقة واضحة منذ الاستهلال. ثُمَّ يفندُّ الثبيتي قولَ شوقي، فبداية القصيدة فيقول:

قَالُـوْا بِأَنَّكَ فِي الحياة مُجَاهِـدٌ ... «تَبْنِيْ وَتُنْشِئُ أَنْفُـــسَاً وَعُقُـــوْلَاً

ضَحِكُوْا لِشَوْقِيْ حِيْنَ قَالَ مُفَلْسِفاً ... «قُـم للمعَلِّـــمِ وَفِّهِ التَّبْجِيْلا»

يقول شوقي:

لَوْ كُنْتُ أَعْتَقِدُ الصَّلَيْبَ وَخَطْبُهُ لَأَقَمْتُ مِنْ صَلْبِ المَسِيْحِ دَلِيْلَاْ

ويقول الثبيتي:

وَجَلَوْتَ عَنْ عَيْنَيْهِ كُلَّ غَشَاوَةٍ وَوَهَبْتَهُ زهرَ الشَّبَابِ دَلِيْلَاْ

وهكذا الثبيتي قد أثرى نصه المتسع على ذات الألفاظ التي استخدمها شوقي مع التجاوز الواضح في المعنى الذي قلبه رأس على عقب ولكن استطاع أنْ يقدِّم علاجاً ناجعاً بفضح ذلك المجتمع الذي أهمل المعلم وحقه بدلاً من تلك الكلمات المثالية التي استعملها شوقي، فلم يقبض على المشكلة ولا وصل للعلاج، بخلاف الثبيتي، الذي انحسر نص شوقي أمام نصه المتوسع بقوة التجربة والمعايشة والقدرة الفائقة على صوغ الكلام.

الخاتمة والنتائج:

من خلال البحث فالمتعاليات النصية أو ما عرف بدراسات ما بعد التناص، هي نتاج مشروع الناقد الفرنسي (جيرار جينيت) في بحثه المطول عن الشعرية والتناص، والتعريف بهذه المتعاليات النَّصية مرَّ بثلاث مراحل، في كل مرَّة يقوم جينيت بتعديلات جوهرية في نظريته من خلال كتبه بالترتيب، مدخل لجامع النص، طروس الأدب على الأدب، وأخيراً كتاب عتبات من النص إلى المناص.

المتعاليات النصية عند جينيت على خمسة أنماط هي: التناص، الملحق النصي، الماورائية النصية أو النَّصية البعدية أو الواصفة، الاتساعية النَّصية، وأخيراً النَّصية الجامعة.

تعددت ترجمات هذه المصطلحات عند الباحثين العرب، فاستعملوا في مرادف التناص، (تداخل النصوص، والنصوص الحالة والنصوص المُزاحَة، والنصوص المهاجِرة والمهاجَر إليها، والنص الغائب) وغيرها. كذلك مرادف الملحق النصي، (المناص، والنص الموازي، والعتبات) وغيرها. واستخدموا في مرادف النمط الخامس (النص الجامع، وجامع

النسـيج، ومعماريــة النـص).

الملاحـظ أنَّ مسـتويات التعالـي النصـي وأنماطـه واضحـة مـن خـلال شـعر الثبيتـي.

مـن خـلال هـذه الدراسـة يتضـح لنـا أنَّ المتعاليـات النَّصيَّـة أَسـهمت إسـهاماً واضحـاً فـي قـراءة شـعر الثبيتـي وفهمـه الثبيتـي، فهنـاك الكثيـر عناويـن قصائـد الثبيتـي ومحتـوى القصائـد تسـتغلق علـى الفهـم لـولا معرفـة العتبـات داخـل وخـارج النـص.

أخيـراً مـن خـلال تجربـة هـذا البحـث يمكننا قـراءة الأدب السُّـعودي إجمالاً أو تفصيـلاً عنـد كل شـاعر، وسـوف تظهـر الإضافـات الجماليـات لهـذا الدراسـات علــى الأدب عامة.

المصادر والمراجع:

أوَّلاً - المصادر:

1 - القرآن الكريم.

2 - محمـد الثبيتـي: ديـوان محمـد الثبيتـي الأعمـال الكاملـة، ط1 النـادي الأدبـي بحائـل بالتعـاون مـع مؤسسـة الانتشـار العربـي للطباعـة والنشـر، بيروت لبنـان، 2009م.

ثانياً – المراجع العربية:

3 - إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ج2،1972م.

4 - أحمـد شـوقي: الأعمـال الشـعرية الكاملـة (الشـوقيات)، المجلـد الأول، ج1، دار العـودة، بيـروت، 1988م.

5 - ولـد متالـي لمرابـط أحمـد محمـدو: شـعرية التنـاص «أثـر تجربـة الشـاعر محمـد الثبيتـي فـي الشـعر السُّـعودي المعاصـر»، نـادي الطائـف الأدبـي الثقافـي الـدورة الثالثـة، 2016م.

6 - محمد بنيس:

أ. الشـعر العربـي الحديـث، بنياتـه وإبدالاتهـا، ط1 دار توبقـال للنشـر، الـدار البيضـاء، المغـرب، 1990م.

ب. ظاهـرة الشـعر المعاصـر فـي المغـرب، مقاربـة بنيويـة تكوينيـة، ط1، دار العـودة، بيـروت، 1979م.

8 - محمـد مفتـاح: تحليـل الخطـاب الشـعري «اسـتراتيجية التنـاص»، ط1، دار التنويـر للطباعـة

والنشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1985م.
9 - محمد الصفراني: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث1950م- 2004م، ط1، النادي الأدبي بالرياض بالتعاون مع المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،2008م.
10 - محمد الرَّاشد: أيقونة الرَّمل « التلقي النقدي لتجربة الشعر محمد الثبيتي ومقاربات في منجزه الشعري»، ط1، النادي الأدبي بأبها بالتعاون مع دار الانتشار العربي، بيروت- لبنان، 2014م.
11 - منى المالكي: عندما يحكي الثبيتي «دراسة نقدية للسردية الشعرية السُّعودية في الثمانينات»، ط1، النادي الأدبي الثقافي بجدة المملكة العربية السُّعودية، 2013م.
12 - سعيد مصلح السِّريحي:
أ- الكتابة خارج الأقواس دراسات في الشِّعر والقصَّة، ط1، نادي جازان الأدبي، 1986م.
ب- عتبات التَّهجِّي» قراءة أولى في تجربة الشعرية عند محمد الثبيتي»، ط1، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان- بيروت، يناير 2015م.
14 - عبد الله بن أحمد الفيفي: حداثة النَّص الشِّعري في المملكة العربية السُّعودية « قراءة نقدية في تحولَّات المشهد الشعري الإبداعي»، ط1، النادي الأدبي بالرّياض- السُّعودية، 2005م.
15 - عبد الله محمد الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التفكيكية– قراءة لنموذج إنساني معاصر، ط1 النادي الأدبي الثقافي جدة، المملكة العربية السعودية، 1985م.
16 - عدنان حسين: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر، ط1 دار ابن كثير، دمشق بيروت، 1980م.
17 - عبد الحميد الحسامي:
مرايا العرَّاف «البنية الأسطورية في شعر محمد الثبيتي»، ط1، نادي الإحساء الأدبي بالتعاون مع دار الكفاح للنشر والتوزيع، 2015م.
18 - على الأمير: الثبيتي يتلو أسارير البلاد الإيقاع ومقاربات المعنى في ترتيلة البدء «قراءة أسلوبية»، ط1، نادي جازان الأدبي بالتعاون مع الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت –لبنان، 2014م.
19 - فؤاد منصور: النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، نصوص ـ جماليات ـ تطلعات، ط1، دار الجيل بيروت، 1985م.
20 - الصادق القاضي: عتبات النَّص الشِّعري الحديث» في شعرية المعاصرة ومعاصرة الشعر»، نادي جيزان الأدبي بالتعاون مع دار أروقة للدراسات والترجمة والنشر، د.ت.
21 - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النَّص، ط1، دار المعرفة مؤسسة مختار للنشر

والتوزيـع، 1994م.
22 - الترمـذي: سـنن الترمـذي، تحقيـق إبراهيـم عطـوة، ط1، مطبعـة مصطفـى بابـي الحلبـي، مصـر،1962م.
ثالثاً - الكتب المترجمة:
-23 جوليا كرستيفا: علم النـص، ترجمـة، فريـد الزاهـي، مراجعـة، عبـد الجليـل ناظـم، ط2، دار توبقـال للنشـر، الـدار البيضـاء، المغـرب، 1997م.
24 - جيرار جينيت:
أ- مدخـل لجامـع النَّـص، ترجمـة عبـد الرحمـن أيـوب، ط2 دار توبقـال للنشـر الـدار البيضـاء، 1986م.
ب- عتبـات «مـن النـص إلـى المنـاص»، ترجمـة عبـد الحـق بلعابـد، تقديـم سـعيد يقطيـن، ط1، الـدار العربيـة للعلـوم ناشـرون، الجزائـر، 2008م.
26 - جراهـام ألان: نظريـة التنـاص، ترجمـة باسـل المسـالمة، ط1، دار التكويـن للطباعـة والترجمة والنشـر، دمشق سـوريا، 2011م.
27 - مـارك أنجينـو: مفهـوم التنـاص فـي الخطـاب النقـدي الجديـد فـي كتـاب: فـي أصـول الخطـاب النقـدي الجديـد، ترجمـة وتقديـم أحمـد المدينـي، سلسـلة المائـة كتـاب، ط2 دار الشـئون الثقافيـة العامـة، بغـداد، 1987م.
28 - ميخائيـل بختيـن: الخطـاب الروائـي، ترجمـة: محمـد بـرادة، دار الفكـر للدراسـات والنشـر، باريـس، القاهـرة، ط1، 1987 .
29 - رولان بـارت: نقد حقيقـة، ترجمـة منـذر عياشـي، مركـز النمـاء الحضـاري، الـدار البيضـاء، المغـرب، ط1، 1994م.
رابعاً- المجلات العلمية المحكمة والرسائل الجامعية:
30 - إبراهيـم رمانـي: النـص الغائـب فـي الشـعر العربـي الحديـث، مجلـة الوحـدة، العـدد49 تشـرين الأول، المجلـس القومـي للثقافـة العربيـة، الربـاط، 1988م.
31 - أحمـد الزغبـي: التنـاص التاريخـي والدينـي مـع دراسـة تطبيقيـة فـي روايـة رؤيـا لهاشـم غرابيـة، مجلـة أبحـاث اليرمـوك، سلسـلة الآداب واللغويـات، المجلـد13، العـدد1، جامعـة اليرمـوك- إربـد، 1994م.
32 - زيـد دبيـان الشـمَّري: محمـد الثبيتـي شـاعراً، بحـث مقـدَّم اسـتكمالاً لمطلوبـات الدكتـوراه، جامعـة مؤتـة- الأردن، 2014م.
33 - عبـد الواحـد لؤلـؤة: مـن قضايـا الشـعر العربـي المعاصـر قضيـة التنـاص مـع الشـعر الغربـي، مجلـة الوحـدة السـنة السـابعة، العـددان82-83، يوليـو- أغسـطس، المجلـس القومـي للثقافـة العربيـة،

الربـاط- المملكـة المغربية،1980م.
34 - سـليمة لـوكام: شـعرية النـص عنـد جيـرار جينيـت مـن الأطـراس إلـى العتبـات، التواصـل، مجلـة العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية، جامعـة عنابـة، عـدد 23جانفـي، الجزائـر، 2009م.
35 - تركـي المغيـض: التنـاص فـي معارضـات البـارودي، مجلـة أبحـاث اليرمـوك، سلسـلة الآداب واللغويـات، المجلـد 9، العـدد2، جامعـة اليرموك-إربـد، 1991م.
36 - خالد عبَّاس مصطفى(الباحث):
مفهـوم التنـاص وفلسـفته فـي النقـد الأدبـي الحديـث، مجلـة الجزيـرة للعلـوم التربويـة والإنسـانية، المجلـد 10 العـدد الأول، 2013م، تصدرهـا عمـادة الدراسـات العليـا والبحـث العلمـي – جامعـة الجزيـرة – السـودان.
عتبـات النـص «قـراءة فـي ديـوان العـودة إلـى سـنار لمحمـد عبـد الحـي». مجلـة الدراسـات الإنسـانية والأدبيـة، العـدد الحـادي عشـر، تصـدر عـن كليـة الآداب جامعـة كفـر الشـيخ، جمهوريـة مصـر العربيـة، ينايـر 2016م.

تجهيز ومعالجة المعلومات وعلاقته بالقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة



إعداد:

د. يحيى أحمد محمد الماحي

أستاذ علم النفس التربوي المشارك
بكلية التربية جامعة جدة

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة فضلاً عن التعرف على الفروق في تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى أفراد العينة، وتألفت عينة الدراسة من (200) طالب وطالبة تم اختيارهم عشوائياً، وتم تطبيق مقياسا تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات وكلاهما من إعداد الباحث، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن الآتي:

وجود علاقة ارتباطيه موجبة ذات دلالة إحصائية بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية في محلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات) ولصالح الطالبات. وجود فروق فردية ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية في محلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير التخصص (علمي - أدبي) لصالح طلاب وطالبات المساق العلمي. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية في محلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات) لصالح الطالبات. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية في محلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير التخصص (علمي - أدبي) لصالح طلاب وطالبات المساق العلمي.

Abstract:

The study aimed at revealing the nature of the relationship between the providing and processing of information and the ability to solve problems in secondary students in Atbara Dist. As well as identifying the differences in processing and processing of information and the ability to solve problems in the sample members (The sample of the study consisted of 200 students randomly selected، The measurement of providing and processing of information and the ability to solve problems were both applied by the researcher، The results of the study resulted in the following:

The existence of a positive correlation relationship of statistical significance، between the providing and processing of information and the ability to solve problems among secondary school students in Atbara dist. There were statistically significant differences among high school students، In Atbara locality on the scale of information processing and processing according to gender variable (Male Students – Females students) and for the benefit of Females students. There are statistically significant differences between high school students In Atbara locality on the scale of information providing and processing according to the specialization variable Specialization (science - Arts) and the favor was for student's males and females of science course. There were statistically significant differences among high school students in Atbara dist. On the scale of ability to solve problems according to the gender variable (Male Students – Females students) and the benefit was for females students. There were statistically significant differences among high school students in Atbara dist. On the scale of ability to solve problems according to the specialization variable (Science - Arts) and the favor was for males students and females students of the science course

الإطار العام للبحث:

المقدمة:

يعتبر علم النفس المعرفي علم تكوين وتناول المعلومات لدى الإنسان، وغالباً ما تكون المعرفة هي موضوع اهتمام هذا الفرع من فروع علم النفس، حيث تكتسب هذه المعرفة من المواقف التي نمر بها في الحياة و تتعلق بالعمليات المرتبطة بطريقة اكتساب هذه المعلومات والاحتفاظ بها في الذاكرة وإعادة استخدامها لا سيما أن دراسة علم النفس المعرفي توصلنا إلى فهم أعمق لما نمارسه يومياً من أنشطة متعددة مستمرة تشترك فيها كثير من العمليات المعرفية مثل الانتباه والإدراك والتذكر وحل المشكلات والتعلم وغيرها من الاستراتيجيات والأساليب المعرفية.

ويلاحظ في السنوات الأخيرة، تزايد الاهتمام بدراسة العمليات العقلية المعرفية كونها متغيرات تؤثر وتتأثر بالأداء البشري وهذه العمليات العقلية تضم الذاكرة والتفكير والانتباه والتذكر والإحساس وكيفية استخدام الرموز اللغوية وعمليات تجهيز ومعالجة المعلومات، وهذا ما دفع الباحث لاختيار المجال المعرفي لإتمام دراسته التي هو بصدد القيام بها والتمركز حول مسألة أساسية موضوعة على المحك أثارت اهتمام الباحثين المختصين في علم النفس ألا وهي مسألة تجهيز ومعالجة المعلومات.

هذا وقد أصبح حل المشكلات مطلباً أساسيا للتعلم حيث يواجه الفرد في حياته اليومية الكثير من المشكلات والتي تتطلب استخدام أساليب متعلمة لمواجهتها فعندما يقوم الفرد بحل مشكلة ما فإنه يشرع في تطبيق مبادئ علمية ومفاهيم مترابطة تساهم في حل المشكلات.

ومن هنا تكمن العلاقة بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات كما يراها الباحث، حيث أن الفرد إذا قام بعملية استقبال المعلومات وتشفيرها وتخزينها ومعالجتها بطريقة سليمة وصحيحة دون أية شوائب في ذلك يكون قادراً على حل مشكلة ما تعترضه في حياته وإلا فالعكس صحيح، ومن هذا المنطلق يعد تجهيز ومعالجة المعلومات من التطورات المعاصرة ذات الأهمية في مجال التربية بوجه عام وعلم النفس المعرفي بوجه خاص والذي يهدف إلى فهم أعمق بكثير من العمليات المعرفية والعقلية وكيفية تناول المعلومات ومعالجتها واستخدامها في حل المشكلات الحياتية. حيث تعد هذه الدراسة هامة في مجال علم النفس المعرفي كما يرى الباحث، وذلك بإلقاء الضوء على كيفية ترميز وتجهيز المعلومات واستعادتها، وكونها تفتح مجالاً واسعاً أمام الدارسين والباحثين من أجل إجراء المزيد من الدراسات والبحوث في تجهيز ومعالجة المعلومات وعلاقاتها بالقدرات العقلية المعرفية وخاصة القدرة على حل المشكلات.

مشكلة الدراسة:

من أهم الطرق في بناء الطلاب معرفياً، وبناء عقولهم على نحو سليم، المساعدة على إلمام الطلاب باستراتيجيات تجهيز ومعالجة المعلومات وذلك من خلال تنمية الجانب العقلي والوجداني والجسمي والتي تحقق لهم النجاح في جميع أعمالهم التي يقبلون على القيام بها، ولا يقتصر ذلك على حياتهم الدراسية فحسب، ومن هنا تكمن أهمية قدرة الطلاب على العمل بصورة علمية في حل المشكلات على اعتبار أن الطلاب الذين يتمتعون بقوة في قدرتهم على حل المشكلات يمتلكون كفاءة عالية في تفكيرهم العام والخاص، ويستطيعون التصرف في المواقف المعقدة التي تحتاج إلى اتخاذ قرارات صعبة.

وعليه يصيغ الباحث مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:

هل توجد علاقة ارتباطية موجبة بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس أسئلة فرعية وهي:

هل توجد فروق بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات)؟

هل توجد فروق بين طلاب ا لمرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير التخصص (علمي - أدبي)؟

هل توجد فروق بين طلاب المرحلة الثانية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات)؟

هل توجد فروق بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير التخصص (عملي - أدبي)؟.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

التعرف على طبيعة العلاقة بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة.

التعرف على الفروق بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات).

التعرف على الفروق بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير التخصص (علمي - أدبي).

التعرف على الفروق بين طلاب المرحلة ا لثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات).

التعرف على الفروق بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير التخصص (علمي – أدبي).

أهمية الدراسة:

إلقاء الضوء على كيفية ترميز وتجهيز ومعالجة المعلومات وتخزينها

واستعادتها والاعتماد عليها في حل المشكلات.
يمكن الاستفادة من هذه الدراسة ونتائجها في كونها تفتح المجال واسعاً للباحثين من أجل إجراء المزيد من الدراسات والبحث في العلاقة بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات.
تعتبر هذه الدراسة بمتغيراتها الحالية من الدراسات النادرة حسب علم الباحث في ولاية نهر النيل.

فروض الدراسة:

توجد علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة احصائية بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة.
توجد فروق ذات دلالة احصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز و معالجة المعلومات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب – طالبات).
توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير التخصص (علمي – أدبي).
توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات).
توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات بمحلية عطبرة وفقاً لمتغير التخصص (علمي - أدبي).

حدود الدراسة:

تحدد الدراسة الحالية في:

الحدود البشرية: طلاب الصفوف الأول والثاني والثالث في المدارس

الثانويــة.

الحدود المكانية: تم إجراء الدراسة الحالية في محلية عطبرة.

الحدود الزمانية: تم إجراء الدراسة في العام الدراسي 2016م- 2017 م.

- تحديد المصطلحات :

تجهيز ومعالجة المعلومات:

تجهيـز ومعالجـة المعلومـات هـو مجموعـة الآليـات المتعلمـة والتـي تنطـوي علـى توظيـف الأنشـطة العقليـة أو المعرفيـة المتنوعـة والعمليـات التنظيميـة التـي تحـدث بيـن عمليتـي اسـتقبال المعلومـات واسـتعادتها أو تذكرهـا أو بيـن مدخـلات الذاكـرة ومخرجاتهـا.

(محمد عبد السميع رزق، 2004م، 95)

التعريف الإجرائي لتجهيز ومعالجة المعلومات :

الدرجـة التـي يحصـل عليهـا الطالـب علـى مقيـاس تجهيـز ومعالجـة المعلومـات المسـتخدم فـي هـذه الدراسـة.

القدرة على حل المشكلات:

تعـرف القـدرة علـى حـل المشـكلات علـى أنهـا العمليـة التـي يقبـل فيهـا الفـرد التصـدي للمشـكلة ويقـوم بربـط المفاهيـم والأفكار والمهـارات المتعلمـة ويوظفها في وضع خطة تقوده إلى حل صحيح.

(عبـد الله بـن فهـد، 2010، 409)

التعريف الإجرائي للقدرة على حل المشكلات:

الدرجـة التـي يحصـل عليهـا الطالـب علـى مقيـاس القـدرة علـى حـل المشـكلات المسـتخدم فـي هـذه الدراسـة.

طلاب المرحلة الثانوية:

اصطلاحـاً: هـم طـلاب المرحلـة الأخيـرة للتعليـم العـام فـي كافـة أنظمـة السـلم التعليمـي ويؤهلـون للتعليـم العالـي وفـق الأسـس والشـروط المعمـول بهـا.

التعريف الإجرائي لطلاب المرحلة الثانوية:

هم مجتمع وعينة الدراسة الحالية والذين طبق عليهم أدواتها.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري:

تجهيز ومعالجة المعلومات:

التعريف:

تعرف مفهوم تجهيز ومعالجة المعلومات بأنها مجموعة من الإجراء أو العمليات التي تحدث منذ تعرض الفرد للمثير حتى ظهور الاستجابة وينظر إلى كل عملية عقلية على أنها اجراء ناشئ عن المعلومات التي يتم التوصل إليها سواء من الإجراءات أو المثيرات ذاتها.

(أنور الشرقاوي وسليمان الحضري، 2002م، ص68)

ويراد بمفهوم تجهيز ومعالجة المعلومات بأنها العمليات المعرفية المختلفة التي يقوم بها الفرد من خلال تناوله المعلومات، وتؤثر طريقة الفرد في تجهيز المعلومات على الاستجابة التي يقوم بها، ويساعد هذه العملية فهم هذه العمليات في تفسير سلوك الأفراد وتحديد أسلوبهم في تجهيز المعلومات. (وليد خليفة، 2005م، ص23)

كما تعرف بأنها العملية المعرفية التي تتمثل في المراحل التي تمر بها المعلومات التي تأتي الإنسان من البيئة المحيطة فتخزن وتنظم وتشفر في معالجة مخية عصبية معقدة حتى تخرج كاستجابة عبر غدة أو عضلة.

(حمدى الفرماوي، 2009م، ص27)

مكونات نموذج تجهيز ومعالجة المعلومات:

هناك ثلاث مكونات اساسية في عملية تجهيز ومعالجة المعلومات حيث تم

تلخيصها فيما يلي :
الذاكرة الحسية، الذاكرة قصيرة المدى، الذاكرة طويلة المدى.
الذاكرة الحسية (المسجلات الحسية)
يشير عمران زهير (2009م، ص78) إلى الذاكرة الحسية وتسمى كذلك بالمسجل الحسي حيث تمتاز بسرعتها الفائقة على نقل صورة العالم الخارجي وبدرجة عالية من الدقة، وتمتاز أيضاً بقدرتها على استقبال كميات هائلة من المدخلات الحسية، لكنها سرعان ما تتلاشى وتحل محلها مدخلات أخرى، فوظيفة التسجيل الحسي هي الاحتفاظ بالرسائل الحسية لبعض الوقت حتى يتمكن الفرد من انتقاء رسائل معينة منها ويرسلها إلى المرحلة التالية من المعالجة.
وكذلك يشير رافع النصير الزغلول وعماد عبد الرحيم الزغلول (2003، ص، 53) (تمثل الذاكرة الحسية المستقبل الأول للمدخلات الحسية من العالم الخارجي، فمن خلالها يتم استقبال مقدار كبير من المعلومات وخصائص المثيرات، وتلعب هذه الذاكرة دوراً هاماً في نقل صورة العالم الخارجي على نحو دقيق، إذ ما يتم تخزينه فيها هو الانطباعات أو الصور الحقيقية للمثيرات الخارجية. وتتكون الذاكرة الحسية من نوعين للذاكرة هما :
الذاكرة الحسية البصرية:
وهي تحتوي على جميع معلومات المثيرات بعد تحديدها بصرياً، ومن أهم خصائصها أنها مختصرة جداً، حيث تزول المعلومات البصرية خلال ربع ثانية.
(الفرحاني السيد وأحلام الباز، 2008م، ص314)
الذاكرة الحسية السمعية:
وتعرف ايضا بذاكرة الاصداء الصوتية لأنها مسؤولة عن استقبال الخصائص الصوتية للمثيرات البيئية، وكما هو الحال بالنسبة للذاكرة البصرية فإنها تستقبل صورة مطابقة للخبرة السمعية التي يتعرض لها الفرد في العالم

الخارجي.

(عبد المنعم الدردير وجابر عبد الله، 2005، ص: 56)

وتشير (فوقية عبد الفتاح، 2005، ص: 80) بأن الذاكرة الحسية السمعية تمتاز بإمكانية استقبال أكثر من مدخل حسي واحد، وأن الأفراد بإمكانهم تذكر المعلومات السمعية التي لا يعيرونها انتباههم وذلك يعود إلى أن الانطباعات السمعية تستمر لفترة أطول في ا لمسجل الحسي السمعي.

الذاكرة قصيرة المدى:

ويشر (محمد أحمد شلبي، 2001م، ص140) إلى أن الذاكرة قصيرة المدى هي ذاكرة وسيطة بين الذاكرة الحسية والذاكرة طويلة المدى وأنها نسق الذاكرة الذي تعالج فيه المعلومات بنشاط عندما تنتقل من الحسية أو عندما تسترجع المعلومات من الذاكرة الطويلة وهذه المعلومات تتلاشى في حوالي 20 ثانية أو أقل.

دور الذاكرة قصيرة المدى في تجهيز المعلومات:

عقب استقبال المعلومات المعينة يتم ترميزها وتحويلها أو انتقالها من الجهاز الحسي إلى الذاكرة قصيرة المدى أو الذاكرة العاملة، وعند هذه المرحلة تخضع المعلومات لعدد من العمليات الهامة التي تقف خلف التغيرات النمائية منها (التسميع، التنظيم، الاستعادة).

التسميع : يتوقف معدل تذكر المفحوص أو استرجاعه للفقرات المعروضة على أنشطة التسميع واستراتيجياته، فإذا كان هناك ما يقف حائلاً دون القيام بمثل هذه الأنشطة، فإن معدل استرجاع الكلمات يقل.

(حسن أبو رياش، 2007م، ص109)

التنظيم : إن أستراتيجية التسميع تؤثر على فعالية الذاكرة حيث تبدو في إيجاد العلاقات الارتباطية بين المثيرات موضوع الحفظ والتذكر بعضها البعض، وبينها وبين مختلف الوقائع البينية من ناحية أخرى وهو ما يسمى بالتنظيم وهي تتوقف على عدة عوامل منها: قابلية المادة موضوع

الحفظ أو التذكر للتنظيم أو التصنيف أو الربط، درجة مألوفية هذه المادة، طريقة عرض المادة، النشاط الذاتي الذي يبذله الفرد في حفظه أو تجهيزه أو استرجاعه. (سلميان عبد الواحد، 2011م، ص59)

ج- الاستعادة أو الاسترجاع : وهي تتمثل في البحث عن المعلومات وتحصيلها من الذاكرة واستعادتها وهي تتوقف على عوامل منها :

طريقة عرض المادة موضوع الاستعادة وترميزها.

مستوى التجهيز الذي تعالج عند هذه المادة.

وهذه الخاصية تسير جنباً إلى جنب مع استراتيجيات التنظيم.

(هشام الخولي، 2008م، ص49)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المعلومات عند استقبالها من طرف الحواس تنتقل إلى الذاكرة العاملة التي تخضعها لمختلف العمليات من (تسميع وتنظيم واستعادة) وهي عمليات مترابطة ومتسلسلة وليست منفصلة.

(مسعد نجاح، 2015م، ص72)

الذاكرة طويلة المدى:

الذاكرة طويلة المدى تعتبر مخزن ذو سعة غير محدودة لتخزين المعلومات وحفظها واسترجاعها عندما يتم الاستدعاء أو التذكر في مختلف المهمات التي تستوجب التركيز لتنفيذ المهمة المطلوب أدائها، فعند قيام الفرد بهذه المهمة فعليه أن يكون منتبهاً ويتمتع بعتبة شعور عالية نوعاً ما ليجهز المعلومات في المخزن قصير المدى، فتحدث مختلف عمليات (النقل، التحويل، الإندماج) مع المعلومات المتواجدة في بنائه المعرفي، وقد يحدث هذا فقط أو عدم تجهيز لبعض المعلومات وهذا راجع لسعة محدودية المخزن قصير المدى، ثم إلى كفاءة الفرد في الانتقاء والاختيار الجيد، فالبحث المتواصل عنها وانشاء علاقات من نوع الترابط أو التكامل أو الاقتران، لأن هذه المهمات بالذات تساهم في التنشيط كما تساهم بنفس

القدر في التثبيت والانتقال للمخزن غير المحدود السعة للذاكرة طويلة المدى.

(محمود كاظم، 2012م، ص39)

نماذج الذاكرة طويلة المدى:

لقد قسم بعض الباحثين محتويات الذاكرة طويلة المدى إلى ثلاثة أقسام هي:

ذاكرة المعاني: وتمثل خلاصة معاني المعارف والحقائق والمعلومات، فبعد قراءة قصة مثلاً لا يمكن تذكر جميع كلماتها ولكن يمكن تذكر الموضوع فقط.

(أروى الخيري، 2012م، ص113)

ذاكرة الأحداث: وتشمل جميع الخبرات التي مر بها الفرد خلال مراحل حياته بمعنى ذكريات الأحداث بتفاصيلها وفق تسلسل زمني ومكاني.

(فخري عبد الهادي، 2010م، ص92)

الذاكرة الإجرائية : وتختص بكيفية الاداء أي المهارات الأدائية التي تعلمها الفرد من خلال الخبرة أو الممارسة، كركوب الدراجة، أو قيادة السيارة، وتخزن المعلومات في هذه الذاكرة على شكل نتاجات أو قواعد تعمل على تنظيم الأداء أو الفعل في مواقف أو ظروف معينة.

(أنور الشرقاوي، 1995م، ص81)

في حين يرى البعض الآخر من العلماء والباحثين بأنها تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

الذاكرة الصريحة أو التقديرية : وهي التي يتم فيها تخزين المعلومات التي تدل عن الأشياء بالإضافة إلى الحقائق والمفاهيم والافتراضات وغيرها، وهي تضم ذاكرة المعاني والأحداث.

أما الإجرائية : يتم فيها تخزين المعلومات المتعلقة بكيفية القيام بالأعمال والظروف التي تستخدم فيها. (شاهين رسلان، 2010م، ص 123)

ويرى الباحث أن هذه التقسيمات جاءت نتيجة الجدل الذي لا يزال قائماً

بين الباحثين والمهتمين بعلم النفس المعرفي عن الكيفية التي يتم بها تمثل وتخزين المعلومات في الذاكرة طويلة المدى مما تمخض عنه مختلف الآراء السابقة الذكر.

ثانياً: القدرة على حل المشكلات:

تعددت التعريفات التي تعرف القدرة على حل المشكلات ومن تلك التعريفات.

تعرف القدرة على حل المشكلات على أنها هي العملية التي يقبل فيها الفرد التصدي للمشكلة ويقوم بربط المفاهيم والأفكار والمهارات المتعلمة ويوظفها في وضع خطة تقوده إلى حل صحيح.

(فؤاد طه طلافحه، 2013م، ص521)

ويعرف (مصعب محمد علوان، 2008م، ص49) القدرة على حل المشكلات على أنها نمط من أنماط التفكير والمعالجة والتنظيم والتحليل والتركيب والتقويم للمعلومات الماثلة في الموقف المشكل في تفاعلها مع الخبرات والمعارف والتكوينات المعرفية السابقة التي تشكل متحتوى الذاكرة بهدف انتاج الحل وتقويمه.

ويعرفها (عادل العدل، 2002م، ص131) بأنها قدرة الشخص على التغلب على العقبات والصعوبات الموجودة في المواقف الاجتماعية في زمن بعيد وكما يظهر في درجته على مقياس القدرة على حل المشكلات الاجتماعية.

القدرات المكونة لمهارة حل المشكلات:

اقترح جيلفور (Guilford) وهوبيز (Hopfiz) المذكوران في وليد العباصرة (2013، 51) أثناء تحليلهما للذكاء الإنساني مجموعة من القدرات المكونة للذكاء على افتراض أن مهارة حل المشكلات هي مهارة ذكائية تعكس قدرات المتعلم الذهنية، وقد حددا سبعة عوامل فرعية خاصة وعوامل عامة متعلقة بقدرة حل المشكلات وهي :

قدرة التفكير السريع في مجموعة من الخصائص المختلفة المتعلقة بالمشكلة.

قدرة تصنيف الأشياء أو الأفكار وفق معيار معين.
قدرة إيجاد العلاقات المشتركة بين الخصائص المختلفة المتعلقة بالمشكلة أو الموقف.
قدرة التفكير بالإبدال المختلفة للمواقف أو المشكلة.
قدرة وضع قائمة بالخصائص المرتبطة بالهدف أو الموقف ز
قدرة استنباط المتطلبات السابقة للموقف.
قدرة عامة على حل المشكلات.

محددات القدرة على حل المشكلات :

تتمثل محددات القدرة على حل المشكلات البسيطة والمشكلات متعددة الخطوات فيما يلي:

تقديم أو عرض المشكلة :

المشكلة يمكن أن تقدم بأساليب أو طرق أو تنظيمات مختلفة، فالاسلوب الذي يتم به تقديم أو المشكلة ابتداءاً يؤثر على درجة الصعوبة التي يتوصل من خلالها الفرد للحل.
(فتحي الزيات، 2006، ص63)

التلميحات: إن امداد الفرد بتلميحه معينة يؤدي إلى إحداث تغير في الموقف المشكل وينشأ عن تقديم عنصر جديد، وعادة يتم تقديم التلميحات بهدف مساعدة الفرد والقائم بحل المشكلة. (أيمن عامر، 2003، ص39)

مألوفية الحل :المشكلات تصبح أسهل وأيسر عندما نقوم بحلولها على الأفكار الأكثر ألفة للأفراد. (فتحي الزيات : 2006م، ص64)

حجم المشكلة: من المسلم به أن تعدد بدائل حل المشكلة يزيد من درجة صعوبتها، فالمشكلة التي تنطوي على بديل واحد تكون أيسر في الحل، كما أن زيادة حجم المشكلة متعددة الخطوات يؤدي إلى درجة تعقيد المشكلة. (أيمن عامر، 2003م، ص40)

الاستراتيجيات المستخدمة : تتعدد الاستراتيجيات التي يستخدمها الأفراد

وصولاً إلى حل المشكلة، وبعض الاستراتيجيات يسهل الحل وخطواته أقل، والبعض الآخر قد يأخذ الفرد إلى متاهات طويلة يصعب معها إيجاد الحل الصحيح. (فتحي الزيات، 2006، ص64).

درجة العقيد : ويقصد بها تحديد المشكلة حيث تقسم المشكلات إلى مشكلات جيدة التعريف، والتي فيها كل شيء محدد عن أبعاد المشكلة ومشكلات غامضة والتي يكون فيها أحد جوانب المشكلة غير معروف.

خطوات الحل : ويقصد بها عدد الخطوات التي يطلبها الحل فقد تحل المشكلة من خطوة واحدة حاسمة وقد تتطلب مشكلات أخرى العديد من الخطوات، كما أن المشكلة قد تكون صعبة أو سهلة حسب عمليات حلها. (صالحة سعد ومحمد أحمد، 2010م، ص71)

الأهمية التربوية للقدرة على حل المشكلات :

تبرز الأهمية التربوية للقدرة على حل المشكلات من خلال:

تنمية قدرة المتعلمين على حل أنواع عديدة من المشكلات غير المألوفة لديهم، فحل المشكلة عملية يستخدم فيها المتعلمون ما تعلموه ويطبقوه في مواقف جديدة مختلفة.

إتاحة الفرصة للمتعلم لاستخدام خبراته السابقة من جهة، ولتبادل الخبرات مع زملائه ومعلميه من جهة أخرى، وتنمية قيم التعاون والاعتماد على النفس والإيثار وتحمل المسئولية.

يسهم في تنمية التفكير الابداعي والتفكير الناقد لدى المتعلمين ز

تسهم في تدريب المتعلمين على التفكير العلمي السليم وتنمية قدراتهم على التفكير الثاقب الواعي.(إيناس النقيب، 2008م، ص198)

ثانياً: الدراسات السابقة :

الدراسات السابقة ذات الصلة بمتغير تجهيز ومعالجة المعلومات.

دراسة عبد الله الصافي (2000م) :

هدفت الدراسة إلى معرفة الفروق في استراتيجيات معالجة المعلومات

(المتتابعة - المتآنية) ومستوى سرعة المعالجة في ضوء التخصيص الدراسي (علمي - أدبي) والتحصيل الدراسي (مرتفع - منخفض) لدى طلاب الجامعة، وتكونت عينة الدراسة من (75) طالباً من طلاب جامعة الملك عبد العزيز، وتم استخدام مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات واختبار التحصيل الدراسي، وكشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق دالة احصائياً لصالح طلاب القسم العلمي في معالجة المعلومات المتتابعة والمتتالية عند المستوى (0.05) و (0.01) على التوالي، وفي صالح مرتفعي التحصيل الدراسي في المعالجة المتتابعة عند المستوى (0.01).

دراسة مختار أحمد كمال (2003م):

هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين البنية النفسية للذكاء الموضوعي والذكاء الاجتماعي والذكاء الشخصي بمستويات تجهيز المعلومات في ضوء الجنس والتخصص العلمي، وتكونت عينة الدراسة من (545) طالباً وطالبة، من طلبة ا لسنة الرابعة من كلية عين شمس من التخصصات الأدبية والعلمية، واستخدم الباحث اختبار القدرات العقلية الأولية واختبار الذكاء، وقد اسفرت النتائج على ما يلي :-

توجد علاقة ارتباطية دالة احصائياً بين كل من الذكاء (الموضوعي، الاجتماعي، الشخصي) ومستويات تجهيز المعلومات.

توجد فروق ذات دلالة احصائية في مستويات تجهيز المعلومات تعزى لمتغير التخصص لصالح ا لتخصصات العلمية.

توجد فروق ذات دلالة احصائية في مستويات تجهيز المعلومات تعزى لمتغير الجنس ولصالح الطالبات.

الدراسات ذات الصلة بمتغير الدراسة :

دراسة James، J، & Watters، L. D (2005):.

هدفت الدراسة إلى مدى تطبيق المعالجة (المتتالية - المتتابعة) للمعلومات في التفكير الاستدلالي وحل المشكلات وأثرها في تطوير مهارات التفكير

العلمي لدى الأطفال، وتكونت عينة الدراسة من (182) طالباً في المرحلة الابتدائية، واستخدم الباحث مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات ومقياس القدرة على حل المشكلات ومقياس مهارات التفكير العلمي، وخلصت الدراسة إلى نتائج هامة منها :-

وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائياً عند مستوى (0.01) بين استراتيجيات تجهيز المعلومات المتتابع والمتأني والقدرة على حل المشكلات.

دراسة مصعب محمد شعبان علوان (2008م) :-

هدفت الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلبة المرحلة الثانوية، وتكونت عينة الدراسة من (270) طالباً وطالبة، واستخدم الباحث مقياسان هما : مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات ومقياس القدرة على حل المشكلات، وخلصت الدراسة إلى نتائج هامة منها :

عدم وجود فروق جوهرية في مجالات مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات تعزى لمتغير الجنس، في حين وجدت فروق جوهرية في المجال العقلي والدرجة الكلية لصالح الإناث عند مستوى (0.01) في مقياس القدرة على حل المشكلات، لكن الفروق الجوهرية في المجال الوجداني لصالح الذكور وفي المجال الاجتماعي والدرجة الكلية لصالح الإناث في مقياس القدرة على حل المشكلات..

وجود فروق جوهرية في مجالات مقياس تجهيز المعلومات تبعاً لمتغير المستوى الدراسي ووجود فروق في المجالين العقلي والاجتماعي والدرجة الكلية تبعاً لمقياس القدرة على حل المشكلات.

وجود فروق جوهرية في مجالات مقياس تجهيز المعلومات تبعاً لمتغير المستوى التحصيلي ووجود فروق جوهرية في مجالات مقياس القدرة على حل المشكلات.

الدراسات ذات الصلة بالقدرة على حل المشكلات :

دراسة صالحة سعد وممد أحمد (2010م):

هدفت الدراسة إلى معرفة طبيعة العلاقة بين مركز الضبط والقدرة على حل المشكلات في ضوء بعض المتغيرات لدى طلاب ا لمرحلة الثانوية، وطبقت الدراسة على عينة قوامها (150) طالباً وطالبة من طلاب المرحلة الثانوية، واستخدم الباحث مقياس مركز الضبط والقدرة على حل المشكلات، وخلصت الدراسة إلى نتائج هامة منها:

وجود علاقة ارتباطية عكسية بين مركز الضبط والقدرة على حل المشكلات.

عدم وجود فروق في العلاقة لمركز الضبط والقدرة على حل المشكلات تبعاً لمتغير الجنس والصف الدراسي. أما متغير التحصيل فقد أظهرت النتائج فروقاً إحصائية لصالح ذوي التحصيل المرتفع.

كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق في القدرة على حل المشكلات تبعاً لمتغير التخصص (علمي - أدبي).

دراسة عواطف أحمد زمزمي (2011م):

هدفت الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين الذكاء الوجداني والقدرة على حل المشكلات الاجتماعية لدى طالبات المرحلة الجامعية، وتكونت عينة الدراسة من (127) طالبة بكلية الفنون والاقتصاد المنزلي، وطبقت مقياسي الذكاء ا لوجداني والقدرة على حل المشكلات، وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها :

وجود علاقة موجبة ذات دلالة احصائية بين الذكاء الوجداني والقدرة على حل المشكلات الاجتماعية.

وجود فروق ذات دلالة احصائية في القدرة على حل المشكلات الاجتماعية بين الطالبات الحاصلات على درجات منخفضة ومرتفعة في الذكاء الوجداني لصالح الحاصلات على درجات مرتفعة.

دراسة (Keat. O. & Ismail. K. Bin. 2011):

هدفت الدراسة إلى معرفة التجهيز المعرفي للمعلومات والقراءة بنظام (CAS) (في تقييم المعالجة المعرفية واكتشاف التنبؤ با لعجز في القراءة، وتكونت عينة الدراسة من (103) طالب، وتم استخدام مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وكشفت نتائج الدراسة عما يأتي:

وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية عند مستوى (0.01) بين استراتيجية التجهيز المتأني للمعلومات الأداء القرائي.

وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية عند مستوى (0.01) بين العمليات المعرفية والأداء القرائي.

دراسة فؤاد طه أبو طلافحة (2013م):

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر الذكاء العاطفي والقدرة على حل المشكلات في التحصيل الأكاديمي لدى طلبة السنة الجامعية الأولى في جامعة مؤتة، وتكونت عينة الدراسة من (486) طالباً وطالبة، واستخدم الباحث مقياسا الذكاء العاطفي والقدرة على حل المشكلات بالإضافة اختبار التحصيل الدراسي، واسفرت الدراسة عن عدة نتائج أهمها:

وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين الذكاء العاطفي والقدرة على حل المشكلات من جهة والتحصيل الأكاديمي من جهة أخرى، وتبين وجود فروق ذات دلالة احصائية في القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير التخصصات العلمية.

وجود فروق ذات دلالة إحصائية في القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير الجنس ولصالح الذكور.

التعليق على الدراسات السابقة والتي تناولت متغيري الدراسة الحالية:

ومن خلال مراجعة الباحث للدراسات السابقة والتي تناولت متغيري هذه الدراسة تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات أتضح له وجود تباين في نتائجها، فنتائج بعض الدراسات اتفقت مع نتائج الدراسة الحالية بينما البعض الآخر اختلفت نتائجها مع نتائج هذه الدراسة.

أما من حيث العينة فنجد تلك الدراسات اختلفت فيما بينها من حيث الخصائص العمرية للعينات، فالبعض منها تناول المرحلة الجامعية، والبعض الآخر تناول المرحلة الثانوية وبعضها تناول المرحلة الابتدائية، أما الدراسة الحالية فتناولت طلاب المرحلة الثانوية.

أما من حيث الأدوات فيظهر للباحث أن تلك الدراسات اختلفت فيما بينها من حيث الأدوات.

واستفاد الباحث من الدراسات السابقة ومن التراث النظري وذلك في إعداد الإطار النظري للدراسة الحالية وتصميم أدواتها واختيار الأساليب الإحصائية المناسبة كما استفاد منها في مناقشة النتائج التي توصل إليها.

منهجية الدراسة وأجراءاتها

منهج الدراسة : يتبع الباحث في الدراسة الحالية المنهج الوصفي الارتباطي والذي يعتمد على وصف ما هو قائم بالفعل وتحديد نوع العلاقة التي توجد بين الظواهر.

مجتمع الدراسة : يتضمن مجتمع الدراسة الحالية الصفوف الأول والثاني والثالث في مدارس المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة، والبالغ عددهم (4761) بواقع (2264) طالباً بالمدارس الثانوية بنين و(2457) طالبة بالمدارس الثانوية بنات موزعين بحسب المدارس. والجدول (1) يوضح ذلك.

جدول (1) يبين توزيع الطلبة مجتمع الدراسة بحسب المدارس والنوع

م	اسم المدرسة	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	المجموع
1	عطبرة الجديدة بنين	81	89	91	261
2	عطبرة الحكومية بنين	87	91	76	254
3	الانقاذ بنين	69	137	97	303
4	الخدمات بنين	76	96	87	259
5	الشهيد محمد أحمد البشير بنين	64	98	81	243
6	الفاضلات بنين	43	46	42	134

م	اسم المدرسة	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	المجموع
7	أم الطيور بنين	41	39	40	120
8	الصناعية بنين	178	196	166	540
9	التجارية بنين	29	33	31	93
10	النيل بنين	44	58	49	151
11	الشهيد خالد خضر بنات	69	146	81	296
12	الشيخ حمد بنات	92	103	77	272
13	عطبرة الجديدة بنات	66	157	91	314
14	المزاد شمال بنات	63	124	89	276
15	خليوى بنات	53	111	94	258
16	عطبرة الثانوية بنات	37	69	55	161
17	الروف محمد عبد الرحمن بنات	52	72	64	188
18	أم الطيور بنات	52	73	63	188
20	الفاضلاب بنات	31	57	46	134
21	النسوية بنات	32	39	37	108
22	التجارية بنات	62	81	65	208
المجموع الكلي		1347	1915	1525	4761

المصدر مكتب المرحلة الثانوية - محلية عطبرة (2017).

عينة الدراسة:

اختار الباحث (10) مدارس من المدارس الثانوية بمحلية عطبرة عشوائياً، موزعة على مناطق المحلية بواقع (5) مدراس للبنين و (5) مدارس للبنات وقد بلغ عدد الطلاب (1218) طالباً وطالبة من المدارس الثانوية وعدد الطالبات (1202) طالبة في المدارس الثانوية والجدول (2) يوضح ذلك.

جدول (2) يوضح توزيع الطلبة بحسب المدارس والنوع والصف.

م	اسم المدرسة	النوع	الصف		
			الأول	الثاني	الثالث
1	الشهيد محمد أحمد البشير	بنين	64	98	81
2	عطبرة الجديدة	بنين	81	89	91

م	اسم المدرسة	النوع	الصف		
3	النيل	بنين	44	58	49
4	الخدمات	بنين	76	96	87
5	الإنقاذ	بنين	69	137	97
6	عطبرة التجارية	بنات	66	157	91
7	الشهيد خالد خضر	بنات	69	146	81
8	المزاد شمال	بنات	63	124	89
9	التجارية	بنات	62	81	65
10	النسوية	بنات	32	39	37
الإجمالي			**627**	**1025**	**768**

عينة الطلبة:

اختيرت عينة عشوائية بسيطة من كل مدرسة (10) طلاب أو طالبات بواقع (10) طالب - طالبة من طلبة الصف الأول والثاني و (10) طالب - طالبة من طلبة الصف الثالث وتتراوح أعمارهم ما بين (14-17) سنة وقد بلغ عدد الطلاب (100) طالباً من المدارس الثانوية في العينة، وعدد الطالبات (100) طالبة من المدارس الثانوية وعدد طلاب وطالبات المساق العلمي (90) طالباً وطالبة بينما عدد طلاب وطالبات المساق الأدبي (110) طالباً وطالبة والجدول (3) يوضح ذلك.

جدول (3) يبين توزيع عينة الطلبة بحسب النوع والتخصص

النوع	العدد	التخصص	العدد
طلاب	100	علمي	90
طالبات	100	أدبي	110
المجموع الكلي	200		200

أدوات الدراسة:

مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات:

ولتحقيق أهداف الدراسة الحالية والإجابة عن اسئلتها واختبار صحة فروضها، قام الباحث بمراجعة الأدبيات السابقة والمتعلقة بتجهيز ومعالجة

المعلومات كما أطلع على المقاييس الخاصة بها، ومنها قام الباحث بتحديد مجالات مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وهي المجال العقلي، المجال الوجداني، والمجال الجسمي، ويهدف المقياس إلى قياس مستويات تجهيز ومعالجة المعلومات لدى طلاب المرحلة الثانوية، وكذلك التعرف على الفروق الفردية في درجات تجهيز ومعالجة المعلومات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة.

وصف المقياس :

ويحتوي المقياس في صورته الأولية على (46) عبارة موزعة على ثلاث مجالات هي: المجال العقلي، المجال الوجداني، المجال الجسمي.

طريقة الإجابة على فقرات المقياس :

توجد ثلاثة بدائل للمقياس يختار المفحوص واحدة منها على النحو التالي:

نعم: إذا كان مضمون العبارة ينطبق على المفحوص تماماً.

أحياناً: إذا كان مضمون العبارة ينطبق على المفحوص أحياناً وأحياناً لا ينطبق .

لا: إذا كان مضمون العبارة لا ينطبق على المفحوص كلية.

تقنين المقياس :

أولاً: صدق المقياس:

صدق المحكمين:

حيث قام الباحث بعرض المقياس في صورته الأولية على (5) من أساتذة التربية وعلم النفس (ملحق (5))، والتزم الباحث بجميع التعديلات والملاحظات على عبارات المقياس وأخرجه في صورته النهائية للتطبيق وبالتالي أصبح المقياس يتكون من (32) عبارة موزعة على مجالات المقياس.

صدق الاتساق الداخلي:

قام الباحث بحساب علاقة الارتباط بين كل فقرة من فقرات مجالات مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات والدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه، وذلك بتطبيق المقياس على عينة قوامها (20) طالباً وطالبة، وذلك لحساب صدق الاتساق الداخلي عن طريق معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية وذلك باستخدام برنامج الـ (spss).

برنامج الحزمة الإحصائية كما هو موضح في الجدول أدناه.

جدول (4) يوضح قيم معاملات الارتباط لعبارات مقياس تجهيز و معالجة المعلومات والدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه العبارة.

رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
1	0.570	12	0.791	23	0.609
2	0.721	13	0.819	24	0.613
3	0.459	14	0.773	25	0.711
4	0.521	15	0.612	26	0.861
5	0.633	16	0.498	27	0.499
6	0.781	17	0.471	28	0.541
7	0.851	18	0.703	29	0.633
8	0.669	19	0.805	30	0.718
9	0.713	20	0.817	31	0.829
10	0.809	21	0.903	32	0.736
11	0.711	22	0.675		

ويتضح من الجدول (4) أن قيم معاملات ارتباط العبارات بالدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه في المقياس دالة احصائياً عند مستوى دلالة (0.01) مما يشير إلى وجود إتساق بين العبارات والدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه في مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات.

وأيضاً من خلال المعالجة الإحصائية عن طريق برنامج (spss) استخرج الباحث معاملات الارتباط بين درجات كل مجال والدرجة الكلية لمقياس تجهيز ومعالجة المعلومات كما هو موضح في الجدول (5).

جدول (5) يبين معاملات الإرتباط بين درجات كل مجال والدرجة الكلية لمقياس تجهيز ومعالجة المعلومات بتجهيز المعلومات.

مجالات مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات	العقلي	الوجداني	الجسمي	الدرجة الكلية للمقياس
العقلي	0.971	0.679	0.731	0.861
الوجداني	0845	0.761	0.889	0.832
الجسمي	0691	0.885	0.798	0.829
الدرجة الكلية للقمياس	0831	0.813	0.895	0.921

يتضح من الجدول السابق أن جميع قيم معاملات الارتباط بين كل مجال من مجالات مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات والدرجة الكلية للمقياس دالة احصائياً عند مستوى (0.01) مما يؤكد أن المقياس صالح للتطبيق على عينة الدراسة.

ب- طريقة تصحيح المقياس:

يتكون المقياس من (32) عبارة لقياس مستويات تجهيز ومعالجة المعلومات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة موزعة على مجال المقياس المذكورة آنفاً، وعليه تكون مستويات تجهيز ومعالجة المعلومات لدى طلاب المرحلة الثانوية ككل كما يلي:

المستوى المنخفض لتجهيز ومعالجة المعلومات وتمثله الدرجات من (1-32) درجة.

المستوى المتوسط لتجهيز ومعالجة المعلومات وتمثله الدرجات من (33-64) درجة.

المستوى المرتفع لتجهيز ومعالجة المعلومات وتمثله الدرجات من (65-96) درجة.

ثبات مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات :

تم إيجاد معامل ثبات مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات باستخدام طريقة إعادة الاختبار، حيث طبق الباحث المقياس على عينة الدراسة

الاستطلاعية والبالغ عددها (20) طالباً وطالبة ثم اعيد الاختبار على نفس المجموعة بعد مضي اسبوعين وتم حساب معامل الارتباط بين التطبيقين وجاءت النتيجة كالآتي :

ر = 0.91.3

حيث (ر) هي معامل ثبات المقياس ودالة عند مستوى دلالة (0.01) مما يدل على أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الثبات.

ثانياً: مقياس القدرة على حل المشكلات :

قام الباحث بإعداد مقياس القدرة على حل المشكلات لطلاب المرحلة في ضوء الاطلاع على الإطار النظري والدراسات السابقة المتعلقة بالقدرة على حل المشكلات وعدد من المقاييس في ذات المجال والتي تقيس القدرة على حل المشكلات، حيث يهدف المقياس إلى قياس القدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية وصولاً إلى تحديد مجالات المقياس الرئيسية، وكذلك التعرف على الفروق في درجات القدرة على حل المشكلات بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة.

وصف المقياس :

معالجة المقياس : يحتوي مقياس القدرة على حل المشكلات على ثلاثة أبعاد هي:-

المجال العقلي، المجال الوجداني، والمجال الاجتماعي.

طريقة الإجابة على فقرات المقياس:

توجد ثلاثة بدائل للمقياس يختار المفحوص واحدة منها على النحو التالي:

نعم: إذا كانت العبارة تنطبيق على المفحوص تماماً.

أحياناً : إذا كان مضمون العبارة ينطبق على المفحوص أحياناً وأحياناً أخرى لا ينطبق.

لا: إذا كان مضمون العبارة لا ينطبق على المفحوص كلية.

تقنين المقياس:

أولاً: صدق المقياس:

صدق المحكمين:

قام الباحث بعرض المقياس في صورته الأولية على (5) من المحكمين المتخصصين في مجال التربية وعلم النفس (ملحق (5)) لتحديد مدى صلاحية ومناسبة العبارات لكل مجال، حيث يتكون المقياس من ثلاث مجالات، وتم إجراء التعديلات المقترحة من قبل المحكمين من حذف وإضافة وتعديل وإعادة صياغة، وبعض العبارات تراوحت نسبة الاتفاق بين المحكمين على مدى صلاحية العبارات وانتمائها للمجال بين (80-100%) والتالي أصبح المقياس مكون من (52) عبارة موزعة على مجالات المقياس.

صدق الاتساق الداخلي:

قام الباحث بتطبيق المقياس على عينة الدراسة الاستطلاعية والبالغ عددها (20) طالباً وطالبة، وذلك لحساب صدق الاتساق الداخلي عن طريق معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية للمقياس وذلك باستخدام الحزم الإحصائية (spss) و الجدول (6) يوضح ذلك.

جدول (6) يوضح قيم معاملات الإرتباط لعبارات مقياس القدرة على حل المشكلات والدرجة الكلية للمقياس.

رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
1	0.761	19	0.693	37	0.721
2	0.809	20	0.841	38	0.689
3	0.689	21	0.679	39	0.717
4	0.711	22	0.591	40	0.681
5	0.719	23	0.790	41	0.918

6	0.839	24	0.879	42	0.923
7	0.814	25	0.798	43	0.816
8	0.871	26	0.695	44	0.831
9	0.911	27	0.871	45	0.765
10	0.750	28	0.745	46	0.645
11	0.891	29	0.871	47	0.579
12	0547	30	0.697	48	0.661
13	0.661	31	0.715	49	0.871
14	0.579	32	0.733	50	0.981
15	0.671	33	0.680	51	0.751
16	0.871	34	0.751	52	0.548
17	0.699	35	0.913		
18	0.776	36	0.837		

يتضح من الجدول (6) أن قيم معاملات ارتباط العبارات بالدرجة الكلية للمقياس دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0.01) مما يشير إلى وجود اتساق بين العبارات والدرجة الكلية للمقياس.

طرق تصحيح المقياس:

يتكون المقياس في صورته النهائية من (52) عبارة لقياس القدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة موزعة على مجالات المقياس المذكورة آنفاً، وعليه تكون مستويات القدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية ككل كما يلي:

المستوى المنخفض للقدرة على حل المشكلات وتمثله الدرجات من (1 - 52).

المستوى المتوسط للقدرة على حل المشكلات وتمثله الدرجات من (53 - 104).

المستوى المرتفع للقدرة على حل المشكلات وتمثله الدرجات من (105 - 156).

ثبات المقياس:

تم إيجاد معامل ثبات مقياس القدرة على حل المشكلات باستخدام طريقة إعادة ا لاختبار حيث طبق الباحث على عينة الدراسة الاستطلاعية والبالغ عددها (20) طالباً و طالبة، ثم أعيد الاختبار على نفس المجموعة بعد مضي اسبوعين وتم حساب معامل الارتباط بين التطبيقين وجاءت ا لنتيجة كالآتي:

ر = 0.897

حيث (ر) هي معامل ثبات المقياس ودالة عند مستوى دلالة (0.01) مما يدل على أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الثبات.

الاساليب الإحصائية المستخدمة :

استخدم الباحث الاساليب الإحصائية التالية :

المتوسطات الحسابية.

الإنحرافات المعيارية.

أختبار (ت)

معامل ارتباط بيرسون.

عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها:

وفي ضوء مشكلة الدراسة وأهدافها والإطار النظري والدراسات ا لسابقة التي تم تناولها والفروض القائمة عليها والاساليب الإحصائية التي تم استخدامها يتم تناول نتائج ا لدراسة الحالية و عرضها ومناقشتها وتفسيرها وفق نتيجة كل فرض كالتالي:

اختبار صحة الفرض الأول :

ولاختبار صحة الفرض الأول والذي ينص على أنه:

(توجد علاقة ارتباطيه موجبة ذات دلالة إحصائية بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة).

وللتحقق من صحة هذا الفرض قام الباحث بحساب معامل الارتباط لمعرفة طبيعة العلاقة بين المتغيرين والجدول (7) يوضح ذلك.

جدول (7) يوضح طبيعة العلاقة الارتباطية بين تجهيز و معالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة

معامل الارتباط المغيرات	معامل الارتباط	قيمة (ر) المجدولة	مستوى الدلالة
تجهيز ومعالجة المعلومات	0.78	0.23	0.01
القدرة على حل المشكلات			

يتضح لنا من الجدول (7) أن قيمة معامل الإرتباط (ر) بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات (0.78) أكبر من قيمة (ر) المجدولة (0.23) عند مستوى الدلالة (0.01)، فهي دالة إحصائيا، وهذا يدل على أنه توجد علاقة ارتباطية بين كل من تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة، وهذه النتيجة تؤكد صحة الفرض، والذي ينص على أنه : (توجد علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين تجهيز ومعالجة المعلومات وا لقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عبطرة.

وهذه النتيجة تتفق مع بعض الدراسات منها دراسة مختار أحمد كمال (2003م)، ودراسة (James، J، & Ismail K. Bin. (20011) ودراسة فؤاد طه أبو طلافحة (2013م).

ويرى الباحث أن هذه النتيجة منطقية لأن الطالب إذا اصبحت لديه القدرة على تجهيز ومعالجة المعلومات بالصورة العلمية الصحيحة فإن ذلك يوفر لديه التراكم المستمر للمعلومات والمعرفة، مما يبعث في الطالب معرفة المزيد من الأشياء والموضوعات التي يهتم بها. وبذلك يرتقي الجانب العقلي لدى المتعلم مما يدفعه إلى محاولة ترسيخ أهم أسس التعلم الذاتي

أو التعلم مدى الحياة. (محمد عبد السميع، 2004م، 91)

إضافة إلى أن تجهيز المعلومات تعمل على تخفيف العبء على أنواع الذاكرة المختلفة عن طريق المعلومات التي يحصل عليها الطالب ذات المعنى المتشابه لأن ترابطها يصبح أسهل وتحصيلها كذلك يكون ايسر، كل ذلك يؤدي إلى حاجة الطلاب في جميع مراحلهم التعليمية لمعرفة طرق تجهيز المعلومات واتقانها لأن ذلك يعينهم على الإبداع في المرحلة الجامعية.

(عادل العدل، 2000م، ص: 263)

ويفسر الباحث هذه النتيجة أي العلاقة الدالة الموجبة بين تجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات إلى أنه كلما كانت مشاعر الفرد الداخلية متزنة ومتماسكة، وكذلك العلاقات الاجتماعية والأسرية مترابطة فإن ذلك يؤدي إلى الارتقاء العقلي في تنظيم وتجهيز ومعالجة المعلومات في الذاكرة بكل سهولة ومن ثم انتقالها واسترجاعها لكي تستخدم من جديد في حل المشكلات التي تواجه الطلاب، إضافة إلى أن راحة النفس والبعد عن المشكلات والثبات الأنفعالي يخفف الضغط الناشئ من تراكم المعلومات وتزاحمها دون الاستفادة منها.

مناقشة وتفسير ننتيجة الفرض الثاني:

لاختبار صحة الفرض الثاني والذي ينص على أنه:

(توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات).

وللتحقق من صحة هذا الفرض تم حساب المتوسط المحاسبي والإنحراف المعياري وقيم (ت) المحسوبة والمجدولة والجدول (8) يوضح ذلك.

جدول (8) يوضح الفروق بين مجموعتي الطلبة (طلاب – طالبات) على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات.

المؤشرات الإحصائية المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	قيمة (ت) المحسوبة	قيمة (ت) المجدولة	مستوى الدلالة
الطلاب	100	71.3	10.48	291	223	0.01
الطالبات	100	74.1	9.79			

يتضح لنا من خلال الجدول (8) أن قيمة (ت) المحسوبة قدرت بـ (291) وهي أكبر من قيمة (ت) المجدولة والتي قدرت بـ (223) عند مستوى دلالة (0.01) وبالتالي تؤكد النتيجة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب وطالبات المرحلة الثانية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وهذه النتيجة تؤكد صحة الفرض الثاني والذي ينص على أنه (توجد فورق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات) ولصالح الطالبات.

وهذه النتيجة تتفق مع دراسة مختار أحمد كمال (2003م)، كما اتفقت مع دراسة مصعب محمد شعبان (2008م).

ويفسر الباحث هذه النتيجة أن تجهيز ومعالجة المعلومات يفترض وجود قدرة من النشاط العقلي في ذكاء الفرد كي يتعامل مع البيئة الفيزيقية المادية والاجتماعية على حد سواء، فالذكاء لا يعتمد على التركيب العصبي الذي يمكن من إجراء بعض العمليات العقلية ولكنها تعتمد أيضاً على وجود الدافع والرغبة في أدائها مما أتاح للطالبات فرصة حبهم للاستطلاع والإكتشاف والإطلاع والذي ساهم في التأثير على النمو العقلي لديهن، مما أدى إلى رفع مستواهن في القدرات العقلية وهو ما ساعدهن في استخدام الطاقة المعرفية والنشاط العقلي لديهن في اتباع استراتيجية معينة في تجهيز ومعالجة المعلومات وتنظيم وتسلسل العمليات المعرفية من انتباه مركز وإدراك للمواقف المثيرة للاهتمام والتي حفزتهم أكثر نحو التعلم و التطلع لبلوغ مستويات اكاديمية تكفل لهن القدر الكافي فيما بعد

مـن لعـب الأدوار الإجتماعيـة وتقلـد المناصـب تبعـاً لمـا يسـتطيعونه فعـلاً.

مناقشة وتفسير نتيجة الفرض الثالث:

لاختبار صحة الفرض الثالث والذي ينص على أنه:

(توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بيـن طـلاب المرحلـة الثانويـة بمحليـة عطبـرة علـى مقيـاس تجهيـز ومعالجـة المعلومـات وفقـاً لمتغيـر التخصـص (علمـي - أدبـي).

وللتحقـق مـن هـذا الفـرض تـم حسـاب المتوسـط الحسـابي والإنحـراف المعيـاري وقيـم (ت) المحسـوبة والمجدولـة والجـدول (9) يوضـح ذلـك.

المؤشرات الإحصائية المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	قيمة (ت) المحسوبة	قيمة (ت) المجدولة	مستوى الدلالة
طـلاب وطالبـات التخصـص العلمـي	90	67.6	11.3	289	211	0.01
طـلاب وطالبـات التخصـص الأدبـي	110	64.3	10.1			

يتضـح لنـا مـن خـلال الجـدول (9) أن قيمـة (ت) المحسـوبة قـدرت بـ (289) وهـي أكبـر مـن قيمـة (ت) المجدولـة والتـي قـدرت (211) عنـد مسـتوى دلالـة (0.01)، بالتالـي تؤكـد هـذه النتيجـة وجـود فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بيـن طـلاب وطالبـات التخصـص العلمـي وطـلاب وطالبـات التخصـص الأدبـي فـي المرحلـة الثانويـة بمحليـة عطبـرة علـى مقيـاس تجهيـز ومعالجـة المعلومـات وهـذه النتيجـة تؤكـد صحـة الفـرض الثالـث والـذي ينـص علـى أنـه : (توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بيـن طـلاب المرحلـة الثانويـة محليـة عطبـرة علـى مقيـاس تجهيـز المعلومـات وفقـاً لمتغيـر التخصـص (علمـي – أدبـي) لصالـح طـلاب المسـاق العلمـي وهـذه النتيجـة اتفقـت مـع عـدد مـن الدراسـات منهـا دراسـة عبـد الله الصافـي (2000م)، ودراسـة مختـار أحمـد كمـال (2003م).

ويفسـر الباحـث هـذه النتيجـة بـأن المميـزات التـي يتمتـع بهـا طـلاب وطالبات

المساق العلمي تفوق بكثير ما يتمتع به طلاب وطالبات المساق الأدبي وفي الغالب أن طلاب وطالبات المساق العلمي تهيأ لهم الظروف المناسبة في المنزل كالهدوء والراحة لتكون لهم عون على الارتقاء العقلي والقدرة على تجهيز المعلومات والتذكر الجيد وما يميزهم أيضاً النشاط المعرفي القائم على مجموعة من العمليات المعرفية كالإنتباه والإدراك والتذكر والتفكير. هذا بجانب دور المدارس في رعاية طلاب وطالبات المساق العلمي والاهتمام بهم مما يمنحهم حافزاً قوياً للنشاط المعرفي.

مناقشة وتفسير نتيجة الفرض الرابع:

لاختبار صحة الفرض الرابع والذي ينص على أنه: (توجد فروق ذات دلالة احصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات) قام الباحث بحساب المتوسط الحسابي والإنحراف المعياري وقيم (ت) المحسوبة والمجدولة والجدور (10) يوضح ذلك.

جدول (10) يوضح الفروق بين مجموعتي الطلاب (طلاب – طالبات) على مقياس القدرة على حل المشكلات.

المؤشرات الإحصائية المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	قيمة (ت) المحسوبة	قيمة (ت) المجدولة	مستوى الدلالة
الطلاب	100	65.7	9.61	271	209	0.01
الطالبات	100	72.3	10.39			

يتضح لنا من خلال الجدول (10) أن قيمة (ت) المحسوبة قدرت بـ (271) وهي أكبر من قيمة (ت) المجدولة والتي قدرت بـ (209) عند مستوى الدلالة (0.01) وبالتالي تؤكد هذه النيجة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وهذه النتيجة تؤكد صحة الفرض الرابع.

والـذي ينـص علـى أنـه: (توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بيـن طـلاب المرحلـة الثانيـة بمحليـة عطبـرة علـى مقيـاس القـدرة علـى حـل المشـكلات وفقـاً لمتغيـر الجنـس (طـلاب – طالبـات) لصالـح الطالبـات. وهـذه النتيجـة تتفـق مـع دراسـة صالحـة سـعد ومحمـد أحمـد (2010م) بينمـا تختلـف مـع دراسـة فـؤاد طـه أبـو طلافحـه (2013م).

ويفسـر الباحـث هـذه النتيجـة أن الطالبـات أكثـر صفـاءاً للذهـن مـن الطـلاب، وذلـك لأن الطـلاب ينشـغلون فـي أعمـال أخـرى خاصـة فـي مرحلـة المراهقـة أكثـر مـن الطالبـات، حيـث يلجـأون إلـى اللعـب والرياضـة والذهـاب إلـى شـواطئ النيـل بعكـس الطالبـات واللائـي يمكثـن فتـرات طويلـة فـي البيـت وذلك لعـادات وتقاليـد المجتمـع فـي الحفـاظ علـى الفتيـات، وهـذا يسـاعد الطالبـات علـى القـراءة لفتـرة أطـول والتركيـز بشـكل افضـل مـن الطـلاب، بالإضافـة إلـى الهـدوء الـذي تتميـز بـه قاعـات الـدرس لـدى الطالبـات عـن الطـلاب ممـا يتيـح للمعلـم أو المعلمـة فرصـة أكبـر للشـرح والتوضيـح وتوصيـل المعلومـة لهـن بسـهولة ويسـر.

مناقشة وتفسير نتيجة الفرض الخامس:

لاختبـار صحـة الفـرض الخامـس والـذي ينـص علـى أنـه : (توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بيـن طـلاب المرحلـة الثانويـة بمحليـة عطبـرة علـى مقيـاس القـدرة علـى حـل المشـكلات وفقـاً لمتغيـر التخصـص (علمـي - أدبـي) قـام الباحـث بحسـاب المتوسـط الحسـابي والإنحـراف المعيـاري وقيـم (ت) المسـحوبة والمجدولـة، والجـدول (11) يوضـح ذلـك.

جدول (11) يوضح الفروق بين مجموعتي الطلاب (علمي - أدبي) على مقياس القدرة على حل المشكلات.

المؤشرات الإحصائية المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	قيمة (ت) المحسوبة	قيمة (ت) المجدولة	مستوى الدلالة
طلاب وطالبات التخصص العلمي	90	74.7	11.2	251	219	0.01
طلاب وطالبات التخصص الأدبي	110	68.9	9.87			

يتضح لنا من خلال الجدول (11) أن قيمة (ت) المحسوبة قدرت بـ (251) وهي أكبر من قيمة (ت) المجدولة والتي تقدر بـ (219) عند مستوى الدلالة (0.01)، وبالتالي تؤكد هذه النتيجة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب وطالبات التخصص العلمي وطلاب وطالبات التخصص الأدبي في المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات، وهذه النتيجة تؤكد صحة الفرض الخامس والذي ينص على أنه : (توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير التخصص (علمي - أدبي) لصالح طلاب وطالبات التخصص العمي.

وهذه النتيجة اتفقت مع دراسة فؤاد طه أبو طلافحة (2013م) بينما أختلفت مع دراسة صالحة سعد ومحمد أحمد.

ويرى الباحث أن هذه النتيجة تعتبر منطقية ويفسرها بأن طلاب وطالبات المساق العلمي يتمتعون بقدرة عالية على حل المشكلات وذلك لوجود دافعية عليا لديهم تدفعهم إلي اتباع الطرق العلمية السليمة في حل المشكلات، هذا بالإضافة إلى أن لديهم قدرة عالية في تجهيز المعلومات وكذلك يتمتعون بثقة قوية في أنفسهم مما يعينهم على حل المشكلات كما أنهم يمتلكون كفاءة عالية في تفكيرهم العام و الخاص، كما أنهم يستطيعون التصرف في المواقف المعقدة والتي تحتاج إلى اتخاذ قرارات

صعبة بعكس طلاب وطالبات المساق الأدبي والذي تساورهم الشكوك في قدرتهم على حل المشكلات بالصورة العلمية.

خلاصة نتائج الدراسة والتوصيات والمقترحات:

أولاً: خلاصة نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة الحالية إلى مجموعة من النتائج الهامة والتي قام الباحث بتفسيرها تفسيراً علمياً، وكانت أهم النتائج كالتالي:

وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة احصائية بين تجيهز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة.

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات) ولصالح الطالبات.

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس تجهيز ومعالجة المعلومات وفقاً لمتغير التخصص (علمي - أدبي) لصالح طلاب وطالبات المساق العلمي.

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقاً لمتغير الجنس (طلاب - طالبات) لصالح الطالبات.

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب المرحلة الثانوية بمحلية عطبرة على مقياس القدرة على حل المشكلات وفقا لمتغير التخصص (علمي - ادبي) لصالح طلاب وطالبات التخصص العلمي.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة ومناقشتها وتفسيرها يوصي الباحث بما يلي :

توفير المناخ الملائم لتجهيز ومعالجة المعلومات الذي يساهم في تطوير طلاب المرحلة الثانوية ويحسن من أدائهم العلمي والتفكير المنطقي لديهم

لأنه كلما كانت البيئة هادئة تساهم في إيجاد طرق جديدة لحل مشكلات معقدة ومتنوعة.

تقديم البرامج المدعمة للتفكير العلمي واستغلال طاقات الطلاب والطالبات وتوظيفها في علاج مشاكلهم التي تواجههم أثناء دراستهم من أجل أخراج جيل قادر على مواجهة الصعاب.

إقامة دورات تربوية متنوعة حول كيفية التعامل مع المشكلات التي تواجه الطلاب في هذه الحياة وآلية التعامل معها من أجل التخلص منها والعمل على حلها.

تعميق التواصل الاجتماعي بين المؤسسات التربوية والمدارس وأولياء الأمور من أجل التعرف على متطلبات الحياة المتجددة والمساهمة في تقليص المشاكل التي تواجه الطلاب أثناء الدراسة.

ابتكار طرق جديدة تساهم في تطوير التفكير العلمي والإبداعي لدى الطلاب والطالبات تمكنهم من القدرة على حل المشكلات.

ثالثاً: المقترحات: يقترح الباحث ما يلي:

إجراء مزيد من الدراسات والبحوث المتعلقة بتجهيز ومعالجة المعلومات والقدرة على حل المشكلات في محليات الولاية الأخرى.

إجراء دراسات مماثلة في جامعات ولاية نهر النيل.

أجراء دراسات مماثلة في ولايات أخرى.

أهم المراجع:

أروى محمد الخيري (2012م)، علم النفس المعرفي، ط 1، دمشق، دار الفكر للدراسات والنشر.

أنور محمد الشرقاوي وسليمان الخضري الشيخ (2002م)، اختبار الأشكال المتضمنة (الصورة الجمعية)، ط5، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

أنور الشرقاوي (1995م)، علم النفس المعرفي المعاصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

إيناس فهمي النقيب (2008م)، الاستراتيجيات المعرفية للتنظيم الذاتي للتعلم وعلاقتها بالقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة كلية التربية ببورسعيد، مصر، مجلد

(2)، عدد (4).
أيمن عامر (2003)، الحل الإبداعي للمشكلات بين الوعي والأسلوب، ط1، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتب.
حسن محمد أبو رياش (2007)، التعلم المعرفي، عمان، دار الميسرة للنشر والتوزيع.
حمدي علي الفرماوي (2009م)، الأساليب المعرفية بين النظرية والتطبيق، عمان، دار صفاء للنشر والطباعة.
رافع النصير زغلول وعماد عبد الرحيم زغلول (2003م)، علم النفس المعرفي، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع.
سليمان عبد الواحد إبراهيم (2011م)، المرجع في علم النفس المعرفي، العقل البشري وتجهيز ومعالجة المعلومات، ط1، القاهرة، دار المكتبات الحديث.
شاهين رسلان (2010)، العمليات المعرفية للعاديين وغير العاديين، ط 1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
صالحة سعد ومحمد أحمد (2010)، مركز الضبط والقدرة على حل المشكلات والعلاقة بينهما في ضوء بعض المتغيرات لدى بعض طلبة المدارس الثانوية في قرية أبو سنان،عمان، رسالة ماجستير منشورة، جامعة عمان، كلية الدراسات النفسية والتربوية العليا، الأردن.
عادل محمد العدل (2002م)، تحليل المسار للعلاقة بين مكونات القدرة على حل المشكلات الاجتماعية وكل من فعالية الذات والإتجاه نحو المخاطرة، مجلة كلية التربية، التربية وعلم النفس، العدد الخامس والعشرون، الجزء الأول.
عادل محمد العدل (2000م)، أثر الأسلوب المعرفي واستراتيجية التربية وعلم النفس، العدد الرابع والعشرون، الجزء الثاني، القاهرة.
عبد المنعم أحمد االدردير وجابر محمد عبد الله (2005م)، علم النفس المعرفي قراءات وتطبيقات معاصرة، القاهرة، عالم الكتب.
عبد الله بن فهد المزيرعي (2010)، أثر الاسلوب المعرفي الاعتماد - الاستقلال عن المجال الإدراكي في كل من أنماط التفكير في حل المشكلات والتحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة الثانوية وطالباتها بالمملكة العربية السعودية، المجلة التربوية – الكويت، مجلد (25) عدد (97).
عبد الله بن طه الصافي (2000)، الفروق في استراتيجيات معالجة المعلومات في ضوء متغيري التخصص والتحصيل الدراسي على عينة من طلاب الجامعة، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل – العلوم الإنسانية والإدارية، مجلد (1)، عدد (1).
عمراني زهير (2009م)، تناول معرفي لعسر الحساب وفق نموذج تجهيز ومعالجة المعلومات

في الذاكرة العاملة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر.
عواطف أحمد زمزمي (2011م)، الذكاء الوجداني وعلاقته بالقدرة على حل المشكلات الاجتماعية لدى طالبات المرحلة الجامعية، في مكة المكرمة، مجلة كلية التربية بالفيوم – مصر، عدد (11).
فتحي الزيات (2006)، الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات، ط2، القاهرة، دار النشر للجامعات.
فخري عبد الهادي (2010م)، علم النفس المعرفي، ط1، الأردن، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع.
الفرحاني السيد محمود وأحلام الباز حسن (2008)، التكوين العقلي المعرفي للمتعلم (المعايير وتحقيق الجودة)، الاسكندرية، الدار الجامعية الجديدة للنشر والتوزيع.
فوقية عبد الفتاح (2005م) علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق، ط1، القاهرة، دار ا لفكر العربي.
فؤاد أبو طلافحة، (2013م) أثر الذكاء العاطفي والقدرة على حل المشكلات في التحصيل الأكاديمي لدى طلبة السنة الجامعية الأولى في جامعة مؤتة، مجلة العلوم التربوية والنفسية، البحرين، مجلد 14، عدد 4.
محمد أحمد شلبي (2001)، مقدمة في علم النفس المعرفي، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر.
محمد عبد السميع رزق (2004م)، فعالية برنامج لاستراتيجيات تجهيز المعلومات في تعديل الإتجاه نحو المواد التربوية وزيادة مهارات الاستذكار والإنجاز الأكاديمي في ضوء السعة العقلية، مجلة كلية التربية بالمنصورة، العدد السادس والخمسون، ص ص 91-127.
محمود كاظم التميمي (2012)، علم النفس المعرفي، الأردن، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع.
مسعد نجاح أبو الديار (2015م)، الذاكرة العاملة وصعوبات التعلم، ط1، الكويت، مركز تقويم وتعليم الطفل.
مختار أحمد كمال (2003)، البنية النفسية للذكاء الموضوعي والذكاء الاجتماعي والذكاء الشخصي وعلاقته بمستويات تجهيز المعلومات في ضوء الجنس والتخصص الأكاديمي، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد (27).
مصعب محمد علوان (2008م)، تجهيز المعلومات وعلاقتها بالقدرة على حل المشكلات لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
هشام محمد الخولي (2008م)، الأساليب المعرفية وضوابطها في علم النفس، القاهرة، دار

الكتـاب الحديـث.
وليـد السـيد احمـد خليفـة (2005م)، فاعليـة برنامـج اسـتخدام الكمبيوتـر لتجهيـز المعلومـات فـي تحسـين عمليتـي الجمـع والطـرح لـدى الأطفـال المتخلفيـن عقليـاً (القابليـن للتعلـم)، رسـالة دكتـوراه (غيـر منشـورة)، كليـة التربيـة، جامعـة الزقازيـق.
وليـد رفيـق العباصـرة (2013م) مهـارات التفكيـر الإبداعـي وحـل المشـكلات، طـ1، عمـان، دار أسـامة للنشـر والتوزيـع.
James، J، & Watters L. d (2005) Children's application of simuhaneous and successive processing in inductive and deductive reasoning problems implications for developing scientific reasoning skills، Journal of Researching < (Science Teaching 32 (7
Keat، O. & Hj. Ismail، K، Bin. (2011)، The relationship between cognitive (processing and reading Asin Social Science، 7 (10

فاعلية العلاج باللعب في خفض حدة الاضطرابات السلوكية لدى أطفال التوحد

The Effectiveness of Games as a Treatment in Reducing the Severity of Behavioral Disorders of Autistic Children

(دراسة تجريبية بمراكز التوحد)



إعداد:

د. إقبال عبد الرحمن حسن الشاذلي

د. محمد حسين عبد الباسط ترجوم

مستخلص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى معرفة مدى تأثير برنامج علاجي باللعب في خفض حدة الاضطرابات السلوكية لدى أطفال التوحد بدولة الإمارات العربية المتحد، ولتحقيق هذا الهدف تم إعداد برنامج قائم على استخدام أسلوب اللعب في علاج الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين، كما استخدم الباحثان مقياس للاضطرابات السلوكية يتضمن عدة أبعاد مثل: نوبات الغضب، السلوكي العدواني، العجز عن التواصل مع الآخرين، النشاط المفرط، تشتت الانتباه، ويتم ملأ هذا المقياس بواسطة معلمات مراكز التوحد المستهدفة بالدراسة، وقد اتبع الباحثان المنهج التجريبي الحقيقي، حيث يمثل البرنامج العلاجي باللعب المتغير المستقل، بينما تمثل الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين المتغيرات التابعة. تم اختيار عينة الدراسة من مركز الخليج للتوحد، حيث بلغ حجمها (20) طفلاً توحدياً تراوحت أعمارهم بين (9-13) سنة، تم تقسيمهم بالطريقة القصدية إلى مجموعتين، مجموعة تجريبية شملت (10) أطفال، ومجموعة ضابطة واشتملت على (10) أطفال توحديين، ولإجراء الدراسة الاستطلاعية استخدم الباحثان (11) طفلاً توحدياً تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة.

وبعد تطبيق أدوات البحث المتمثلة في المقياس القبلي للاضطرابات السلوكية لدى أطفال التوحد بواسطة المعلمات، تم تطبيق جلسات (البرنامج العلاجي باللعب، ومن ثم تطبيق القياس البعدي لمقياس الاضطرابات السلوكية)، ثم تحليل البيانات باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم السلوكية (S.P.S.S) حيث خلصت الدراسة إلى النتائج التالية: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي لكل أبعاد مقياس الاضطرابات السلوكية لصالح القياس البعدي، الشيء الذي يؤكد فاعلية البرنامج العلاجي باللعب في خفض حدة الاضطرابات السلوكية لدى أطفال التوحد، كما تأكدت هذه الفاعلية

مـرة أخـرى عنـد مقارنـة التغيـر الـذي حـدث للمجموعـة الضابطـة بالتغيـر الـذي حـدث للمجموعـة التجريبيـة بعـد تطبيـق برنامـج العـلاج باللعـب، حيـث كانـت درجـات الفـروق بينهمـا دالـة إحصائيـاً ولصالـح المجموعـة التجريبيـة، أيضـاً تأكـدت فاعليـة البرنامـج العلاجـي باللعـب مـن خـلال النتيجـة التـي قارنت دلالـة الفـروق الإحصائيـة بيـن التطبيـق القبلـي (1) والبعـدي (2) وهـو بعـد فتـرة المتابعـة، حيـث أوضحـت النتيجـة أن هنالـك فـروق دالـة إحصائيـاً بيـن القياسـين لصالـح القيـاس البعـدي (2) وهـو مـا يؤكـد علـى فاعليـة البرنامـج العلاجـي السـلوكي باللعـب علـى الأطفـال التوحدييـن فـي خفـض حـدة الاضطرابـات السـلوكية لديهـم وتنميـة الجوانـب السـلوكية الإيجابيـة.

Abstract:

The study aimed at identifying the extent of the effectiveness of a game-based treatment program in reducing the severity of behavioral disorders of autistic children in United Arab Emirates (UAE).

In order to achieve this objective, a game-based treatment program in reducing the severity of behavior disorders of autistic children was prepared. The two researchers also used the behavioral disorders scale which consists of numerous dimensions such as: aggressive behavioral fits of anger, disability in communicating with others, hyperactivity and attention dispersion. The scale was filled by the targeted autism center teachers. The researchers followed the experimental method in which the game-based treatment program represented the independent variable, whereas, the behavioral disorders of the autistic children represented the control group. The study sample was selected from Al-Khaleej Center for Autism, amounting to (20) autistic children whose ages ranged between (913-) years divided via deliberate sampling technique into two groups-experimental consisting of (10) children and control consisting of (10) children.

To perform the study, the researchers selected (11) autistic children via simple random sampling.

After the application of the study tools represented by the pre-test of behavioral disorders of autistic children, sessions of the game-based treatment program were applied followed by the post-test scale of the behavioral disorders. SPSS was used for the analysis and the study achieved the following results:

There are statistically significant differences between the means of the scores of the experimental group in both the pretest and posttest for all the dimensions of the disorders scale positive for the posttest scale which confirmed the effectiveness of the game-based treatment program in reducing the severity of behavior disorders of autistic children. The effectiveness was reconfirmed by comparing the change undergone by the control group with the change undergone by the experimental group after the application of the game-based treatment program in which the differences in scores were statistically significant and positive for the experimental group. The effectiveness of the program was also verified by the results which compared the significance of the differences between the pretest (1) and posttest (2) after the monitoring period. The result clarified the statistically significant differences between the two scales positive for the effectiveness of the game-based treatment program in reducing the severity of behavior disorders of autistic children and developing the positive behavioral aspects.

الإطار العام للدراسة:

تمهيد:

لا شك أننا نعيش في عصرنا الحالي تطوراً ملحوظاً، ونمواً سريعاً في كل مناحي الحياة، ولاشك أن هذا التطور السريع حمل معه بشكل أو بآخر اضطرابات وأمراض قد تكون ضريبة عصر نعيشه.

وعلى رأس تلك الأمراض والاضطرابات التي بات البحث فيها ودراستها أمراً ملحاً هو اضطراب التوحد؛ وذلك لأنه يتسم بالإبهام والغموض الذي يتعلق بأسبابه الرئيسة، ولقد بذلت الدول كثيراً من الجهود المادية والمعنوية

بغية الوصول للسبب الحقيقي واليقيني للإصابة بمثل هذا المرض.

وبالنظر لمصطلح التوحد نجده قد بدأ في الظهور في بداية الأمر لدى علماء النفس والأطباء النفسيين، وربما يعود أول استخدام لذلك المصطلح للعام 1911 على يد الطبيب النفسي السويسري (إيجن بلولر)، والذي استخدمه في معرض وصفه للأشخاص المنعزلين عن العالم الخارجي، وكذلك المنسحبين عن التفاعل والحياة الاجتماعية بشكل عام.

وعلى الرغم من أن ظاهرة التوحد والاهتمام بها قد بدأت من فترة ليست بالقليلة، إلا أن أسباب ذلك المرض ما زال يكتنفها الغموض الشديد حتى يومنا هذا فيما عدا بعض الفرضيات والاحتمالات والتي في الغالب لا تصمد مع بقاء المرض وعدم التعافي منه بشكل تام، وذلك بسبب حدة التشابه في المصاب الوحد أو مع مصابين آخرين، وبما أن الأمر ليس من السهولة بمكان، فإنه من الضروري أن تتم عملية تشخيص المرض بمنتهى الدقة من خلال الطبيب النفسي والأخصائي النفسي، وأخصائي الأطفال واختصاصي في الاختبارات واختصاصي في السمعيات والتخاطب، لأن الأمر يتعلق بجوانب نفسية واجتماعية وعقلية تكاد تكون متداخلة ومرتبطة بشكل كبير؛ لذا فإن التشخيص السليم هو أول خطوة في وضع برنامج العلاج الملائم للتعامل مع المرضى المصابين بالتوحد (مصطفى نوري، 2011).

مشكلة الدراسة:

من خلال الرجوع لعدد من الدراسات السابقة وجد أن العلاج بواسطة اللعب أحد الأسباب العلاجية لطفل التوحد المناسبة والمحببة، وذلك لتطوير إمكانياته وقدراته ومن نتائج هذه الدراسات:

أن اللعب ساعد على زيادة مهارات الاتصال لدى الطفل التوحدي وذلك من خلال استخدام اللعب التمثيلي.

اللعب لدى الأطفال التوحديين يساعدهم على زيادة مستوى الوظائف

للانتباه لديهم بشكل إيجابي وفعال.
اللعب ساعد على زيادة النشاط الاجتماعي لدى الطفل التوحدي مع حدوث نقص واضح في سلوك إيذاء الذات لديهم.
الهدف من العلاج باللعب هو أن يوجه السلوك بغض النظر عن مسبباته الوراثية أو الاجتماعية إلى وجهات مقبولة ومرغوبة تحقق للفرد ولمن حوله بعض السعادة (نادية أبو السعود، 2012: 4).
وتتحدد مشكلة الدراسة الحالية في محاولة التعرف على مدى تأثير برنامج علاجي باللعب في خفض بعض الاضطرابات السلوكية لدى الطفل التوحدي. عليه تتلخص مشكلة الدراسة الحالية في التساؤل الرئيسي التالي:
ما مدى فاعلية برنامج العلاج باللعب في خفض حدة الاضطرابات السلوكية لدى أطفال التوحد؟
ويمكن التأكد من الإجابة على هذا التساؤل من خلال اختبار التساؤلات التالية:
هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة الضابطة والتجريبية بعد تطبيق البرنامج لصالح المجموعة التجريبية؟
هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة الضابطة قبل وبعد تطبيق البرنامج؟
هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج وبعد تطبيقه لصالح القياس البعدي من حيث تخفيف حدة الاضطرابات السلوكية؟
هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (1) ودرجاتهم في التطبيق التالي لفترة المتابعة (2) لمقياس الاضطرابات السلوكية لصالح القياس البعدي للمتابعة (2)؟

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة الحالية في الآتي:

1 - تتصدى الدراسة لفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة (أطفال التوحد) الذين هم في حاجة إلى مد يد العون والمساعدة لهم.

2 - الكشف عن الاضطرابات السلوكية والتي تمثل مشكلة حقيقية عند الكثير من الأطفال التوحديين.

3 - الكشف عن مدى أهمية ودور الأنشطة والألعاب التي يتضمنها البرنامج العلاجي باللعب وخفض بعض الاضطرابات السلوكية لدى الطفل التوحدي.

4 - توفير برنامج علاجي باللعب يخدم المؤسسات والمراكز العلاجية المختصة.

5 - توفير المساعدة لأسرة الطفل التوحدي وذلك عن طريق الإرشاد والتوجيه والنصيحة إلى الطرق الصحيحة للتعامل والتواصل مع أبنائهم.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق التالي:

معرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين أفراد المجموعة الضابطة والتجريبية بعد تطبيق البرنامج العلاجي باللعب، ومعرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين أفراد المجموعة الضابطة قبل وبعد تطبيق البرنامج، معرفة الفروق ذات الدلالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج العلاجي باللعب وبعد تطبيقه من حيث تخفيف حدة الاضطرابات السلوكية، وأخيراً معرفة الفروق ذات الدلالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (1) ودرجاتهم في التطبيق التالي لفترة المتابعة (2) لمقياس الاضطرابات السلوكية.

فروض الدراسة:

الفرض الأول: ينص على أنه: «توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة الضابطة والتجريبية بعد تطبيق البرنامج لصالح المجموعة التجريبية».

الفرض الثاني: ينص على أنه: «لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية

بين أفراد المجموعة الضابطة قبل وبعد تطبيق البرنامج».

الفرض الثالث: ينص على أنه: «توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج وبعد تطبيقه لصالح القياس البعدي من حيث تخفيف حدة الاضطرابات السلوكية».

الفرض الرابع: ينص على أنه: «توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (1) ودرجاتهم في التطبيق التالي لفترة المتابعة (2) لمقياس الاضطرابات السلوكية لصالح القياس البعدي للمتابعة (2).

تعريف مصطلحات الدراسة:

أولاً: اضطراب التوحد:

هو أحد الاضطرابات الارتقائية (النمائية) المنتشرة وغير الطبيعية والتي يتضح وجودها قبل عمر الثلاث سنوات الأولى من عمر الطفل ومن سمات هذه الاضطرابات العجز التفاعلي الاجتماعي والتواصل مع الآخرين والسلوك النمطي، والاندماج في أنشطة نمطية متكررة أو القيام بحركات معادة بلا تغيير والرفض لأي تغيرات في البيئة المحيطة أو اضطرابات النوم والأكل (عبد العزيز الشخصي، 2002: 22).

ثانياً: العلاج باللعب:

يعتبر العلاج باللعب من الطرق الهامة في بحث وتشخيص وعلاج مشكلات الأطفال بوصفه من أحد أهم مناهج العلاج النفسي للأطفال، بسبب عدم نموهم اللغوي والعقلي والانفعالي المناسب بالقدر الذي يمكنهم من استبصار مشكلاتهم على النحو الذي يتحقق للكبار، فاللعب يعتبر أداة علاجية نفسية هامة للأطفال المشكلين أو المصابين باضطرابات سلوكية، مما يساعد الطفل على فهم نفسه وفهم العالم من حوله وإقامة علاقات اجتماعية فعالة مع غيره سواء من الرفاق أو الأخوة أو الوالدين (عثمان لبيب فراج، 2002: 53).

ثالثاً: الاضطراب السلوكي Behavior Disorder:

يشير مفهوم اضطراب السلوك لدى الطفل التوحدي إلى عدم السواء في السلوك كإيذاء الذات ونوبات الغضب، والنشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه، والسلوك العدواني، وعجز التواصل مع الآخرين والتي غالباً ما تتسم بأنها ذات نمط متكرر وثابت مما يؤثر في التوافق العام لدى شخصي الطفل (عثمان لبيب فراج، 2002: 73).

رابعاً: برامج اللعب العلاجية:

هو مجموعة من الأنشطة المخططة المتكاملة المتربطة التي تستند إلى أسس وفنيات نظريات تعديل السلوك وتتضمن مجموعة من المهارات والممارسات خلال فترة زمنية محددة من اللعب بهدف تنمية مهارات العناية بالذات لدى الطفل التوحدي مثل: تناول الطعام والشراب والقيام بعملية الإخراج والنظافة الشخصية، والأمان بالذات وذلك في إطار خصائص ومتطلبات المرحلة العمرية لهؤلاء الأطفال من إكسابهم قدراً من الاستقلالية والاعتماد على النفس في المواقف الحياتية والقدرة على التواصل مع الآخرين (كاميليا عبد الفتاح، 2008).

حدود الدراسة:

الحدود المكانية:

تم اختيار عينة البحث من مركز الخليج للتوحد بأبوظبي لعام 2016م-2017م.

الحدود الزمانية:

تستغرق الدراسة ستة أشهر بواقع أربع جلسات في الأسبوع.

الإطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الأول: اضطراب التوحد:

بدأ الاهتمام باضطراب التوحد بشكل علمي عام (1943م)، من خلال بحث قام به الطبيب النفسي (ليوكانر) الذي يعمل في مستشفى جونز هوبكنز

ببالتيمور، في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ نشر كانر عام 1943م تقريراً عن التوحد عنوان: «اضطراب التوحد في مجال التواصل الانفعالي»، كان ذلك من خلال فحصه لمجموعة من الأطفال الذين يراجعون وحدة الطب النفسي، البالغ عددهم (11) طفلاً، منهم (9) ذكور، و(2) إناث، حيث وجد أنماط سلوك غير عادية لهم كانوا مصنفين على أنهم متخلفون عقلياً، فقد كان سلوكهم يتميز بما أطلق عليه بعد ذلك مصطلح اضطراب الذاتوية الطفلية، حيث لاحظ انغلاقهم الكامل على الذات والابتعاد عن الواقع والانطواء والعزلة، وعدم التجاوب مع المثيرات التي تحيط بهم.

وبدأ الاهتمام يزيد من منطلق أنه لابد من سرعة التدخل وليس فقط الوقوف على الأسباب التي ترجع لها هذه الاضطرابات.

وتعد التوحدية من أكثر الاضطرابات التطورية صعوبة وتعقيداً ذلك لأنها تؤثر على الكثير من مظاهر نمو الطفل المختلفة، وبالتالي تؤدي به للانسحاب للداخل والانغلاق على الذات، وهذا بالتالي يضعف من اتصال الطفل بعالمه المحيط به ويجعله يحب الانغلاق ويرفض أي نوع من الاقتراب الخارجي منه، ويجعله يفضل التعامل مع الأشياء غير الطبيعية أكثر من تعامله مع الأشخاص المحيطين به (عبدالله حزام، 2003: 55).

تعريف اضطراب التوحد:

يستخدم تعريف كانر للتوحد Austism والذي تعني باللغة العربية التوحد بخياله والضعف في الترابط الاجتماعي مع الغير.. أي أن التوحد يعني الوحدة والانعزالية في خيال الطفل وتصرفاته التي يقوم بها لوحده دون أن يشارك أناساً آخرين معه، كما يفعل الأطفال الأسوياء (محمد بن أحمد الفوزان، 2010: 17).

وعرفت الجمعية الأمريكية لتصنيف الأمراض العقلية سنة 1994 الاضطراب التوحدي بأنه فقدان القدرة على التحسن في النمو مؤثراً بذلك على الاتصالات اللفظية وغير اللفظية والتفاعل الاجتماعي، وهو عادة

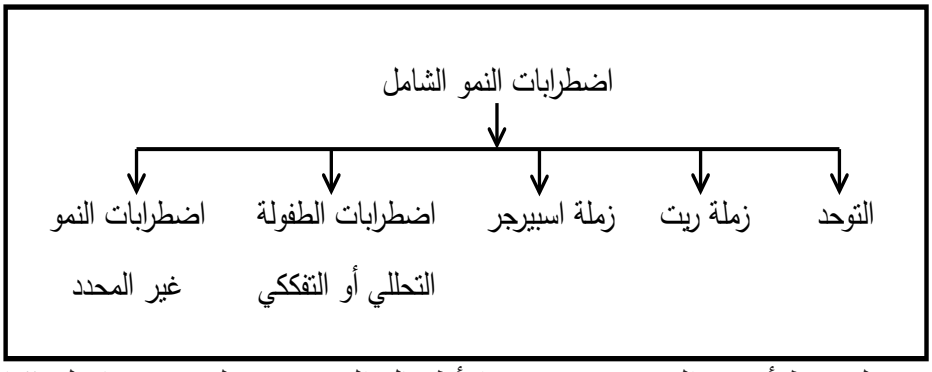
يظهر في سن قبل ثلاث سنوات، والذي يؤثر بدوره على الأداء في التعليم وفي بعض الحالات التوحدية تكون مرتبطة بتكرار آلي لمقاطع معينة من خدمات محددة، ويظهر هؤلاء مقاومة شديدة لأي تغيير في الروتين اليومي وكذلك يظهرون ردود أفعال غير طبيعية لأي خبرات جديدة (A.P.A, 2004).

ويرى عبد العزيز الشخصي أن التوحد الطفولي يعد أحد الاضطرابات النمائية أو الشاملة التي تعتبر من أكثر مشكلات الطفولة ازعاجاً وإرباكاً وحيرة، لأنها تتضمن انحرافاً في جميع جوانب الأداء النفسي خلال مرحلة الطفولة بما في ذلك الانتباه والإدراك والتعلم واللغة والمهارات الاجتماعية والاتصال بالواقع والمهارات الحركية (عبد العزيز الشخصي، 2002: 25).

وأخيراً تعريف الجمعية الأمريكية للتوحد حيث ترى أن التوحد هو: إعاقة متعلقة بالنمو عادة ما تظهر خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل، وهي تنتج عن اضطراب في الجهاز العصبي مما يؤثر على وظائف المخ (Autism A Society of America, 2003).

وقد تم تصنيف إعاقة التوحد في الإصدار الرابع للدليل الإحصائي لتشخيص الأمراض العقلية (94)، (DCMIV) ضمن مجموعة من الاضطرابات الارتقائية الشاملة (المختلطة) حيث تضم هذه المجموعة الاضطرابات الآتية:

شكل رقم (1)



وقد لوحظ أن حوالي (40%) من الأطفال التوحديين لديهم معامل ذكاء

يقل (50-55) وحوالي (30%) يتراوح معامل ذكائهم بين (50-75)، ويلاحظ أن حدوث التوحد يتزايد مع نقص الذكاء، كما أن حوالي (20%) من التوحديين لديهم ذكاء لفظي سوي.

ومن خلال عرض التعريفات السابقة تعرف الباحثة الاضطراب التوحدي اصطلاحاً على النحو التالي:

هو أحد الاضطرابات الارتقائية (النمائية) المنتشرة والتي تظهر خلال الثلاث سنوات الأولى من عمر الطفل، ومن سمات هذه الاضطرابات العجز عن التواصل مع الآخرين، والاندماج في أنشطة نمطية متكررة أو القيام بحركات معادة لا تغيير والرفض لأي تغييرات في البيئة المحيطة أو في روتين الحياة.

ويتميز أيضاً بشذوذ في التفاعل الاجتماعي، كما يتميز برد فعل مبالغ فيه للمثيرات الحسية مع وجود اضطراب في الكلام واللغة، وينتشر هذا الاضطراب أكثر بين الذكور عن الإناث بنسبة 4: 1، ويستمر هذا النوع من الاضطراب مدى الحياة، ولكن تتحسن الحالة سواء في الجانب الاجتماعي أو التواصلي، أو السلوكي، أو المعرفي وذلك من خلال التدريبات العلاجية المقدمة له.

معدلات انتشار اضطراب التوحد:

اختلفت نتائج الدراسات التي تحدد نسبة الاضطراب التوحدي، فيرى أيدسون Edeson (1998) أن التضارب في معدلات الانتشار يرجع إلى البلد الذي يتم فيه البحث، وإلى اختلاف الدلالات التشخيصية، وقد يكون السبب في الاختلاف راجعاً إلى خطأ في التشخيص واختلاف في عمر الأطفال موضوع البحث. (نادية أبو السعود، 2002: 50).

ويحدث التوحد في طفلين إلى أربعة أطفال من كل 10000 طفل تحت سن 12 وحتى سن 15 سنة، وذلك على أساس دراسات أجريت في أفريقيا واستراليا وأمريكا وبريطانيا والسويد والدنمارك (لويس كامل ملكية، 2008:

260).

أسباب الاضطراب التوحدي:

إن درجة تعقيد مظاهر اضطراب التوحد وتداخله مع الكثير من الاضطرابات والإعاقات الأخرى، أدت إلى صعوبة تحديد سبب أو أسباب اضطراب التوحد، ومن ثم توفير مجال خصب للبحث والبحث في العثور على سبب أو أسباب اضطراب التوحد. وبناءً عليه فقد تعددت الدراسات التي تناولت البحث في هذا الموضوع بسبب تعدد الاختصاصات والاهتمامات بين الباحثين، وتنوع خلفياتهم النظرية (الصمادي، 2007: 34).

لعل المعايير التشخيصية والمقاييس الموجودة التي تشخص هذه الاضطرابات وتحدد طبيعتها قد يتم توظيفها لخدمة أكثر من اضطراب، أي أنها قد تكون في داخلها مشتركة ما بين أكثر من عرض لأكثر من اضطراب، بحيث نجد الأسس التي بنيت عليها هذه المقاييس تتشابه، إلى حد كبير، مع بعض الاضطرابات النمائية الأخرى (عبد الله حزام العتيبي، 2014: 319).

النظريات المفسرة للتوحد:

1 - **إعاقة التوحد من منظور سيكودينامي:**

يرجع أصحاب النظريات السيكودينامية التوحد إلى خبرات الحياة الباكرة، وخاصة تلك الخبرات التي تشترك فيها الأم والطفل، وربما كانت أشهر هذه النظريات تلك التي صاغها برونو بتلهايم عام 1967م.

وقد وصف كانر آباء وأمهات الأطفال التوحديين بأنهم باردون وغير حساسين ووسواسيون ومنطوون، ومتباعدون، وقد رأى أن أولئك الأطفال تمت ترتيبهم في ثلاجة انفعالية (توماس أو لتمانز وآخرون، 2003: 445).

وعلى الرغم من ذلك فإن هذه النظريات النفسية لم تعد تشغل نفس الاهتمام كما يؤكد كالات Kalat عام 1995م، حيث رفض معظم الدارسين هذه النظريات للعديد من الأسباب ومن أهمها ما يلي:

1 - إذا كان السلوك الوالدي يؤدي إلى الاضطراب التوحدي فلماذا يكون معدل الصعوبات المماثلة منخفضاً لدى الأخوة؟

2 - إن السلوك الوالدي المنحرف الذي قررته البحوث يمكن أن يكون رد فعل لشذوذ الطفل أكثر منه إلى أي شيء آخر.

3 - كما أن المعاملة التي يشوبها الدفء والحب لم تؤدي إلى اختفاء الاضطراب التوحدي.

2 - **إعاقة التوحد من منظور بيولوجي:**

هناك العديد من الاعتبارات التي تجعل التفسيرات البيولوجية لاضطراب التوحد مقبولة ومن أهمها ما يلي:

أ - أن عمر بداية الاضطراب التوحدي مبكر جداً.

ب - هناك زملة أعراض مماثلة للتوحدية تماماً قد تنشأ في عقب أمراض المخ مثل التهاب الدماغ.

ج - أن الضعف العقلي في الغالب ينبع من اضطراب وظيفة المخ، فإن حوالي (80%) من الأطفال المصابين بالتوحد لديهم مستويات منخفضة من الذكاء.

د - وجود أنماط شاذة من موجات المخ لدى الأطفال المصابين بالتوحد من خلال رسام المخ الكهربائي (EEG) (توماس أولتمانز وآخرون، 2003: 442).

3 - **إعاقة التوحد من منظور بيوكيميائي** Biochemical:

تناول (Gillberg and Coleman, 1992) اضطراب التوحد من خلال التوجه البيوكيميائي، وقد فسروا ذلك بارتفاع معدل السيروتونين (Sorotonin) لدى هؤلاء الأطفال، كما أوضحا بأن ذلك أكثر ارتباطاً بانخفاض مستوى الذكاء، كما دلت الأبحاث أيضاً أن هؤلاء الأطفال أظهروا خللاً ونشاط نمطي متكرر نتيجة ارتفاع مستويات السائل المخي النخاعي لحامض Homa Vanillic Acid (H.V.A).

وقد أوضح (Happe and Frith, 1995) أنه غالباً ما يترتب على الإصابة بالتوحد وجود مستويات من الاختلالات الاجتماعية السلوكية مرتبطة ببعض العوامل البيوكيميائية من حيث معدلات حامض (H.T.A.A.A5 -) في السائل المخي النخاعي (السيد عبد اللطيف، 2008: 102).

4 - **إعاقة التوحد من منظور العوامل الجينية** Genetic:

أثبتت بعض الدراسات الحديثة أن هناك ارتباطاً بين التوحد وشذوذ الكروموسومات، وأوضحت هذه الدراسات أن هناك اتصالات ارتباطية وراثية مع التوحد وكروموسوم (Fragila X Syndrome)، ويعتبر هذا الكروموزوم هو أحد الأشكال الوراثية المسببة للتوحد والتخلف العقلي، وأيضاً له دور أساسي في حدوث مشكلات مثل النشاط الزائد Hyperactivity والانفجارات العنيفة، والسلوك الأناني أو الاستحواذي، كما أن هذا الكروموزوم يكون شائع بين البنين أكثر من البنات في حوالي 7-10% من حالات التوحد (Lida, Helene, 2003: 5).

5 - **العوامل العصبية التشريحية:**

أثبتت العديد من الأبحاث بأن الحجم الكلي للمخ متزايد بشكل واضح لدى المصابين بالتوحدية والنسب الكبرى للزيادة في الحجم حدثت في كل من الفحص الصدعي والفحص الجداري، كما أن نقص خلايا بوركنجي Purkinjeis Cells في المخيخ تؤدي للإصابة بالتوحدية مصحوباً بنقص في الانتباه مع الإثارة في العمليات الحسية (حسن مصطفى، 2001: 559).

خصائص الأطفال ذوي اضطراب التوحد:

توصل (عفيفي الرزاز وشرف الدين، 1994) إلى وجود سمات أساسية للطفل التوحدي وهي كما يلي:

1 - عندما يكون رضيعاً لا يستجيب للحمل والاحتضان.

2 - عندما يكون أكبر سناً يتجنب النظر في وجه إنسان آخر، ويمتنع عن إقامة علاقات اتصال مع البالغين.

3 - لا يبدو عليه أنه يعرف ويعي بذاته، ويحاول دائماً اكتشاف جسده.

4 - التعلق الاستحواذي بأشياء معينة مثل التمسك بكوب معين أو لعبة ثابتة.

5 - يحزن بشدة إذا تغيرت البيئة من حوله.

6 - يعبر عن حزنه بنوبات غضب عنيفة أو يعض نفسه.

7 - يفتقد صوته إلى النغمة أو التعبير، ولا يفهم الإيحاءات ولا يستخدمها.

8 - لا يعلب لعباً تخيلياً (زينب محمود، 2002: 24، 42).

أهمية لعب الطفل التوحدي:

يساهم اللعب بشكل كبير في إكساب الطفل التوحدي كفاءة اجتماعية ومعلومات شخصية، مثال على ذلك أحسن استغلال قدرته الحركية يكسب هذا الطفل الاعتماد على النفس والتركيز.

ولذلك فإن اختيار الألعاب المناسبة للطفل التوحدي أمر عظيم، لأن الألعاب مفيدة جداً ولها الأثر الكبير في توجيه السلوكيات المرغوبة لدى هذا الطفل، كما تنمي لديه التركيز والانتباه، وهذه المهارات من ضمن الأسس التي تسعى لتدريب الطفل التوحدي على الانضباط والتكيف لتكوين الروابط والعلاقات الاجتماعية التي يحتاجها الطفل التوحدي.

لكن هناك مشكلة كبيرة فنحن لا نتعامل مع طفل عادي بل نتعامل مع طفل غير عادي، ويحتاج منا لبذل الجهد من أجل أن نكون بعض الإيجابيات لديه والنهوض به، لذا فإن اختيار الألعاب المناسبة له مهمة صعبة، ومن هنا توصل مركز دالاس وتكساس بأمريكا إلى توصيات قدمها كل من Hill and McMacin ومن هذه التوصيات ما يلي:

1 - يجب أن تدل اللعبة على مثيرات بصرية، حتى تشد الطفل التوحدي.

2 - يجب أن تحتوي اللعبة على مثيرات ملموسة، ناعمة.

3 - يجب أن تحتوي اللعبة على مثيرات سمعية (محمد بن أحمد الفوزان، 2010: 122، 123).

العوامل المؤثرة في لعب الطفل التوحدي:

1 - **البيئة الآمنة** (مربى، طفل):

أجمعت الدراسات أن علاقات الاتصال الآمنة بين الطفل التوحدي والشخص القائم على تربيته لها آثار قوية بظهور قدرة الطفل على اللعب لمدة أطول وبطلاقة أكثر.

2 - **التأثير الثقافي:**

تلعب ثقافة المجتمع ونظرتها لقيمة لعب الأطفال دوراً هاماً في الاهتمام باللعب، فعلى سبيل المثال أظهرت بعض الأمهات الأمريكيات والإنجليزيات متوسطي الطبقة الثقافية والاجتماعي اهتماماً بلعب أطفالهم وذلك من خلال الجلوس معهم وإمدادهم بالمزيد من الألعاب المبتكرة، والاهتمام باللعب التظاهري أو التمثيلي لأبنائهم مع تشجيعهم لهذه النوعية من اللعب، فهذا كان له أثر واضح في نمو قدرة الطفل على اللعب والاكتشاف لما حوله.

3 - تأثير لعب الأطفال الآخرين والأكبر سناً والأقارب مع الطفل التوحدي:

أكدت الدراسات على الأهمية لوجود أقارب أو أطفال آخرين بجانب الأطفال سواء عاديين أو توحديين في اللعب لأن هذا يعزز ويشجع ظهور اللعب التظاهري والفهم الاجتماعي لدى هؤلاء الأطفال (سهى أحمد أمين، 2001: 58، 59).

أشهر البرامج لتعليم الطفل التوحدي:

1 - **برنامج (تيتش)** (Teach):

وهو يعتبر برنامج علاج وتعليم الأطفال المصابين بالتوحد وإعاقات التواصل المشابهة له أحد البرامج العلاجية التي تستخدم مع الأطفال المصابين بالتوحد.

وتمتاز طريقة تيتش بأنها طريقة تعليمية شاملة لا تتعامل مع جانب واحد كاللغة أو السلوك، بل تقدم تأهيلاً متكاملاً للطفل، كما أنها تمتاز بأن طريقة العلاج مصممة بشكل فردي على حسب احتياجات كل طفل.

وقد طور هذا البرنامج الدكتور (أريك شوبلر) في عام 1972م في جامعة نورث كارولينا، ويعتبر أول برنامج تربوي مختص بتعليم التوحديين، كما يعتبر برنامجاً معتمداً من قبل جمعية التوحد الأمريكية.

2 - **برنامج (لوفاس)** (LOVAAS):

هو برنامج تربوي من برامج التدخل المبكر للأطفال التوحديين، للدكتور إفارلوفاس، ويقوم هذا البرنامج على التدريب في التعليم المنظم والتعليم الفردي، بناءً على نقاط القوة والضعف لدى الطفل التوحدي وإشراك الأسرة في عملية التعليم. ويتم تدريب الطفل في هذا البرنامج بشكل فردي في حدود (40 ساعة) أسبوعياً، أي بمعدل (8 ساعات) يومياً، حيث يبدأ الطفل في بداية الالتحاق التدريب لمدة (20 ساعة) وتزداد تدريجياً خلال الشهور القادمة حتى تصل إلى (40 ساعة) أسبوعياً.

المبحث الثاني: الاضطرابات السلوكية Behavior Disorder

يشير لويس كامل مليكة إلى أن الأطفال التوحديين يعانون من بعض الاضطرابات السلوكية مثل النشاط الزائد وسلوك إيذاء الذات، ونقص الانتباه مع نوبات غضب وعدوان بالإضافة إلى مشكلات التغذية والبوال (لويس كامل مليكة، 275، 276).

ويعتبر سلوك الطفل مضطرباً عندما يختلف تصرفه عن توقعات المحيطين به، وتختلف هذه التوقعات باختلاف الجماعة من حيث الثقافة والحضارة، أو عندما يحدث هذا السلوك في مكان وموقف غير مناسبين على أن يؤخذ عمر الطفل في الاعتبار، فالتقلبات المزاجية مثلاً في عمر ثلاث إلى أربع سنوات تعتبر سلوكاً طبيعياً ولكنها بعد ذلك تعتبر سلوكاً مضطرباً (محمود حمودة، 2008: 168).

مفهوم الاضطراب السلوكي:

لقد اختلف الباحثون والمتخصصون في تحديد تعريف واحد وواضح للاضطرابات السلوكية، وقد اختلفوا في التسميات، حيث اطلقوا عليه عدة مسميات أو عدة مصطلحات ومن أكثر التسميات المستخدمة على نطاق واسع هي كما يلي: (سوء التكيف، سوء التكيف الاجتماعي، الاضطراب الانفعالي الشديد، مشكلات التكيف، المرض العقلي، الجناح، الإعاقة الانفعالية، الإعاقة الاجتماعية، صراعات الأطفال، الاضطرابات السلوكية) (جمال القاسم وآخرون، 2000: 13، 14).

وهناك عدة تعريفات للسلوك المضطرب وهي كما يلي:

تعريف ويبستر (2006) يشير إلى الاضطرابات السلوكية بأنها: تعبير رمزي لعدم التكيف العاطفي بين الأشخاص وخصوصاً في الأطفال، ويظهر في صور قضم الأظافر أو التبول اللاإرادي أو السلبية أو الأعمال غير الاجتماعية أو العدوانية الصريحة (Webester, 2006: 199).

وتشير انتصار يونس (2003) إلى أن الاضطرابات السلوكية هي: تلك الاضطرابات التي تدخل في نطاق الأمراض العصابية أو الذهانية، وبهذا المعنى فهي تكاد تنحصر في نوعين هما المشكلات السلوكية في الطفولة، والحالات السوسيوباتية Sociopath والسيكوباتية Psychopath (انتصار يونس، 2003: 351).

وتعرف إيمان أبو ضيف (2008) الاضطرابات السلوكية بأنها: استجابات تكيفية خاطئة لمواقف الضغط النفسي التي يتعرض لها الطفل ممن حوله، ويتمثل السلوك المضطرب في ضعف الانتباه واللوم الذاتي المفرط، والضعف الأكاديمي، وضعف الانصياع الاجتماعي، وضعف قوة الأنا، ضعف الشعور بالهوية، العدوانية المفرطة، العناد والمقاومة المفرطة، الاعتمادية المفرطة، والانسحاب المفرط (إيمان محمد أبو الضيف، 2008:

817).

تعريف الباحثة لمفهوم الاضطرابات السلوكية:

يشير مفهوم اضطراب السلوك لدى الطفل التوحدي إلى عدم السواء في السلوك كإيذاء الذات ونوبات الغضب، والنشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه والسلوك العدواني، وعجز التواصل مع الآخرين والتي غالباً ما تتسم بأنها ذات نمط متكرر وثابت مما يؤثر في التوافق العام لدى شخصية الطفل.

العوامل السببية في الاضطرابات السلوكية:

تعددت التفسيرات السببية لاضطراب السلوك وتداخلت هذه الأسباب وتشابكت مع بعضها البعض، لذلك سوف تحاول الباحثة فيما يلي عرض أهم هذه الأسباب مصنفة في ثلاث مجموعات من العوامل السببية وهي: أ - مجموعة العوامل السيكولوجية. ب - مجموعة العوامل النفسية، الاجتماعية البيئية. ج - مجموعة العوامل العضوية والفسيولوجية.

أولاً: العوامل السيكولوجية:

1 - **الإحباط:** وهو حالة تنتج عن التأخير في الحصول على إثابة السلوك، أو عن إعاقة تحقيق الأهداف أو عن الصراع الداخلي.

2 - **حرمان الطفولة:** وهو ينتج عن انفصال الطفل عن شخص محبوب لديه، أو عن وفاة هذا الشخص.

3 - **الثبوت:** الثبوت على مرحلة من المراحل النمائية أو النكوص إلى هذه المرحلة.

4 - اضطراب العلاقة بين الأم أو من ينوب عنه والطفل.

5 - نقص مستوى الذكاء (فتحي السيد، 2000: 153-154).

ثانياً: العوامل الفسيولوجية:

يمكن تلخيص أهم النتائج التي كشفت عنها البحوث والدراسات في

مجال العوامل العضوية والفسيولوجية وارتباطها باضطرابات السلوك فيما يلي:

1 - اضطرابات السلوك أكثر شيوعاً بين الأطفال المبتسرين عن غيرهم.

2 - التلف المخي أو سوء الأداء الوظيفي للجهاز العصبي المركزي.

3 - شذوذ الكروموسومات الوراثية: حيث لاحظ بعض الدارسين أن شذوذ الكروموسومات (xxy-47) و(xxy47-) يصاحبه اضطراب السلوك (فتحي السيد، 2000: 162).

الاضطرابات السلوكية لدى التوحديين:

أولاً: سلوك إيذاء الذات Self-Injurious Behavior:

وتتمثل أشكال إيذاء الذات الشائعة لدى الأطفال التوحديين في: (ضرب الرأس بعنف، ضرب الجسم بعنف، الحرق، صفع الوجه، القرص، شد الشعر، الضغط بشدة على العين، عض أجزاء الجسم، الخدش) (جمال الخطيب، 2003: 163).

ثانياً: فرط النشاط المصحوب باضطراب الانتباه (ADHD):

يعرف عبد العزيز الشخصي اضطراب فرط النشاط بأنه: إصابة الأطفال بعدم القدرة على الانتباه والاندفاعية والنشاط الحركي الزائد قبل السابعة من العمر (عبد العزيز الشخصي وآخرون، 1994: 46).

ومن أهم الخصائص التي تظهر لدى الأطفال الذين يعانون من النشاط الزائد: (التهور، القابلية للإثارة، نزوات الغضب الشديد، النشاط الجسمي المفرط، عدم القدرة على تحمل الإصابة، اضطراب الوظائف الحركية (جمال الخطيب، 2000: 181-182).

ثالثاً: سلوك عجز التواصل مع الآخرين:

يواجه العديد من الأطفال التوحديين مشاكل وصعوبات في التواصل مع الآخرين ويفتقدون القدرة على استخدام اللغة بطريقة صحيحة ليتواصلوا بها مع من حولهم. ويسود الاتصال المضطرب في التوحد حيث يتأثر

كل من الاتصال الشفوي وغير الشفوي، وبشكل عام يستخدم الأطفال التوحديين إيماءات غير شفوية أقل. وفقدان الاستجابة العاطفية لمبادرات الآخرين اللفظية وغير اللفظية، وكذلك عدم استخدام الإشارات المصاحبة التي تساعد في تأكيد التواصل الكلامي (أحمد عكاشة، 2008: 642).

رابعاً: السلوك العدواني:

يشكل السلوك العدواني لدى الأطفال التوحديين مشكلة كبرى ويجب ملاحظة الظروف التي غالباً ما يظهر خلالها ذلك السلوك، مع محاولة فهم الأسباب لكي يصبح بالإمكان تجنب ظهور حالة التوازن والهياج، وقد يكون السبب بسيطاً جداً بل تافهاً كضجيج مفاجئ من صوت معين، أو وضع قطعة الخيط المفضلة لدى الطفل في غير محلها المعتاد، وإذا ما تضمن الموقف العدواني طفلاً آخر، فيجب معالجة ذلك بفصلهما بالسرعة الممكنة مع أقل قدر من الضجيج والجلبة (حسين فايد، 2006: 143-144).

المبحث الثالث: العلاج باللعب:

أولاً: تعريف العلاج باللعب:

تعرف أكسلاين العلاج باللعب على أنه: يستند على حقيقة هامة هي أن اللعب عند الطفل هي الوسيط الطبيعي الذي يعبر به الطفل عن ذاته، فنحن نزود الطفل بالفرصة لكي يخرج باللعب Play Out مشاعره ومشاكله بنفس الطريقة التي تعمل بها بعض أنواع علاج الراشدين إلى أن تخرج بالكلام Talks Out مشاعرهم ومشاكلهم (جون كونجر وآخرون، 2007: 422-423).

ويعرف عادل الأشول العلاج باللعب على أنه: طريقة من طرق العلاج النفسي، حيث يلاحظ استخدام الطفل لأدوات اللعب وتخيلاته أثناء اللعب، ويعمل على تفسيرها المعالج النفسي، وجدير بالذكر فإن هذه الطريقة ذات فائدة سواء مع الأطفال العاديين أو غير العاديين حيث تساعد على الكشف والتنفيس عن رغباتهم وميولهم (عادل الأشول، 1987).

وتعرف كاميليا عبد الفتاح العلاج باللعب: بأن كلمة اللعب في العلاج لا تشير ضمناً إلى المعنى المألوف من النشاط ولكنها تعني حرية التصرف، حرية التفاعل، حرية التعبير، حرية الكذب والشك، وحرية الاحترام (كاميليا عبد الفتاح، 2008: 12).

ويرى محمد عبد الحميد أن العلاج باللعب هو: لعب مخطط وفيه يحدد المرشد مسرح اللعب ويختار اللعب والأدوات بما يتناسب مع عمر الطفل وخبرته (محمد إبراهيم عبد الحميد، 2009: 61).

كما أن العلاج باللعب يتيح فرصة تكون علاقة في موقف تكون فيه الحدود أكثر اتساعاً ففي حجرة اللعب يستطيع الأطفال أن يعيشوا مشاعرهم وأحاسيسهم وأن يعبروا عنها بصورة كاملة (كلارك موستاكس، 2000: 47).

والعلاج باللعب يسمح للطفل بالمشاركة وبالتفاعل وبالاسترخاء أيضاً، فكل الألعاب لها قيمة علاجية، واللعب شيء إيجابي معقد يعبر فيه الطفل عن وعيه الشعوري واللاشعوري ويمكن استخدام اللعب في مجال التشخيص، وإقامة علاقة عمل مع الآخرين، كما يمكن استخدام اللعب لمساعدة الطفل على أن يتعامل لفظياً مع بعض المواقف بوعي وبتوافق مع مشاعره وتطوير نشاط الطفل اليومي والذي يمكن أن يستفيد منه في المستقبل (Amaster, F, 2003: 68).

ثانياً: أساليب اللعب العلاجية:

أ - اللعب غير الموجه:

تشير سوزانا ميلر إلى أن أتباع العلاج باللعب غير الموجه يعتقدون أن اللعب الحر دون أي توجيه من الكبار، يعالج الاضطرابات الانفعالية، ويتصور أصحاب هذه المدرسة أن دور المعالج ينبغي أن يكون دوراً سلبياً تماماً، مقتصراً على جو من الصداقة والتقبل، يستطيع المريض في نطاقه أن يتوافق مع مشكلات، وقد وضعت أكسلين (1969) مجموعة من المبادئ التي يستند إليها العلاج باللعب غير الموجه وهي:

1 - تقبل الطفل كما هو.
2 - تهيئة الظروف التي تتصف بالتسامح في العلاقة بالطفل.
3 - حساسية المعالج ودقته في إدراك مشاعر الطفل.
4 - عدم توجيه نشاط اللعب أو أحاديثه، فالطفل هو الذي يوجه نفسه.
5 - أن يظهر المعالج احترامه العميق لقدرة الطفل على حل مشكلاته، وأن يترك مسؤولية الاختيار وإحداث التغيير إلى الطفل وحده.
6 - عدم التعجل بإنهاء الجلسات نظراً لأن العلاج غير الموجه عن طريق اللعب يتطلب وقتاً من الطفل والمعالج على السواء (حسين محمد السيد، 2001: 45).

ب - العلاج النفسي الموجه باللعب:

وهو لعب مخطط وفيه يحدد المرشد مسرح اللعب ويختار اللعب والأدوات بما يتناسب مع عمر الطفل وخبرته بحيث تكون مألوفة له تستثير نشاطاً واقعياً، أو اقترب إلى الواقع ويصمم اللعب بما يتناسب ومشكلة الطفل ثم يترك الطفل يلعب في جو يسوده العطف والتقبل.

التعريف الإجرائي للعلاج باللعب:

من خلال ما سبق تعرف الباحثة مفهوم العلاج باللعب إجرائياً على النحو التالي: يعتبر العلاج باللعب من الطرق الهامة في بحث وتشخيص وعلاج مشكلات الأطفال بوصفه من أحد أهم مناهج العلاج النفسي للأطفال، بسبب عدم نموهم اللغوي والعقلي والانفعالي المناسب بالقدر الذي يمكنهم من استبصار مشكلاتهم على النحو الذي يتحقق للكبار، فاللعب يعتبر أداة علاجية نفسية هامة للأطفال المشكلين أو المصابين باضطرابات سلوكية، مما يساعد الطفل على فهم نفسه وفهم العالم من حوله، وإقامة علاقات اجتماعية فعالة مع غيره سواء من الرفاق أو الأخوة أو الوالدين.

المبحث الرابع: الدراسات السابقة:

احتلت الدراسات عن الطفل التوحدي Autism في السنوات العشر

الأخيرة مساحة واسعة من البحوث العلمية خاصة بعد انتشار العديد من الدوريات المتخصصة في هذا المجال، ليس فقط الدوريات ولكن المراكز على المستوى العالمي، والتي اهتمت بعمل العديد من الدراسات الهادفة من أجل التعرف على التوحدية، هذا اللغز المحير في كيفية تشخيصه وكيفية التدخل المبكر لاكتشافه، وأيضاً كيفية معرفة أنسب الطرق والوسائل العلاجية المقدمة له، للحد من المشكلات والاضطرابات السلوكية التي يعاني منها الطفل التوحدي. وسوف تعرض الباحثة في هذا الجزء أهم الدراسات التي تناولت التوحدية والاضطرابات السلوكية لدى الطفل التوحدي، وأيضاً البرامج العلاجية المقدمة لهذه الفئة من الأطفال.

أولاً: دراسات خاصة بعلاج الاضطرابات السلوكية والعلاج باللعب معاً لدى الأطفال التوحديين:

1 - بحث صبحي عبدالفتاح (2007). «معالجة السلوك العدواني لدى الطفل باستخدام برنامج للعلاج الجماعي باللعب».

هدف البحث إلى التعرف على أثر كل من العلاج الجماعي باللعب والتدريب على المهارات الاجتماعية في تعديل السلوك العدواني عند الأطفال.

تكونت عينة البحث من (40) تلميذاً وقد أوضحت النتائج فعالية العلاج باللعب في الحد من السلوك العدواني عند الأطفال كما ساعد البرنامج الأطفال على اكتساب المهارات الاجتماعية.

2 - بحث ماهر باسل (2010). «فاعلية استخدام أنواع مختلفة من اللعب في تعديل بعض اضطرابات السلوك لدى طفل الروضة».

هدفت البحث إلى التحقق من مدى فاعلية استخدام أنواع مختلفة من اللعب (اللعب الحر، اللعب الجماعي التعاوني، اللعب الجماعي التنافسي)، في تعديل اضطرابات السلوك لدى الأطفال. تكونت عينة البحث من (30) طفل وتم تقسيمهم إلى 18 ذكور و12 إناث وتوزيعهم عشوائياً على ثلاثة

مجموعات متجانسة.

نتائج البحث:

أشارت نتائج البحث أن أكثر أنواع اللعب فاعلية في تعديل اضطرابات السلوك لدى الأطفال هو اللعب الحر ثم اللعب الجماعي التعاوني وأخيراً اللعب الفردي التنافسي.

ثانياً: دراسات تناولت الأطفال التوحديين والعلاج باللعب:

1 - بحث أحمد خليل العدوي (2005). «استخدام اللعب لتنمية مهارات التواصل».

هدف البحث إلى التعرف على استخدام اللعب لتنمية مهارات التواصل واشتملت عينة البحث على طالبين يعانون من التوحد تتراوح أعمارهم ما بين خمسة- ثلاثة عشر عاماً، وكانوا يعانون صعوبات لغوية حادة بالإضافة إلى عدم القدرة على اللعب. وتمت الجلسات في إحدى الغرف الدراسية، التي احتوت على مكان للعب.. وتكونت مثيرات البحث من كلمات تتفق مع مثيرات اللعب مثل: «ورقة لعبة»، أرنب، مسطرة، وتم طباعة الكلمات التي تستخدم كمثيرات بحروف سوداء وتم وضع كروت الكلمات داخل غلاف بلاستيكي، وأثناء جلسات التدريب كان الطفل يجلس بالقرب من المعلم الذي يقدم كروت الكلمات، وكان يتم عمل تواصل بصري أثناء تقديم المثيرات، وقد حصل الطالبات على فترات لعب أو قطع صغيرة من الطعام وأثناء الحصص التي تلي الاستجابات الصحيحة يتم تقديم كارت يمثل كلمة إضافية.

وأوضحت نتائج البحث أن استخدام اللعب أثناء التدريب على المهارات اللغوية يساعد على تطورها وتنمية الحصيلة اللغوية، كما أشارت النتائج إلى التدريب العرضي، يساعد على اكتساب وتذكر الكلمات المقروءة، كما حدث تطور في قدرة أفراد العينة على التعرف على معظم الكلمات.

2 - بحث أحمد شريف عبد الرحمن (2008). «تنمية اللعب التخيلي

للطفل التوحدي يعانون من بعض الاضطرابات السلوكية».

هدف البحث إلى التعرف على تنمية اللعب التخيلي للطفل التوحدي يعانون من بعض الاضطرابات السلوكية. تكونت عينة البحث من ثلاثين طفلاً توحدياً تم اختيارهم من مراكز لرعاية أطفال التوحد.

بدأت إجراءات البحث بجلسة تمهيدية حيث جلس الأطفال بجانب المختبر ليعرض عليهم ثلاثة أنواع من الصور، وتصف الصور أشياء معروفة مثل «مشط، فرشاة أسنان» ويعرض على الأطفال زوج واحد من الصور في كل مرة ويتم سؤاله أين المشط؟ وبعد عدة جلسات يضع المختبر إحدى الحيوانات الدمي مثل القطة أمام الطفل ويقوم بالتظاهر بأنه يضع مسحوق تجميل على القطة ثم يسأل الأطفال كيف تبدو القطة الآن، هل تبدو هذه الصورة أو تلك الصورة.

وأوضحت نتائج البحث تحسن في أداء الأطفال في التعرف على نتائج التحول التخيلي، واختيار الصورة التي تلائم النتيجة التخيلية.

3 - بحث أنور السيد البابلي (2009). «تنمية اللعب التخيلي للطفل التوحدي يعانون من بعض الاضطرابات السلوكية».

هدف البحث إلى التعرف على تنمية اللعب التخيلي للطفل التوحدي يعانون من بعض الاضطرابات السلوكية. تكونت عينة البحث من ثلاث أطفال يعانون من التوحد.

الإجراءات: يعطي المدرب التعليمات للأطفال «هيا بنا نلعب مع بعض»، ويعطي الأطفال بعض العناصر الاختبارية تشمل صورة الحيوانات مثل: (بطة، قطة، دب)، ولكل حيوان ثلاث صور على سبيل المثال واحد من الصور توضح البطة، بعد عملية تحويل مثل أن يكون جسمها مغطى باللون البني وصور البطة كما هي، والثالث تصور البطة بعد عملية التحويل غير ملائمة مثل أن يكون جسمها مغطى بمثلثات حمراء، ويتم وضع الصور من اليسار إلى اليمين أمام الطفل ثم يقول المختبر للطفل

«والآن انظر ماذا سأفعل بالبطة ثم يمثل اللعب التخيلي»، ثم يقول كيف تبدو البطة مشيراً إلى الصور الثلاث، ويتم إجراء هذا الإجراء مع صور الحيوانات المختلفة.

وأوضحت نتائج البحث تطور أداء الأطفال في تنفيذ والتعرف على نتائج التحول التخيلي واختيار الصور التي تلائم الصور التخيلية.

ثالثاً: دراسات تناولت الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين:

1 - بحث Tirosh and Conry (2010). «الاضطراب التوحدي والنشاط الحركي المفرط».

هدف البحث إلى الكشف عن مدى التزامن بين الاضطراب التوحدي والنشاط الحركي المفرط وذلك من خلال بحث التاريخ الأسري لأسر الأطفال التوحديين، وتكونت عينة البحث من (5) أطفال توحديون.

أوضحت نتائج البحث أن الأطفال التوحديون يعانون من النشاط الحركي المفرط مع سلوكيات نمطية أخرى مثل ترديد لما يقوله الآخرين.

استخدم البحث أساليب هامة في التعرف على سلوكيات الطفل التوحدي ونشأتها ومن بينها بحث التاريخ الأسري، وهذا ما سوف تستعين به الباحثة - إن شاء الله - من خلال أسلوب بحث الحالة للتعرف على مظاهر السلوك المضطرب لدى الطفل التوحدي مما يساعده في وضع المقياس الخاص بالاضطرابات السلوكية لهؤلاء الأطفال.

2 - بحث Charman and Lynggaard (2010). «المهام الاجتماعية عند الطفل التوحدي».

هدف البحث إلى إجراء مقارنة بين مجموعة من الأطفال التوحديين والأطفال المتخلفين عقلياً والأطفال الأسوياء على بعض المهام الاجتماعية.

تكونت العينة من (17) طفلاً من الأطفال التوحديين و(17) طفلاً من الأطفال المتخلفين عقلياً و(31) طفلاً من الأطفال الأسوياء.

أوضحت نتائج البحث أن الأطفال التوحديون هم أقل تلك المجموعات

في مستوى المهارات الاجتماعية وأكثرهم انسحاباً من المواقف الاجتماعية. وأن الأطفال التوحديون أكثر الأطفال معاناة من الاضطرابات السلوكية وأيضاً هم أكثر الأطفال في حاجة إلى رعاية مكثفة.

التعليق على الدراسات السابقة:

أكدت الدراسات على أن هناك اضطرابات سلوكية لدى الطفل التوحدي مثل سلوك إيذاء الذات ونوبات الغضب والنشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه وسلوك عجز التواصل مع الآخرين والسلوك العدواني.

أن الأطفال التوحديون هم أكثر الأطفال معاناة من حدة الاضطرابات السلوكية وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم من الأطفال المتخلفين عقلياً والأطفال الأسوياء.

أكدت الدراسات أيضاً على أهمية وجود برامج علاجية لتخفيف حدة الاضطرابات السلوكية لدى الطفل التوحدي.

كما أكدت الدراسات على أهمية ودور اللعب في خفض حدة الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال سواء كانوا عاديين أو من ذوي الاحتياجات الخاصة.

كما أكدت الدراسات السابقة على أهمية بعض البرامج العلاجية مثل العلاج بالموسيقي والعلاج باللمس والعلاج بالحياة اليومية والعلاج بالعقاقير.

كما أكدت الدراسات السابقة على أهمية البرامج التي تقدم لأمهات وآباء الأطفال التوحديين في الحد من الاضطرابات السلوكية لدى أبنائهم.

منهج الدراسة وإجراءاتها الميدانية:

أولاً: منهج الدراسة:

تستخدم الباحثة المنهج التجريبي من خلال التصميم التجريبي الحقيقي الذي يعتمد على وجود مجموعتين، كما يعتمد على القياسين القبلي والبعدي لمتغيرات الدراسة، بغرض التعرف عل مدى تأثير برنامج علاجي باللعب في خفض بعض الاضطرابات السلوكية لدى الطفل التوحدي.

ثانياً: مجتمع الدراسة:

يشمل مجتمع الدراسة جميع التلاميذ المسجلين بمركز الخليج للتوحد بأبوظبي والبالغ عددهم (87) تلميذاً وتلميذة مشخصين باضطراب التوحد وتتراوح أعمارهم بين (6-16) سنة بمتوسط عمر بلغ (9.2) سنة.

ثالثاً: عينة الدراسة:

اشتملت عينة الدراسة في التجربة الأساسية على مجموعتين:

المجموعة التجريبية: وتتكون من (10) من التلاميذ التوحديون تتراوح أعمارهم ما بين (9-13) سنة بمركز الخليج للتوحد بمدينة أبوظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة بداية العام الدراسي 2017م.

المجموعة الضابطة: وتتكون من (10) من التلاميذ التوحديون متوسط أعمارهم ما بين (9-13) بمركز الخليج للتوحد بمدينة أبوظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة بداية العام الدراسي 2017م.

وبذلك يكون العدد الكلي لأفراد مجموعة الدراسة هو (20) تلميذاً (16) من الذكور و(4) وإناث، وكان متوسط أعمارهم (120) شهراً، أي (11) سنة تقريباً، وانحراف معياري قدره (3.55). وقد تم اختيار هذه العينة من داخل مركز الخليج للتوحد لعدة أسباب من أهمها:

أن المركز مخصص فقط للأطفال التوحديين.

وفرة الأساليب العلمية المتقدمة فيه.

كثرة الأطفال التوحديين متوسطي شدة الإعاقة داخل المركز.

استخدام المركز لكادر تعليمي متخصص في إعاقة التوحد.

قيام المركز بتوفير جميع أدوات الاختبارات التشخيصية الحديثة والمتطورة للتعامل مع جميع الحالات المرضية.

طريقة اختيار عينة الدراسة:

تم اختيار عينة الدراسة بطريقة عمدية أو قصدية من ضمن أطفال مركز الخليج للتوحد بمدينة أبوظبي، وذلك من خلال الاستعانة بالأدوات التالية:

أ - مقياس الاضطرابات السلوكية.

ب - قائمة تشخيص التوحدية DSM-IV لسنة 2004م (ترجمة: ماجد السيد علي عمارة، 2005)، بحث الحالة- إعداد الباحثة.

ج - استمارة المستوى الثقافي والاقتصادي والاجتماعي للأسرة (إعداد الباحثة).

ضبط المتغيرات الخاصة بعينة الدراسة:

قامت الباحثة بضبط المتغيرات في المستويات الثقافي، الاقتصادي، والاجتماعي، والسن، ونسبة التوحدية لدى أطفال المجموعتين التجريبية والضابطة، من خلال الأسلوب الإحصائي المناسب بواسطة كل من اختبارات T-Test كأسلوب إحصائي بارامتري مدعماً بأسلوب إحصائي آخر وهو أسلوب «مان ويتني» كأسلوب إحصائي لابارامتري، وحتى لا يكون لها تأثير على المتغير التابع بحيث يكون التغير والتأثير فقط للمتغير المستقل.

الجداول التالية توضح الإجراءات الإحصائية في ضبط المتغيرات الخاصة بأفراد مجموعتي الدراسة (التجريبية والضابطة) ودلالة الفروق بينهما قبل تطبيق البرنامج العلاجي باللعب.

جدول (1) يوضح ضبط متغير السن بالنسبة للمجموعتين التجريبية والضابطة

م	المجموعة	العدد ن	المتوسط	الانحراف المعياري	الانحراف عن المتوسط	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
1	التجريبية	10	11.2300	0.8820	0.2789	1.406	غ. د
2	الضابطة	10	11.1400	0.8540	0.2701		

يتضح من الجدول (1) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسط العمري في المجموعتين التجريبية والضابطة.

جدول (2) يوضح التجانس لمتغير السن للمجموعتين التجريبية والضابطة

النسبة الفائية	مستوى الدلالة	التجانس
1.13	غ. د	متجانسة

إن النسبة الفائية غير دالة إحصائياً عند مستوى (0.05) مما يدل على تجانس العينتين التجريبية والضابطة في السن.

جدول (3) يوضح الفرق في المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لدى أفراد عينتي الدراسة (التجريبية والضابطة)

م	المجموعة	العدد ن	المتوسط	الانحراف المعياري	الانحراف عن المتوسط	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
1	التجريبية	10	25.1000±	1.4491	0.4583	0.712	غ. د
2	الضابطة	10	24.7000±	1.3375	0.4230		

يتضح من الجدول (3) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطين المجموعة التجريبية والضابطة في متغير المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي مما يدل على تجانس المجموعتين.

جدول (4) يوضح التجانس لمتغير المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للأسرة بين المجموعتين التجريبية والضابطة

النسبة الفائية	مستوى الدلالة	التجانس
1.6	غ. د	متجانسة

إن النسبة الفائية غير دالة إحصائياً عند مستوى (0.05) مما يدل على تجانس العينتين التجريبية والضابطة في المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

ضبط المتغير الخاص بنسبة التوحدية.

جدول (5) يوضح الفرق بين درجات الأطفال في المجموعتين التجريبية والضابطة على قائمة التشخيص التوحدية DSM-IV لسنة 2004 قبل تطبيق برنامج العلاج باللعب.

يتضح من الجدول (5) أعلاه أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات الأطفال في المجموعتين التجريبية والضابطة في قائمة تشخيص التوحدية DSM-IV لسنة 2004، حيث أن قيمة (ت) عند درجات حرية (18) غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05).

جدول (6) يوضح أبعاد السلوك المضطرب بين أطفال المجموعتين التجريبية والضابطة قبل تطبيق البرنامج العلاجي باللعب.

م		المتوسط الحسابي		الانحراف المعياري		الانحراف عن المتوسط		اختبار (ت) T.Test	
		ضابطة ن=10	تجريبية ن=10	ضابطة ن=10	تجريبية ن=10	ضابطة ن=10	تجريبية ن=10	قيمة (ت)	مستوى
1	قصور نوعي في التواصل الاجتماعي	21.6000	21.4000	±4.9497	±3.3679	1.3679	1.2490	0.108	غ.د
2	القصور اللغوي	11.1000	11.8000	±1.9120	±1.6865	0.6046	0.5333	0.868	غ.د
3	نماذج للتكرارية في السلوك	14.000	13.2000	±2.1082	±2.0976	0.6667	0.6633	0.851	غ.د
4	الاهتمام بأجزاء الأشياء	7.9000	7.8000	±1.6633	±1.8738	0.5260	0.5925	0.126	غ.د
5	إجمالي المقياس	54.6	54.2	±4.2479	±3.5528	1.3433	1.1235	0.647	غ.د

بالنظر إلى الجدول (6) يتضح لنا أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات المجموعة الضابطة والتجريبية في أبعاد مقياس اضطرابات السلوك قبل تطبيق البرنامج العلاج باللعب.

ومن هنا يتضح أن هناك تكافؤ وتجانس بين المجموعتين التجريبية والضابطة في أبعاد السلوك المضطرب في التطبيق القبلي، حيث (U) الجدولية = 23 عند ن 1=10، ن 2 = 10.

م	الأبعاد	المجموعة	العدد ن	متوسط الرتب	قيمة U	الدلالة	قيمة Z	الدلالة	قيمة W	الدلالة	النسبية القائية	الدلالة
1	إيذاء الذات	ضابطة	10	10.60	49.00	غ.د	0.076	غ.د	104.00	غ.د	0.802	غ.د
		تجريبية	10	10.40								
2	النشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه	ضابطة	10	11.05	44.50	غ.د	0.420	غ.د	99.500	غ.د	0.018	غ.د
		تجريبية	10	9.95								
3	سلوك عجز التواصل مع الآخرين	ضابطة	10	10.30	48.00	غ.د	0.153	غ.د	103.00	غ.د	0.375	غ.د
		تجريبية	10	10.70								
4	السلوك العدواني	ضابطة	10	9.70	42.00	غ.د	0.610	غ.د	97.00	غ.د	0.248	غ.د
		تجريبية	10	11.30								
5	إجمالي المقياس	ضابطة	10	6.38	45.97	غ.د	0.207	غ.د	100.87	غ.د	0.360	غ.د
		تجريبية	10	4.92								

وصف إعداد أدوات الدراسة:

أولاً مقياس الاضطرابات السلوكية لأطفال التوحد:

لاحظت الباحثة عند القيام بمسح التراث النظري المتعلق بالاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين عدم توافر أي أداة في البيئة المحلية عن الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين، لذا كان ضرورياً أن يكون أحد أهداف هذه الدراسة هو القيام بإعداد مقياس الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين.

خطوات تصميم المقياس:

قامت الباحثة بإتباع الخطوات التالية في إعداد المقياس:

الاطلاع على البحوث والدراسات السابقة العربية والأجنبية ذات الصلة بموضوع الدراسة، وما بها من مقاييس واستمارات واختبارات.

تحديد المعنى الدقيق لمفهوم الاضطراب السلوكي لدى الأطفال التوحديين.

تحديد الأبعاد التي يتناولها المقياس طبقاً للتعريف الإجرائي للاضطرابات السلوكية في الدراسة الحالية ويتناول الأبعاد الأربعة التالية:

1 - سلوك إيذاء الذات ونوبات الغضب. 2 - النشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه.

3 - سلوك عجز التواصل مع الآخرين. 4 - السلوك العدواني.

القيام بزيارات ميدانية لمدارس التربية الفكرية لاستطلاع آراء الأخصائيين والمشرفي وأهالي الأطفال حول سلوكيات الأطفال، وما هي أكثر السلوكيات المضطربة الشائعة لدى هؤلاء الأطفال.

قامت الباحثة بتجميع عدد كبير من العبارات بلغت حوالي (400) عبارة تضمنت أبعاد السلوك المضطرب عند هؤلاء الأطفال، وتم حذف العبارات المكررة أو التي تعطي نفس المعنى أو العبارات الصعبة فأصبحت (100) عبارة يشتكل كل بعد على (25) عبارة.

عرضت العبارات التي تم تجميعها على مجموعة من السادة أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في مجال (الطب النفسي، علم النفس، التربية الخاصة) لإبداء الرأي في مدى صلاحية المواقف والعبارات لتقدير الاضطرابات السلوكية للأطفال التوحديين ومدى دقة ووضوح العبارات من حيث الصياغة.

عرض المقياس بعد ذلك على عينة استطلاعية ممثلة للعينة التي سوف تجري عليها الدراسة وعددهم (11) طفلاً حيث تم تسليم مدرس أو مدرب تلك العينة الاستمارات الخاصة بالقائمة، مدون عليها الاسم (اسم الطفل)، المرحلة العمرية.

ويطلب من السادة المدرسين قراءة المقياس ثم يدونون الإجابة أمام كل بعد وتتم الإجابة بالتحديد على العبارات الخاصة بالأبعاد الأربعة، حيث يوجد أمام كل عبارة أربعة إجابات متدرجة وهي كالآتي: (دائماً، أحياناً، نادراً، أبداً).

تصحيح المقياس:

قامت الباحثة بتحديد تعليمات المقياس بصورة واضحة. وعلى المدرس الذي أمضى سنة دراسية كاملة مع الطفل أن يقوم بقراءة عبارات المقياس جيداً والإجابة في شكل متصل متدرج ينقسم إلى أربعة مستويات (دائماً، أحياناً، نادراً، أبداً) حيث تعطي الإجابة الدرجات (4، 3، 2، 1) على الترتيب.

حساب الثبات والصدق لمقياس الاضطرابات السلوكية لدى الطفل التوحدي:

تم تطبيقه على عينة استطلاعها قوامها (11) طفلاً ثم إعادة تطبيق نفس الاختبار على نفس أفراد العينة الاستطلاعية مرة أخرى بعد خمسة عشر يوماً.

الجدول (7) يوضح حساب معامل الارتباط بين درجات الأطفال في المرة الأولى للتطبيق ودرجاتهم في المرة الثانية

معامل الثبات	مستوى الدلالة
0.94	0.01

يتضح من الجدول (7) أن الاختبار يتسم بثبات عالي.

أيضاً قامت الباحثة بحساب الثبات بطريقة ألف كرونباخ على العينة الاستطلاعية، وقد تم حساب معامل ألفا كرونباخ للدرجات النهائية للمقياس الخاص بقياس الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين.

الجدول (8) يوضح معامل الثبات باستخدام طريقة ألف كرونباخ

معامل الثبات	مستوى الدلالة
0.91	0.01

ثانياً: صدق المقياس:

صدق المقياس هي قدرته على قياس ما وضع من أجله أو السمة المراد قياسها، وهناك طرق مختلفة لحساب الصدق، وقد اعتمدت الباحثة في الدراسة الحالية على حساب الصدق بالطرق التالية:

صدق المحكمين:

يعني عرض المقياس على مجموعة من السادة المحكمين المتخصصين في مجال علم النفس والتربية الخاصة لفحصها وإبداء الرأي حول مناسبة العبارات الخاصة بكل بعد، ومدى مناسبتها للهدف الذي أعدت من أجله، والتأكد من صحة وصياغة عباراتها بحيث تصف وصفاً واضحاً للأداء المراد قياسه.

الجدول (9) يوضح أسماء وبيانات السادة المحكمين

م	الاسم	الدرجة العلمية	التخصص	الجامعة
1	د. سعيد سالم المزروعي	دكتوراه	صحة نفسية	الشارقة (الإمارات)
2	د. خالد محمد التميمي	دكتوراه	علم نفس تربوي	الحصن (الإمارات
3	د. شمه صالح الفلاحي	دكتوراه	تربية خاصة	الإسكندرية (مصر)
4	يوسف محمد عبد الرحمن	ماجستير	تربية خاصة	طنطا (مصر)
5	أ. هاني حسني محمد	دبلوم مهني	علم نفس	المنوفية (مصر)
6	أ. خلود ناصر الشمسي	بكالوريوس	تربية خاصة	الحصن الإمارات
7	أ. مهند خالد الصفطي	بكالوريوس	تربية خاصة	بغداد (العراق)
8	أ. توفيق محمد الطباع	بكالوريوس	صحة نفسية	البتراء (الأردن)
9	أ. المتولي عبد الله الشمري	بكالوريوس	تربية خاصة	البصرة (العراق)

ثانياً: قائمة تشخيص إعاقة التوحد:

وصف القائمة:

تهتم هذه القائمة بتشخيص حالات التوحد، وتحتوي على أربع مجالات رئيسية بالإضافة إلى (15) بنداً فرعياً.

المجال الأول: القصور النوعي في التواصل الاجتماعي.

المجال الثاني: القصور اللغوي.

المجال الثالث: نماذج للتكرارية في السلوك.

المجال الرابع: قصور في النمو.

طريقة التصحيح:

يتم تصحيح القائمة عن طريق إعطاء درجة واحدة أو درجتان أو ثلاثة درجات أو أربع درجات حسب درجة شدة القصور، أما في الحالات التي لا يوجد فيها قصور فتعطي الدرجة صفر.

ومعنى ذلك أنه كلما ارتفعت الدرجة كلما دل ذلك على حدة التوحد.

ثبات القائمة:

تم حساب ثبات القائمة عن طريق إعادة التطبيق وذلك على عينة تتكون (11) طفلاً وتم تطبيق القائمة بطريقة فردية على أفراد العينة ثم إعادة التطبيق بعد (21) يوماً وتم حساب معامل الارتباط بين التطبيق الأول والثاني، وكان معامل الارتباط (0.87) وهو معامل ارتباط يشير إلى درجة مقبولة من الثبات.

الصدق الظاهري للقائمة:

تم حساب صدق القائمة الظاهري بعرضها على عدد من المحكمين1* من أساتذة علم النفس والإرشاد النفسي والصحة النفسية للتأكد من صدق العبارات وصدق الترجمة، حيث تم حساب نسبة الاتفاق بينهم عن طريق استخدام حساب معامل الارتباط، ووجد أن هذه النسبة تصل إلى (0.90).

ثالثاً: البرنامج العلاجي باللعب:

أهداف البرنامج:

أولاً: الهدف العام للبرنامج:

إن الهدف العام والأساسي من إعداد برنامج علاجي هو خفض حدة بعض الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين الذين تتراوح أعمارهم بين 9-13 سنة.

1 * انظر: الجدول (9).

ثانياً: الأهداف الإجرائية للبرنامج:

أ - تنمية بعض السلوكيات الاجتماعية مثل الطاعة والنظام والتواصل مع الآخرين.

ب - تعديل بعض السلوكيات الخاطئة لدى الطفل التوحدي مثل: إيذاء الذات ونوبات الغضب والعدوان تجاه الآخرين، والنشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه.

ج - تنمية وعي الطفل بذاته وبالآخرين. د - تنمية قدرات الطفل العقلية والإدراكية.

هـ - زيادة فهم الطفل لبيئته. و - تنمية قدرة الطفل التوحدي للعمل في جماعة.

الاستراتيجيات التي تم الارتكاز عليها في تنفيذ البرنامج:

أ - التعزيز الاجتماعي الموجب: كالتحفيز والتشجيع والإثابة، والمديح والثناء على الطفل أو احتضانه، والإثابة المادية، وتتلخص في تقديم قطعة من الحلوى أو ما شابه ذلك (عزة محمد سليمان، 2006: 11).

ب - استخدام التوجيه: التوجيه يكون إما يدوياً أو لفظياً، ويقصد بالتوجيه اليدوي تلك المساعدة البدنية التي يقدمها المعلم أو المشرف لمساعدة الطفل المعاق على أداء المهارة المطلوبة (عبد الرحمن سيد، 2009: 196).

ج - استخدام أساليب التقليد: تستخدم أساليب التقليد عندما يقوم المعلم بأداء مهارة معينة، ويتوقع من الطفل تقليده في أدائها ويمكن تعليم الطفل التقليد من خلال سلسلة من المهام والخطوات وبمجرد أن يصبح الطفل قادراً على التقليد فإنه يمكنه من التدريب على بعض المهارات عن طريق تقليد شخص آخر يؤدي هذه المهارات سواء أكانت بصرية أم لفظية أم حركية (عبد الوهاب كامل، 2009: 230، 231).

دور الأسرة في تنفيذ البرنامج:

قبل البدء في تنفيذ البرنامج العلاجي أجرت الباحثة العديد من المقابلات

مع أمهات وآباء الأطفال وأوضحت لهم الهدف من البرنامج ومبرراته وكيفية تنفيذ بعض المهام في المنزل وأهمية الاشتراك بقدر الإمكان في اللعب مع الطفل وتدعيمه وإثابته باستمرار وتشجيعه على اللعب بألعاب مختلفة وعديدة، وأثناء تنفيذ البرنامج لاحظت الباحثة أن دافعية الآباء والأمهات نحو لعب الطفل قد زادت مما أدى إلى تنظيم لقاءات دورية أسبوعياً لتبادل الخبرات بين الأسر بعضها البعض، وقد استمرت توجيهات الباحثة طيلة تنفيذ البرنامج للأسرة حتى يحقق البرنامج العلاجي باللعب أهدافه المرجوة منه على أكمل وجه ممكن.

التطبيق الميداني لبرنامج اللعب:

قامت الباحثة بتحديد المدى الزمني للبرنامج وعدد الجلسات والزمن الذي تستغرقه كل جلسة وكذلك الأسلوب المستخدم في التنفيذ، وكان لابد من القيام بدراسة استطلاعية للتدريب على البرنامج.

تم تحديد مظاهر الاضطراب السلوكي لدى الأطفال التوحديين وذلك من خلال مقياس الاضطرابات السلوكية.

تم اختيار مجموعة من الألعاب والأنشطة المختلفة التي تتناسب مع قدرات وميول الطفل التوحدي.

أجريت مقابلة مع المشرفين الذين يعملون مع هذه الفئة من الأطفال لتوضيح الهدف من القيام بهذا البرنامج، وشرح الأنشطة المقدمة في البرنامج لهم.

تم اختيار مجموعة من الأنشطة والألعاب المختلفة منها: (ألعاب حسية، وحركية، ألعاب السوائل، ألعاب التشكيل، الألعاب الدرامية، ألعاب وتدريبات التنفس)، والتي قامت الباحثة بإعدادها.

المدى الزمني للبرنامج:

ينفذ البرنامج في حدود (6) أشهر، بواقع (4) جلسات في الأسبوع وذلك أيام السبت، الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء. وينفذ البرنامج في الفترة

من 1 - 4 - 2017م إلى 1 - 10 - 2017م.

ثم فترة المتابعة بعد شهر من تطبيق البرنامج في 1 - 10 - 2017 إلى 1 - 11 - 2017م.

ويتراوح زمن الجلسة من (35) دقيقة إلى (45) دقيقة وذلك لأن فترات الانتباه لدى هؤلاء الأطفال قصيرة، كما أنهم سريعي الملل وخاصة في الألعاب الفردية، ولكن هناك بعض الأنشطة والألعاب قد تستغرق وقت أكثر وخاصة في الألعاب الجماعية والزمن يتراوح من (60) إلى (90) دقيقة.

عرض النتائج ومناقشتها وتفسيرها:

أولاً: عرض ومناقشة نتيجة الفرض الأول: الذي ينص على «توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة الضابطة والتجريبية بعد تطبيق البرنامج لصالح المجموعة التجريبية».

وتم استخدام اختبار (ت) T. Test للتحقق من صحة هذا الفرض كأسلوب إحصائي بارامتري لحساب الفروق بين متوسط درجات كل أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة، بعد تطبيق البرنامج العلاجي باللعب وذلك على مقياس الاضطرابات السلوكية.

جدول (10) يوضح الفروق بين متوسطات درجات كل من أفراد المجموعة التجريبية والضابطة بعد تطبيق البرنامج في تطبيق الأبعاد للاضطرابات السلوكية على مقياس الاضطرابات السلوكية

مناقشة وتفسير نتيجة الفرض الأول:

يتضح للباحثة من خلال تفاصيل النتيجة الموضحة بالجدول (10) صحة الفرض الأول حيث أظهرت النتيجة أن هناك فروقاً إحصائية دالة في درجة الاضطرابات السلوكية بأبعادها الأربعة (إيذاء الذات، السلوك العدواني، العجز عن التواصل مع الآخرين، والنشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه)، بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية. وهذه النتيجة تؤكد بوضوح أن هنالك تحسن كبير حدث في سلوك المجموعة التجريبية كنتيجة لتطبيق برنامج العلاج باللعب عليهم.

وتأكد الدراسات السابقة على أن العلاج باللعب مكن أطفال المجموعة التجريبية من الانتباه للأنشطة والألعاب وتنفيذ المهام والاندماج –بقدر الإمكان- مع الأقران مما ساعد بدوره في خفض حدة السلوك الحركي المفرط، وأن العلاج باللعب أدى إلى انخفاض حدة السلوك العدواني لدى الأطفال التوحديين مع زيادة قدرتهم على الاندماج مع الأقران وزيادة القدرة إلى حد

م	الأبعاد	متوسط حسابي	الانحراف المعياري	الانحراف عن المتوسط	اختبار (ت) T.Test	م	الأبعاد	متوسط حسابي	الانحراف المعياري	الانحراف عن المتوسط	اختبار (ت) T.Test	الدلالة
		ضابطة بعد ن=10	تجريبية بعد ن=10	ضابطة بعد ن=10	تجريبية بعد ن=10			ضابطة بعد ن=10	تجريبية بعد ن=10	ضابطة بعد ن=10	تجريبية بعد ن=10	
1	إيذاء الذات ونوبات الغضب	92.7000	44.900	2.4518	5.5217	0.7753	1.7447	25.001	0.01
2	السلوك العدواني	91.1000	36.300	2.9231	7.2732	0.9244	2.3000	22.107	0.01
3	سلوك عجز التواصل مع الآخرين	95.6000	64.600	2.0656	5.6411	0.6532	1.7839	16.318	0.01
4	النشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه	92.6000	36.800	3.1693	7.9972	1.0022	2.5289	20.512	0.01

مـا علـى التعبيـر عـن الغضـب وعـدم إيـذاء الـذات وهـذا راجـع إلـى انصـراف الطفـل عـن ذاتـه والاتجـاه نحـو الآخريـن والأشـياء والاندمـاج معهـم.

وقـد ثبـت أن اللعـب يسـاعد الطفـل التوحـدي علـى الخـروج مـن عزلتـه وبالتالـي تقل حـدة السـلوك العدوانـي سـواء تجـاه الآخريـن أو تجـاه الـذات، وكل ذلـك يؤكـد علـى فاعليـة برنامـج العـلاج باللعـب.

ويمكـن تفسـير نتائـج هـذا الفـرض فـي ضـوء الإطـار النظـري للبحـث الحاليـة والـذي يؤكـد علـى أن اللعـب يسـاهم بشـكل كبيـر فـي إكسـاب الطفـل التوحـدي كفـاءة اجتماعيـة، ومعلومـات شـخصية، ومثـال علـى ذلـك حسـن اسـتغلال قدرتـه الحركيـة ممـا يكسـب هـذا الطفـل الاعتمـاد علـى النفـس وزيـادة التركيـز بشـكل جيـد (محمـد بـن أحمـد عبـد العزيـز، 2000: 114).

ثانيـاً: عـرض ومناقشـة نتيجـة الفـرض الثانـي: الـذي ينـص علـى «لا توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بيـن أفـراد المجموعـة الضابطـة قبـل وبعـد تطبيـق البرنامـج». وقـد تـم اسـتخدام اختبـار (ت) T. Test للتحقـق مـن صحـة هـذا الفـرض.

جدول (11) يوضح الفروق بين متوسط درجات المجموعة الضابطة في القياسين القبلي والبعد على مقياس الاضطرابات السلوكية

م	الأبعاد	متوسط حسابي		الانحراف المعياري		الانحراف عن المتوسط		اختبار (ت) T.Test	
		ضابطة قبل التطبيق	ضابطة بعد التطبيق	ضابطة قبل التطبيق	ضابطة بعد التطبيق	ضابطة قبل التطبيق	ضابطة بعد التطبيق	قيمة (ت) T.Value	الدلالة
		ن=10	ن=10	ن=10	ن=10	ن=10	ن=10		
1	إيذاء الذات ونوبات الغضب	92.9000	92.7000	2.8848	2.4518	0.9123	0.7753	0.617	0.05
2	السلوك العدواني	90.1000	91.1000	2.8460	2.9231	0.9000	0.9244	0.775	0.05
3	سلوك عجز التواصل مع الآخرين	96.3000	95.6000	1.7670	2.0656	0.5588	0.6532	0.814	0.05
4	النشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه	93.1000	92.6000	3.3149	3.1693	1.0483	1.0022	0.345	0.05
	إجمالي المقياس	372.4	372	4.2740	4.4222	1.3515	1.3984	0.408	0.05

ويتضح من الجدول (11) السابق أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة الضابطة قبل وبعد تطبيق البرنامج.

مناقشة وتفسير

نتيجة الفرض الثاني:

أكدت النتيجة الموضحة بالجدول (11) على صحة هذا الفرض حيث لم تتعرض أفراد المجموعة الضابطة للبرنامج العلاجي باللعب وبالتالي ظلوا يعانون من حدة الاضطرابات السلوكية لديهم وبشكل واضح.

وهذا يعني أن أفراد المجموعة الضابطة والتي لم تتعرض للبرنامج العلاجي يظلوا محصورين في عزلتهم نتيجة لعدم تعرضهم لأي تدريبات أو ألعاب أو مهارات تنمي من قدرتهم وتعدل من سلوكياتهم بحيث تصبح أكثر توافقاً، ولذلك تظل نسبة الاضطرابات السلوكية لديهم كما هي. وهذه النتيجة تؤكد أيضاً على صحة الفرض الأول الذي أثبت فاعلية برنامج العلاج باللعب مع أطفال التوحد.

ثالثـاً: عـرض ومناقشـة نتيجـة الفـرض الثالـث: والـذي ينـص علـى أنـه «توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بيـن أفـراد المجموعـة التجريبيـة قبـل تطبيـق البرنامـج وبعـد تطبيقـه لصالـح القيـاس البعـدي مـن حيـث تخفيـف حـدة الاضطرابـات السـلوكية».

وللتحقـق مـن صحـة هـذا الفـرض تـم اسـتخدام اختبـار (ت) T. Test، وذلـك لتوضيـح دلالـة الفـروق بيـن أطفـال المجموعـة التجريبيـة فـي القياسـين القبلـي والبعـدي بالنسـبة للأبعـاد الأربعـة للاضطرابـات السـلوكية وذلـك علـى مقيـاس الاضطرابـات السـلوكية، كمـا سـيوضحه الجـدول التالـي.

الجـدول (12) يوضـح الفـروق بيـن متوسـط درجـات المجموعـة التجريبيـة فـي القياسـين القبلـي والبعـدي علـى مقيـاس الاضطرابـات السـلوكية للأطفـال التوحدييـن

من خلال الجدول (12) يتضح صحة الفرض الثالث وهو «أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج وبعد تطبيقه لصالح القياس البعدي من حيث تخفيف حدة الاضطرابات السلوكية لدى أطفال المجموعة التجريبية».

مناقشة وتفسير

نتيجة الفرض الثالث:

بالكشف عن قيمة (ت) وجد أنها دالة إحصائياً عند مستوى (0.05). وتؤكد النتيجة الموضحة بالجدول (11) على صحة هذا الفرض حيث إن أفراد المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج العلاجي باللعب عليهم كانوا مثلهم مثل أفراد المجموعة الضابطة يعانون من حدة الاضطرابات السلوكية ولكن بعد تطبيق البرنامج العلاجي باللعب أصبحت المجموعة التجريبية أكثر فعالية مما أدى إلى خفض حدة الاضطرابات السلوكية لديهم بشكل واضح.

ويمكن تفسير ذلك بأن أطفال المجموعة التجريبية بعد ممارستها للبرنامج العلاجي باللعب أصبحت أكثر فعالية ونشاطاً، فكل طفل من خلال

م	الأبعاد	متوسط حسابي		الانحراف المعياري		الانحراف عن المتوسط		اختبار (ت) T.Test		
		ن=10	ن=10	ن=10	ن=10	ن=10	ن=10	قيمة (ت) T.Value	الدلالة	
		تجريبية قبل التطبيق	تجريبية بعد التطبيق	تجريبية قبل التطبيق	تجريبية قبل التطبيق	تجريبية قبل التطبيق	تجريبية بعد التطبيق			
1	إيذاء الذات ونوبات الغضب	92.9100	44.9000	2.3310	5.5267	0.7371	1.7477	25.306	0.05	
2	سلوك العدواني	90.700	36.3000	2.3594	7.2732	0.7461	2.3000	22.498	0.05	
3	سلوك عجز التواصل مع الآخرين	96.4000	64.6000	1.5776	5.6411	0.4989	1.7839	17.168	0.05	
4	**النشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه**	92.500	36.8000	3.2059	7.9972	1.0138	2.5289	20.444	0.05	
	إجمالي المقياس	372.51	182.6	4.6007	17.6836	1.4549	5.5921	39.512	0.05	

الألعاب استطاع أن ينخرط بكل كيانه في الألعاب والأنشطة المختلفة التي يحتوي عليها البرنامج ليتيح له فرص التنفيس عن الطاقة الزائدة.

بالإضافة إلى ذلك فإن العلاج باللعب بوصفه أحد أنواع العلاج النفسي الجماعي اعتمد على التفاعل الاجتماعي من خلال العمل الجماعي والمشاركة مما ساعد على زيادة مهارات التواصل مع الآخرين وكيفية التصرف بشكل مقبول إلى حد ما في المواقف الاجتماعية مع استغلاله طاقته بشكل بناء من خلال تعلم العديد من المهارات والسلوكيات المقبولة من خلال اللعب وذلك في إطار من الشعور بالأمن، وبهذا ثبت صحة الفرض الثلاث كما ثبتت فاعلية برنامج العلاج باللعب مع الأطفال التوحديين.

رابعاً: عرض ومناقشة نتيجة الفرض الرابع: الذي ينص على أنه «توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (1) ودرجاتهم في التطبيق التالي لفترة المتابعة (2) لمقياس الاضطرابات السلوكية لصالح القياس البعدي للمتابعة (2).

وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام اختبار (ت) T.Test، وذلك لتوضيح دلالة الفروق بين أطفال المجموعة التجريبية في البعدي (1)، والتطبيق التالي لفترة المتابعة (2) على مقياس الاضطرابات السلوكية، كما سوف يتبين في الجدول (12) نتائج هذا التحليل.

الجدول (13) يوضح دلالة الفروق بين أطفال المجموعة التجريبية في القياسين البعدي (1) والمتابعة (2) بالنسبة للأبعاد في الاضطرابات السلوكية وذلك على مقياس الاضطرابات السلوكية للأطفال التوحديين.

من الجدول (13) يتضح لنا أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين التطبيق البعدي (1)، والتطبيق (2)، لصالح التطبيق البعدي (2) في الأبعاد الأربعة للاضطرابات السلوكية، مما يدل على استمرارية فاعلية وتأثير البرنامج العلاجي باللعب على المجموعة التجريبية في فترة المتابعة أي في القياس البعدي (2).

ونجد أنه من حيث المتوسطات كان متوسط درجات المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي (1) كانت (182.6) درجة في حين كانت درجات نفس المجموعة في التطبيق البعدي (2) كانت (172.3) وقيمت (ت) = 1.102 وهي دالة إحصائياً عند مستوى (0.05).

وهذا يعني أن الفروق التي حدثت بين التطبيق البعدي (1)، والبعدي (2) في الأبعاد الأربعة للاضطرابات السلوكية كانت لصالح التطبيق البعدي (2).

مناقشة وتفسير نتيجة الفرض الرابع:

تؤكد النتيجة الموضحة بالجدول (13) على صحة هذا الفرض حيث أدى استمرار العلاج باللعب وخاصة من خلال الأسرة التي أدركت قيمة اللعب وأهميتها مع الطفل التوحدي مما زاد من دافعية الأسرة

م	الأبعاد	متوسط حسابي		الانحراف المعياري		الانحراف عن المتوسط		اختبار (ت) T. Test	
		ن=10	ن=10	ن=10	ن=10	ن=10			
		تجريبية بعد (1)	تجريبية بعد (2)	تجريبية بعد (1)	تجريبية بعد (2)	تجريبية بعد (1)	تجريبية بعد (2)	قيمة (ت) T. Value	الدلالة
1	إيذاء الذات ونوبات الغضب	44.9000	42.500	5.5267	6.3279	1.7477	2.0014	0.903	0.05
2	السلوك العدواني	36.3000	33.7000	7.2732	6.3644	2.3000	2.0442	0.845	0.05
3	سلوك عجز التواصل مع الآخرين	64.6000	61.5000	5.6411	4.9272	1.7839	1.5581	1.209	0.05
4	النشاط الحركي المفرط ونقص الانتباه	36.8000	34.6000	7.9972	8.4748	2.5289	2.6800	0.597	0.05
	إجمالي المقياس	182.6	172.3	17.6836	17.1351	5.5921	5.1231	1.201	0.05

لتلقي المزيد من التوجيهات التي قدمتها لهم الباحثة أثناء تطبيق البرنامج وقامت الأسرة بتنفيذ العديد من الأنشطة والألعاب التي جاءت في برنامج البحث الحالي سواء عند تنفيذ البرنامج أو بعد الانتهاء من تطبيقه مما ساعد على استمرار انخفاض حدة الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين بشكل واضح ودال إحصائياً.

أيضاً تؤكد النتيجة أن استمرارية البرامج العلاجية وخاصة تلك التي تحتوي على أنشطة وألعاب تساعد على خفض حدة الاضطرابات السلوكية لدى الأطفال التوحديين.

وترجع الباحثة استمرارية وفعالية البرنامج العلاجي باللعب إلى استمرار الأسرة في مساعدة الطفل التوحدي على اللعب في المنزل ومشاركته في بعض ألعابه بالإضافة إلى أن اللعب يسمح للطفل بالتفاعل مع الآخرين وبالاسترخاء فكل الألعاب لها قيمة علاجية حيث يساعد الطفل على استغلال طاقاته الزائدة في تعلم العديد من المهارات السلوكية المرغوبة وإقامة علاقات بناءة بقدر الإمكان مع الآخرين بدلاً من استغلالها في إيذاء ذاته أو في الاعتداء على الآخرين، ولذلك فإن البرنامج حقق الغرض المنشود -نتيجة لاستمرار الأسرة في مساعدة الطفل على اللعب بانتظام- وباستمرار تأثيره حتى بعد الانتهاء من تطبيقه بشهر واحد فقط.

خاتمة الدراسة:

إن العلاج باللعب –شأنه في ذلك شأن معظم أساليب العلاج النفسي- يتناول الشخصية ككل ويؤثر عليها بشكل عام ومن الصعب توجيهها نحو جانب معين أو جزئية محددة، كما هو الحال على سبيل المثال بالنسبة للعلاج بالعقاقير وعلى هذا فقد يحدث أن يحقق العلاج أهدافاً لم توضع له مسبقاً. وترى الباحثة أنه من الضروري قبل البدء في جلسات أي برنامج علاجي أن يقوم الأطفال على التحرر من مشاعر العزلة والخوف والجمود والانسحاب وترك النفس على سجيتها بدون توتر أو انفعال وهذا

ما انعكس على أداء الجلسات العلاجية حيث تميزت هذه الجلسات بقدر كبير من التلقائية. كما أن تدريبات الحواس تؤدي إلى مساعدة الأطفال على اكتساب الثقة بأنفسهم. وأن للألعاب الحركية قدرة هائلة في مساعدة الأطفال على التخلص من مشاعر الرهبة والخوف والإحجام وزيادة قدرتهم على التعامل السليم في المكان الذي يتواجدون فيه كما زادت من قدرتهم على التآلف مع بعضهم البعض. وترجع الباحثة فاعلية البرنامج إلى أسلوب تنظيم الجلسات وتوقيته المناسب بالنسبة للأطفال وهو الوقت الفاصل بين الحصص الدراسية المخصصة لهم حيث كان التوقيت بمثابة تنفيس لهؤلاء الأطفال لكسر حاجز العزلة، مما أدى إلى تحقيق الغرض المنشود على أكمل وجه.

التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليه الباحثة من نتائج لبرنامج العلاج باللعب في خفض حدة بعض الاضطرابات السلوكية لدى عينة من الأطفال التوحديين، خرجت الباحثة بمجموعة من التوصيات:

1 - الاهتمام ببحث المشكلات النفسية والاجتماعية للأطفال التوحديين ومعرفة احتياجاتهم وميلوهم وقدراتهم المختلفة للعمل على تنميتها.

2 - وضع مناهج تربوية وتعليمية وتأهيلية تتناسب مع حاجات واحتياجات وقدرات هؤلاء الأطفال تتفق مع إمكانياتهم الجسمية والحسية والعقلية والمعرفية.

3 - إتاحة الفرصة للأطفال التوحديين بالتواجد مع الأطفال الأسوياء من خلال عملية الدمج في المدارس والفصول.

4 - ضرورة توفير البرامج التي تعلم الطفل التوحدي كيف يلعب وكيف ينمو مما تؤهلهم بأن يعيشوا بطريقة طبيعية وتعمل على تنمية مهاراتهم الاجتماعية حيث يعتبر اللعب كأداة للنمو.

5 - تنظيم برامج مخصصة للآباء وأمهات الأطفال التوحديين يتعلمون

من خلالها أساليب معاملة أطفالهم وبذلك يستطيعون معاونة المؤسسة أو المدرسة معاونة تامة في كافة البرامج التي تقدم لأطفالهم.

قائمة المراجع:

1 - إجلال محمد سري (2000): علم النفس العلاجي، عالم الكتب، القاهرة.

2 - أحمد عكاشة (2008): الطب النفسي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

3 - السيد عبد اللطيف الكردي (2005): المرجع في التوحد «دليل الأسرة والمتخصصين في التشخيص والعلاج»، دار الكتاب الجامعي، غزة-فلسطين، ط1.

4 - انتصار يونس (2003): السلوك الإنساني، دار المعارف، القاهرة.

5 - إيمان محمد أبو ضيف (2008): سوء معاملة الطفل وعلاقتها ببعض الاضطرابات السلوكية بحث تشخيصي علاجي، كلية التربية بسوهاج، قسم الصحة النفسية.

6 - جمال القاسم، ماجدة عبيد، عماد الزغبي (2000): الاضطرابات السلوكية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

7 - جمال محمد سعيد الخطيب (2003): تعديل سلوك الأطفال المعوقين، دليل الآباء والمعلمين، ط1، دار إشراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

8 - حامد عبد السلام زهران (2007): الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط3، عالم الكتب، القاهرة.

9 - حسن مصطفى عبد المعطي (2001): الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة الأسباب- التشخيص- العلاج، موسوعة علم النفس العيادي (4)، دار القاهرة، القاهرة.

10 - حسين فايد (2006): السلوك العدواني، أكاديمية البحث العلمي، القاهرة.

11 - زينب محمود شقير (2002): نداء من الابن المعاق، سلسلة سيكولوجية الفئات الخاصة والمعوقين، المجلد الأول، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

12 - عادل أحمد عز الدين الأشول (1987): موسوعة التربية الخاصة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

13 - عبد العزيز الشخص وعبد الغفار الدمياطي (1994): قاموس التربية الخاص وتأهيل غير العاديين، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

14 - عبد الله حزام العتيبي (2014): المهارات الحياتية لدى الأطفال التوحديين، در المسيلة للنشر والتوزيع، ط1، الكويت.

15 - عثمان لبيب فراج (2002): الإعاقات الذهنية في مرحلة الطفولة، المجلس العربي للطفولة والتنمية (الأجفندا)، ط1، القاهرة.

16 - علا عبد الباقي (2001): اضطراب التوحد (الأوتيزم) أعراضه- أسبابه وطرق علاجه، دار عالم الكتب، ط1، القاهرة.
17 - فاروق السيد عثمان (2005): سيكولوجية اللعب والتعلم، دار المعارف، القاهرة.
18 - فتحي السيد عبد الرحيم (2000): سيكولوجية الأطفال غير العاديين واستراتيجيات التربية الخاصة، ج2، ط4، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.
19 - فريد معتوق (2003): معجم العلوم الاجتماعية، ط1، أكاديمية انترناشونال، بيروت.
20 - كاميليا عبد الفتاح (2008): سيكولوجية العلاج الجماعي للأطفال، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة.
21 - محمد بن أحمد الفوزان (2010): سيكولوجية الأطفال غير العاديين، دار النهضة للطباعة، ط3، القاهرة.
22 - مصطفى نوري القمش (2011): اضطرابات التوحد «الأسباب، التشخيص، العلاج، دراسات عملية»، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1.
23 - نادية إبراهيم عبد القادر أبو السعود (2000): الطفل التوحدي في الأسرة، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الإسكندرية.

المراجع المترجمة:

1 - الرابطة الأمريكية للطب النفسي (2004): الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية المعايير التشخيصية، ترجمة: أمين السماك، عادل مصطفى، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
2 - توماس أولتمانز وآخرون (2003): بحث حالات في علم النفس المرضي، ترجمة: رزق سند إبراهيم ليلة، تقديم: لويس كامل مليكة، كلية الآداب، قسم علم النفس، جامعة عين شمس.
3 - كلارك موستاكس (2000): علاج الأطفال باللعب، ترجمة: عبد الرحمن سليمان، دار النهضة المصرية، القاهرة.

الرسائل الجامعية:

1 - سميرة علي جعفر (2002): تعديل أكثر المشكلات السلوكية شيوعاً لدى أطفال المدرسة الابتدائية باستخدام برنامج إرشادي في اللعب، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة.
2 - صبحي عبد الفتاح محمد الكفوري (2002): تعديل السلوك العدواني لدى الأطفال باستخدام برنامج للعلاج الجماعي باللعب وبرنامج للتدريب على المهارات الاجتماعية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، قسم علم النفس، جامعة طنطا.
3 - هدى أمين عبد العزيز أحمد (2009): الدلالات التشخيصية للأطفال المصابين بالأوتيزم

(الذاتوية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم علم النفس، جامعة عين شمس.
المجلات والدوريات:
1 - سهى أحمد أمين (2011): مدى فعالية العلاج في تحسن حالات الأطفال ذوي التوحد، المؤتمر الدولي السادس لمركز الإرشاد النفسي، مايو، المجلد الرابع، كلية التربية، جامعة عين شمس.

أثر معايير حوكمة الشركات على كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف السودانية

(دراسة ميدانية)



د. علاء الدين مساعد يوسف عمر

- أستاذ مساعد - قسم المحاسبة
- كلية علوم الإدارة والاقتصاد - جامعة البطانة

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلي التعرف علي أثر معايير الحوكمة(حقوق المساهمين، المعاملة المتساوية للمساهمين، أصحاب المصالح، الإفصاح والشفافية، ومسئوليات مجلس الإدارة) علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف السودانية.أعتمدت الدراسة علي المنهج الوصفي التحليلي، وصممت إستمارة إستبيان ووزعت علي عينة الدراسة وتم إستخدام الأساليب الإحصائية لتحليا البيانات ومناقشة النتائج.

توصلت الدراسة إلي مجموعة من النتائج أهمها أن الشفافية والإفصاح عن البيانات المالية المتعلقة برأس المال العامل يؤديان إلي إجتزاب رؤوس الأموال والحفاظ علي حقوق المساهمين، كما أن أعضاء مجلس الادارة يعملون علي تحقيق مصالح المصرف والمساهمين، وأن المساواة بين جميع المساهمين تعتبر من أهم ضوابط الحوكمة. وأوصت الدراسة بضرورة العمل علي تحقيق التوازن والعدالة في المصالح لكافة الأطراف لتفعيل دور معايير الحوكمة و كذلك رفع مستوي الإهتمام بحقوق المساهمين.

Impact of Companies Governance Standards on efficient Working Capital Management in Sudanese banks

ABSTRACT:

The objective of this study was to identify the impact of companies governance standards (shareholders' equity, equal treatment of shareholders, stakeholders, disclosure and transparency, and responsibilities of the Board) on the efficiency of working capital management in Sudanese banks. Statistical methods were used to analyze the data and discuss the results. The study concluded that the transparency and disclosure of financial statements related to working capital lead to the accumulation of capital and the preservation of shareholders' rights. The members of the Board of Directors are working to achieve the interests of the Bank and the shareholders. The study recommended the need to work to achieve balance and fairness of interests for all parties to activate the role of standards of governance, and raise the level of interest in shareholders' rights.

1 - المحور الأول: الإطارالعام للدراسة:

تمهيد:

نتيجة لتأثير الحوكمة على المصارف وعلى كفاءة إدارة رأس المال فقد أورد الداعور وعايد (2012م)، أن «الأحداث التي وقعت خلال العقود الماضية في المؤسسات الإقتصادية والمصارف مثل كارثة مصرف الإئتمان والتجارة الدولي وأزمة المدخرات والقروض في الولايات المتحدة، والفجوة القائمة بين مكافآت الإدارة وأداء الوحدات الإقتصادية والمصارف، أدت وجود صعوبة في جذب رؤوس الأموال الكافية، لأن هذه الأزمات تُكلف المستثمرين مليارات الدولارات وتعمل على إضعاف القدرة المالية للمصارف والوحدات الإقتصادية وأصبح المستثمر يُطالب بإثبات أن المصارف والوحدات الإقتصادية تُدار وفق ممارسات العمل السلمية التي تقل الي حد أدنى ممكن من إحتمالات الفساد والأداء لإداري ، وبمعنى آخر أن تكون المصارف والوحدات الإقتصادية على درجة عالية من الشفافية والوضوح وجعلها قادرة على تحمُل النقد من قبل المستثمرين الدوليين، لأن ذلك أصبح أساساً لإذدهار ونمو المصارف والوحدات الإقتصادية سواء كانت المحلية والولائية والدولية. حتى تتمكن المؤسسات من مواكبة تطورات العصر ومن خلال المبادئ التي تحكم حماية أصحاب الأسهم أو حقوق وتحديد الوظائف لأصحاب حقوق الملكية لابد لها أن تهتم بموضوع حوكمة الشركات لما له من خصوصية تأخذ أهميتها من الدور المتنامي الذي تلعبه هذه المؤسسات في الحياة الإقتصادية والإجتماعية وبالتالي صيانة المخاطر والتداعيات الناجمة من الممارسات غير السلمية في الأنشطة الإنتاجية والخدمية حيث أنه لايمكن أن تكون هناك رقابة فعالة وتأخذ دورها بجدية وتعمل بكفاءة دون وجود إدارة سليمة ورشيدة ذات كفاءة ومعرفة وخبرة عالية بمتطلبات الأنشطة المختلفة على إعتبار أن ذلك هو الهدف الأساسي لأي نظام اقتصادي سليم ومعافى وآمن.

عـرف هنـدي (2000م) رأس المـال العامـل بأنـه «مجمـوع الأصـول المتداولـة التـي عـادةً مـا تتحـول إلـى سـيولة نقديـة خـلال العـام وهـي تتضمـن بالإضافـة للنقديـة الإسـتثمارات المؤقتـة والذمـم والمخـزون السـلعي. وعُـرف بأنـه الإسـتثمار فـي الأصـول المتداولـة التـي تسـتخدمها الشـركات لفتـرة زمنيـة قصيـرة غالبـا عـام. وعُـرف أيضـاً بأنـه الأمـوال التـي تسـتغلها الشـركة فـي إسـتثمارات قصيـرة الأجـل وهـي تتكـون مـن النقديـة والأوراق الماليـة قصيـرة الأجـل، وحسـاب المدينيـن والمخـزون، حيـث ان إجمالـي الأصـول المتداولـة عبـارة عـن مجمـوع بنـود رأس المـال العامـل».

عرفـه الميدانـي (2006م) بأنه»مجمـوع مكونـات الأصـول المتداولـة التـي يمكـن تحويلهـا الـي نقـد خـلال فتـرة زمنيـة قصيـرة. يقصـد بإجمالـي راس المال العامـل حجـم الإسـتثمار المتـاح فـي الأصـول قصيـرة الأجـل وهو الإسـتثمار في النقديـة والإسـتثمارات المؤقتـة والذمـم المدينـة والمخـزون السـلعي وغيرهـا».

يسـتطيع الباحـث تعريـف إجمالـي رأس المـال العامـل بأنـه، الاسـتثمارات الماليـة قصيـرة الأجـل التـي تتحـول الـي نقديـة خـلال العـام أو الـدورة التشـغيلية أيهمـا أطـول وتشـمل النقـد والأوراق الماليـة قصيـرة الأجـل والحسـابات المدينـة والمخـزون السـلعي.

12- **مشكلة البحث:**

فـي ظـل التطـورات العالميـة والمحليـة أصبحـت كفـاءة رأس المـال العامـل تعتمـد علـى العديـد مـن العوامـل الأساسـية والتـي مـن ضمنهـا مؤشـر الرقابـة الماليـة علـى الجهـاز المصرفـي وتعـد الرقابـة الداخليـة الملقـاة علـى عاتـق مجلـس الإدارة مـن قبـل بنـك السـودان المركـزي مـن أبـرز هـذه الأنـواع لمـا لهـا مـن أثـر بالـغ فـي ضبـط كفـاءة رأس المـال العامـل فـي المصـارف فـي إطـار مايعـرف بالحوكمـة أو الضبـط المؤسسـي كأسـلوب إداري حديـث يهـدف إلـى تنظيـم العلاقـة بيـن المسـاهمين وأصحـاب المصالـح.

بنـاءً علـى ماسـبق تتمثـل مشـكلة البحـث فـي تسـاؤل رئيسـي: ماهـو أثـر

تطبيق معايير الحوكمة علي كفاءة إدارة رأس المال العامل في المصارف السودانية؟ وأسئلة فرعية كالأتي:

ماهو أثر تطبيق معيار حماية حقوق المساهمين علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف؟

ماهو أثر تطبيق المعاملة المتكافئة لجميع المساهمين علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف ؟.

ماهو أثر الإعتراف بحقوق أصحاب المصالح علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف ؟.

ماهو أثر تطبيق معيار الإفصاح والشفافية علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف

ماهو أثر تطبيق معيار مسئوليات مجلس الإدارة علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف ؟

3-1 أهداف الدراسة:

تتلخص الأهداف الرئسية لهذه الدراسة في النقاط التالية:

معرفة أثر تطبيق معيار حماية حقوق المساهمين علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف.

التعرف علي أثر تطبيق المعاملة المتكافئة لجميع المساهمين علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف.

معرفة أثر تطبيق معيار الإعتراف بحقوق أصحاب المصالح علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف.

معرفة أثر تطبيق معيار الإفصاح والشفافية علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف.

معرفة أثر تطبيق معيار مسئوليات مجلس الإدارة علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف.

4-1 متغيرات الدراسة:

تتمثل متغيرات الدراسة فى الأتي:

1-4-1 المتغير الثابت:

كفاءة إدارة رأس المال العامل فى المصارف السودانيه.

1-2-1 المتغيرات المستقلة:

تتمثل المتغيرات المستقله للدراسة فيما يلى:

معيار حماية حقوق المساهمين.

المعاملة المتكافئة لجميع المساهمين.

الإعتراف بحقوق أصحاب المصالح.

معيار الإفصاح والشفافية.

معيار مسئوليات مجلس الإدارة.

5-1 فرضيات الدراسة:

على ضوء ماتم طرحه من تساؤلات حول موضوع الدراسة وأملاً لتحقيق أهدافها يمكن تحديد الفرضية الرئيسية لهذة الدراسة في: يؤثر تطبيق معايير الحوكمة علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف السودانية.

وتتفرع من هذه الفرضية مجموعة من الفرضيات كالاتي:

يؤثر تطبيق معيار حماية حقوق المساهمين علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف.

يؤثر تطبيق المعاملة المتكافئة لجميع المساهمين علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف.

يؤثر الإعتراف بحقوق أصحاب المصالح علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف.

يؤثر تطبيق معيار الإفصاح والشفافية علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف.

يؤثر تطبيق معيار مسئوليات مجلس الإدارة علي كفاءة إدارة رأس المال

العامل بالمصارف

1-6 أهمية الدراسة:

يستمد البحث أهميته من الاعتبارات الآتية:

خصوصية رأس المال العامل في الجهاز المصرفي والمعايير المتبعة في رقابته. لارتباطه بسيولة المنشأة واستمراريتها.

تأكيد أهمية معايير الحوكمة في قياس كفاءة إدارة رأس المال المصرفي.

تنبيه الجهات الإشرافية والرقابية لحل المشاكل التي تعترض إدارة رأس المال العامل المصرفي.

1-7 هيكل وتنظيم البحث:

تحققاً لأهداف الدراسة والإجابة علي تساؤلاتها البحثية فقد تم تقسيم الدراسة الي إلي محاور، يتناول المحور الأول خطة الدراسة، والمحور الثاني يتناول الدراسات السابقة، ويتناول المحور الثالث الإطار النظري للدراسة، بينما يتناول المحور الرابع الدراسة الميدانية، أما المحور الخامس فيتناول النتائج والتوصيات.

2 - المحور الثاني: الدراسات السابقة:

2-1 دراسة البساطي (2004م): تمثلت مشكلة الدراسة في أن المصارف السودانية تعاني من الضعف المالي والإداري في بناء قاعدة إدارية ومالية وفي تحريك روؤس الأموال وتوفير التويل لمختلف الأنشطة الأقتصادية والتجارية. وظهرت أهمية هذه الدراسة نتيجة لإتساع رقعة النظام المصرفي وزيادة حجم المعاملات المالية مماجعل الرقابة المصرفية تكتسب أهميه كبري في حماية النظام المصرفي والتي بدونها لا تتمكن المصارف من المحافظة علي حقوق المودعين. هدفت هذه الدراسة الي التعرف علي الموجهات والمبادي الرقابية للجنة بازل ومرتكزات الرقابة الإحترازية ونسبة ملاءة رأس المال والمخاطر التي تؤثر علي الأصول، استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والإحصائي، توصلت هذه الدراسة

الـي مجموعـه مـن النتائـج أهمهـا أن الجهـاز المصرفـي يواجـة بتحديـات ومشـاكل مختلفـة تحـد مـن قدرتـه وانطلاقـه نحـو القيـام بالـدور المطلـوب فـي التنميـة الاقتصاديـة والاجتماعيـة وأن المصـارف العاملـة تعانـي مـن الضعـف المالـي فـي هياكلهـا الماليـة المختلفـة ويتمثـل ذلـك فـي تدنـي قاعـدة رأس المـال. أوصـت الدراسـة بلإسـتمرار فـي بتحسـين وسـائل الرقابـة المصرفيـة وضبـط المصروفـات الإداريـة، وضـرورة الإلتـزام بتطبيـق المعاييـر المحاسـبية.

2-2 دراسـة عبـد الحليـم (2005م): هدفـت هـذه الدراسـة إلـي التعـرف علـي مجهـودات بنـك السـودان المركـزي فـي تطبيق مبـادي الحوكمة علـي المصارف السـودانية، ومعرفـة مـدي تطبيـق المصـارف للحوكمـه. وخلصـت الدراسـة الـي مجموعـه مـن النتائـج أهمهـا أن المصـارف السـودانية تطبـق الحوكمـة بنسـبه كبيـره وهـذا جانـب إيجابـي أمـا الجانـب السـلبي تمثـل فـي أن نسـبة التعثـر المصرفـي تصـل الـي 27%. وأوصـت الدراسـة بإجـراء المزيـد مـن الدراسـات عـن الحوكمـة فـي المصـارف.

3-2 دراسـة بانقـا (2011م) تناولـت هـذه الدراسـة تطبيـق مبـادي حوكمـة الشـركات وأثـره علـي الأداء المالـي وقـد هدفـت الـي عـرض بعـض الإسـهامات لنظريـة والمفاهيميـه لقضايـا الحوكمـة وبيـان أثـر تطبيـق معاييـر الحوكمـة علي الأداء المالـي للمصـارف السـودانية، واهتمـت هـذه الدراسـة بمفهـوم الحوكمـة فـي البيئـة المصرفيـة باعتبـاره الركـن الاساسـي مـن أركان الاصـلاح الاداري وكذلـك أهميتـه فـي تحسـين وتعزيـز جوانـب الاداء المالـي وجـودة التقاريـر. اعتمـدت هـذه الدراسـة علـي المنهـج الوصفـي التحليلـي. وخلُصـت الدراسـة الـي مجموعـه مـن النتائـج أهمهـا أن هنالـك وعيـاً متنامياً بتطبيـق مبـادي الحوكمـة داخـل الجهـاز المصرفـي، وبعـض المسـاهمين وأعضـاء مجلـس الإدارة ليـس لهـم علـم بطـرق تطبيـق الحوكمـة. وأوصـت الدراسـة بالـزام المصـارف بالإفصـاح عـن البيانـات غيـر الماليـة فـي التقريـر السـنوي.

4-2 دراسـة التميمـي، القيسـي (2012م): هدفـت هـذه الدراسـة إلـي إختبـار أثـر

أدوات الحوكمة الداخلية في إدارة رأس المال العامل وإنعكاس كلٍ منهما علي أداء القيمة الأقتصادية المضافة. وركزت الدراسة علي عدد من أدوات الحوكمة الداخلية، من أهمها (مجلس الإدارة، وتعويضات المدراء، وهيكل الملكية، ولجنة التدقيق الداخلي)، وإعتمدت في ذلك علي دراسة تطبيقية لعينة من (93) شركة من شركات المساهمة العامة الصناعية المدرجة في بورصة عمان للأوراق المالية خلال الفترة من 2000 حتي عام 2010م. وقد توصلت الدراسة إلي وجود أثر معنوي لكل من ملكية كبار المساهمين وحجم مجلس الإدارة علي صافي رأس المال العامل وإرتباطهما بعلاقة طردية، كما أوضحت وجود أثر معنوي لصافي رأس المال العامل علي القيمة الإقتصادية المضافة وإرتباطهما بعلاقة عكسية، وكذلك يوجد أثر معنوي لكل من كبار المساهمين لأسهم الشركة وحجم مجلس الإدارة علي القيمة الأقتصادية المضافة، كما يوجد أثر معنوي للأدوات الداخلية لحوكمة الشركات مجتمعة علي القيمة الأقتصادية المضافة في إختلاف صافي رأس المال العامل.

2-5 دراسة محمد (2012م): هدفت هذه الدراسة الي معرفة تطبيق مبادي الحوكمة ودورها في تعزيز ثقة الملاك وأصحاب المصالح الأخرى في المصارف السودانية. ومعرفة أوجه القصور والتحديات التي تُواجه المصارف في ظل تطبيق مبادي الحوكمة. اعتمدت الدراسة علي المنهج التحليلي الوصفي، وخلُصت الدراسة الي مجموعه من النتائج أهمها أن هنالك وعياً لدي الجهاز المصرفي السوداني بأهمية تطبيق مبادي وقواعد الحوكمة، وهنالك التزام لدي الجهاز المصرفي السوداني بوضع إطار قادر علي حماية ممارسة حملة الأسهم لحقوقهم. وخلُصت الدراسة إلي مجموعه من التوصيات أهمها الإسراع في مراجعه الأنظمة واللوائح وتطويرها بما يتلاءم مع متطلبات الفترة الحالية والمستقبلية وتفعيل أنظمة العقوبات علي الشركات المخالفة للنظم والتشريعات القانونية واعتماد لجنه وطنيه

للحوكمة من الجهات الإشرافيه والأكاديمية والمهنية.

6-2 دراسة بابكر (2014م): تناولت هذه الدراسة تقويم كفاءة رأس المال العامل بالمصارف السودانية، وهدفت الي التعرف علي ماهية إدارة رأس المال العامل وقد إنتهجت هذه الدراسة المنهج التاريخي لتتبع الدراسات السابقة والمنهج الوصفي التحليلي في تحليل البيانات بغرض الوصول الي نتائج تساهم في تقييم كفاءة ادارة رأس المال العامل في المصارف السودانية. توصلت الدراسة الي مجموعه من النتائج أهمها أن ضعف كفاءة الإدارة يساهم في ضعف كفاءة رأس المال العامل وعدم التخطيط المناسب والسياسات غير الكفؤه تؤثر في كفاءة رأس المال العامل وكذلك عوامل البيئةالداخليةوالخارجية تؤثر علي كفاءة رأس المال العامل.

3 - **المحور الثالث: الإطار النظري:**

يتناول هذا المحور مفهوم الحوكمة بصفة عامة وكذلك مفهوم الحوكمة في المصارف، وكذلك يتناول معايير الحوكمة إلي جانب علاقة هذة المعايير براس المال العامل بالمصارف السودانية.

3-1: **مفهوم الحوكمة:**

وردت مفاهيم وتعريفات عديدة للحوكمة حيث أن الشمرى (2008م)، عرفها بأنها (ذلك النظام الذي يتم من خلاله إدارة وتوجيه وتنظيم ومراقبة المؤسسات)، أو الإجراءات التي توجه وتدير الشركات وتراقب أداءها بحيث تضمن الوصول إلى تحقيق رسالتها من الأهداف المرسومة لها، بمعنى تتضمن مصالح جميع الأطراف (المدراء المستخدمون، العمال، المجهزون، الزبائن، والمراقبون، وأصحاب المصالح، والمساهمون والمجتمع).

لذا نقول أن الحوكمة أنها النظام الذي يتم من خلاله إدارة المؤسسات المالية والإدارية والمصارف وأحكام الرقابة على أداءها بالطريقة التي تحقق الإستخدام الأمثل لرأس المال العامل وتحقيق عائد أفضل للمساهمين والدائنين وجميع أصحاب المصالح.

أشار عبد الرحمن (2014م) نقلاًعن مطاوع (2009م)، أن «الحوكمة هي مجموعة القواعد والإجراءات التي تتبع لضبط وتنظيم العلاقات بين إدارات الشركات وملاكها و أصحاب المصالح فيها من أجل تحقيق كفاءة الأداء والفعالية وحفظ حقوق كل مساهم وتمكينهم من الرقابة وتقييم الأداء».

كما ذهب تشاركهام (2006م) Charkham، إلى أن «الحوكمة هي النظام التي تتم بموجبه إدارة البنوك ومراقبتها ابتغاء تحقيق غاياتها وهو النظام الذي يتعاملون بموجبه مع مصادر رؤوس أموالها».

ذكر (2009م (Bhimahi, «أن الحوكمة مجموعة من القواعد المنظمة للممارسة الجيدة القائمة على إدارة الشركة بما يحافظ على حقوق حملة الاسهم وحملة السندات وأصحاب المصالح والعاملين بالشركة وذلك من خلال تنفيذ صيغ العلاقات التعاقدية والأدوات المالية والمحاسبية السليمة وفقاً لمعايير الافصاح والشفافية».

عرفها مركز المشروعات الدولية الخاصة (2003م(CIPE, أنها «الإطار الذي تمارس فيه المؤسسات وجودها وتركز الحوكمةعلى العلاقة بين الموظفين وأعضاء مجلس الإدارة، والمساهمين في الإشراف على عمليات الشركة».

عرفها الأخضر وجلطى، (2005م) بأنها «الإجراءات الموضوعة محل التطبيق من طرف المنظمة لأجل ايجاد تنسيقات داخلية فيها» وتسعى الحوكمة إلى تحسين مبدأ القيادة الإدارية وتهدف إلى شفافية أكثر تجاه المستفيدين وأصحاب المصالح.

مما تقدم يتبين للباحث أن الحوكمة توضح كيفية تنظيم العلاقة بين أطراف المنظمة كافة، وهي تظهر في مجموعة القوانين والقدرات التي تهدف إلى حماية أصحاب المصالح كما أنها النظام الذي يقصد به الأسلوب الذي تمارس به سلطات الإدارة بطريقة جيدة وهذا النظام هو الذي يحكم العلاقة بين الأطراف الأساسية التي تؤثر في الأداء داخل إلى شركة.

وعلى ذلك تهدف قواعد وضوابط الحوكمة الى تحقيق الشفافية والعدالة، ومنح حق مساءلة إدارة الشركة، وبالتالي تحقيق الحماية للمساهمين وحملة الوثائق جميعها، مع مراعاة مصالح العمل والأعمال، والحد من إستقلال السلطة في غير المصلحة العامة، بما يؤدي إلى تنمية الإستثمار وتشجيع تدفقه، وتنمية المدخرات، وتعظيم الربحية وإتاحة فرص عمل جديدة، كما أن هذه القواعد تؤكد على أهمية الإلتزام بأحكام القانون والعمل على ضمان مراجعة الأداء المالي ووجود هياكل إدارية تمكن من محاسبة الإدارة أمام المساهمين.

2-3 مفهوم الحوكمة في المصارف:

يقصد بها مراقبة الأداء من قبل مجلس الإدارة والإدارة العليا للبنك وحماية حقوق المساهمين والمؤدعين، بالإضافة إلي الإهتمام بعلاقة هؤلاء الأطراف الخارجية، والتيت تتحدد من خلال الإطار التنظيمي وسلطات الهيئة الرقابية، وتنطبق الحوكمة في الجهاز المصرفي علي البنوك العامة والخاصة والمشتركة{سليمان، (2008م)}.

وكذلك تعني الطريقة التي تدار شؤون البنك من خلال الدور المنوط به لكل من مجلس الإدارة والإدارة العُليا بما يؤثر في تحديد أهداف البنك مراعاة حقوق المستفيدين وحماية حقوق المؤدعين، وبإذدياد التعقيد في نشاط الجهاز المصرفي أصبحت عملية من عمليات إدارة البنك{ بلعزوز،(2009م)}.

3-3 **معايير الحوكمة:**

نظراً للتزايد المستمر الذي يكتسبة مفهوم حوكمة الشركات من إهتمام في الوقت الحالي فقد حصرت العديد من المؤسسات وبورصات الأوراق المالية في العديد من الدول هذة المبادي في الأتي:

1 - معيار حقوق المساهمين: تتضمن مجموعة من الحقوق التي تتضمن الملكية الأمنة للاسهم وحق المساهمين في الإفصاح عن المعلومات وحق

التصويت والمشاركة في قرارات البيع، أو تعديل أصول الشركة وكذلك عمليات الإندماج وإصدار أسهم جديدة، وكذلك حق المساهمة في الحصول علي المعلومات الكافية وفي التوقيت المناسب حتي يستطيع إتخاذ القرارات المناسبة، وكذلك لابد أن يكون هنالك ضمان لصياغة واضحة من القواعد والإجراءات التي تحكم حيازة الرقابة علي الشركات في أسواق المال وأن تكون التعاملات المالية بأسعار مفصح عنها وان تتم في ظروف عادية كي تحمي حقوق كافة المساهمين.

2 - معيار المعاملة المتكافئة المساهمين: يجب أن يكفل إطار حوكمة الشركات المعاملة المتكافئة لجميع المساهمين ومن بينهم صغار المساهمين والمساهمين الأجانب، كما ينبغي أن تُتُاح لكافة المساهمين فرصة الحصول على تعويض فعلي في حالة إنتهاك حقوقهم ويندرج تحت هذا البند العناصر التالية:

يُعامل المساهمون المنتمون إلى الفئة نفسها معاملة متكافئة.

يكون للمساهمين داخل كل فئة حقوق التصويت نفسها بحيث تتاح لكافة المساهمين فرصة الحصول على المعلومات المتصلة بحضور التصويت الممنوح لكل من فئات المساهمين وذلك قبل قيامهم بشراء الأسهم، كما يجب أن تكون أي تغيرات مقترحة في حقوق التصويت موضعاً لعملية تصويت من جانب المساهمين.

يجب أن يتم التصويت بواسطة الأُمناء أو المفوضين بطريقة مُتفق عليها مع أصحاب الأسهم.

ينبغي أن تكفل العمليات والإجراءات المتصلة بالإجتماعات العامة المعاملة المتكافئة لكافة المساهمين، كما يجب ألا تسفر الإجراءات عن صعوبة أو إرتفاع في تكلفة التصويت.

يجب منع تداول الأسهم بصورة لا تتصف بالافصاح والشفافية.

ينبغي أن يُطلب من أعضاء مجلس الإدارة أو المديرين التنفيذيين الإفصاح عن وجود أي مصالح خاصة بهم قد تتصل بعمليات أو بنشاط الشركة نفسها.

3 - معيار دور أصحاب المصالح في حوكمة الشركات: حيث تعترف منظمة التعاون الأقتصادي والتنمية بوجود أصحاب مصالح أخرين في المؤسسات بجانب المساهمين وتتخذ بها قراراتها، بالتالي يجب أن يسمح إطار حوكمة الشركات بوجود أليات لمشاركة المصالح الأخري وكذلك أن يكفل لهم فرصة الحصول علي المعلومات.

4 - معيار الإفصاح والشفافية: حيث إهتمت منظمة التعاون الأقتصادي والتنمية بالإفصاح والشفافية عن الحقوق الأساسية الخاصة بالشركات بداً من التفاصيل المالية إلي هيكل الحوكمة وتوضيح أهداف الشركة وتحديد عوامل المخاطر المنظومة. علي أن يتم إعداد ومراجعة المعلومات والإفصاح عنها بإسلوب يتفق مع معايير الجودة المالية والمحاسبية المطلوبة. وان تكون هنالك مراجعة سنوية عن طريق مراجع مستقل، كما أنة لابد أن تتوفر قنوات لتوزيع المعلومات علي مستخدمي المعلومات في الوقت الملائم وبالتكلفة المناسبة.

5 - معيار مسؤوليات مجلس الإدارة: يجب أن يتيح إطار حوكمة الشركات الخطوط الإرشادية الإستراتيجية لتوجيه الشركات، كما ينبغي أن يكفل المتابعة الفعالة للإدارة التنفيذية من قبل مجلس الإدارة وان تضمن تلك الممارسات مساءلة مجلس الإدارة من قبل الشركة والمساهمين.

4-3 مفهوم راس المال العامل:

عُرِّف رأس المال العامل بإصطلاحين شائعين هما:

1.إجمالي رأس المال العامل:(Cross working capital)

«عرف بأنه مجموع الأصول المتداولة التي عادة ما تتحول الى سيولة

خلال العام وهي تتضمن بالإضافة الى النقدية الإستثمارات المؤقتة والذمم» [هندي، 2000م].

«عرف أيضاً بأنه الأموال التي تستغلها الشركة في إستثمارات قصيرة الأجل، وهي تتكون من النقدية والإستثمارات قصيرة الأجل، والحسابات المدينية والمخزون السلعي، حيث أن إجمالي الإصول المتداولة عبارة عن مجموع بنود رأس المال العامل» [الميداني، (2006م)].

عُرف كذلك بأنه الأموال التي تستخدمها الشركة لتغطية الإحتياجات الضرورية المرتبطة مباشرة بالدورة التشغيلية التي لم تغطي من طرف الموارد الدورية، وإجمالي رأس المال العامل هو جزء من رؤوس الأموال التي تصلح لتمويل الاحتياجات ناقصاً عناصر الأصول الناتجة مردودة الاستغلال.

منتدى المحاسبين العرب (الإنترنت) [www.acc4arab.com(google)].

2.صافي رأس المال العامل:Net working capital)): عُرف بأنه الفرق بين الأصول المتدولة والخصوم المتداولة، ويعتبر مقياساً جيداً للسيولة، وهو ذلك الجزء من الأصول المتداولة التي تم تمويله من الخصوم المتداولة، وهو عبارة عن إجمالي الإصول المتداولة مطروحاً منها إجمالي الخصوم المتداولة [وستون وبرجهام، (2000م)].

عُرف بأنه فائض الإستثمار في الإصول المتداولة على الخصوم المتداولة [عقل، (2000م)].

عرفه درغام، (1999م) بأنه «ناتج العملية بين الإصول الجارية والإلتزامات الجارية، وهي مجموع الأموال المتاحة لضمان التشغيل ودوران فاعلية الشركة وإستمرارية مدفوعاتها الجارية، فهو يمثل جزء من الإصول المتداولة الدائمة التي تستثمر في العملية الانتاجية من عام لآخر».

كذلك عُرف بأنه زيادة الإصول المتداولة عن الخصوم المتداولة والذي

تحافظ المنشأة عليها عن طريق تمويله بالقروض طويلة الأجل [بابكر، (2014م) نقلاً عن الغرا (2005م)].

4 - المحور الرابع: الدراسة الميدانية:

4-1 منهجية الدراسة:

من أجل تحقيق أهداف الدراسة تصبح المنهجية المتبعة في هذه الدراسة المنهج الوصفى التحليلى بهدف دراسة مدى تأثير معايير حوكمة الشركات علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف السودانية بهدف الوصول إلى إستنتاجات تسهم فى تقييم كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف السودانية، بالإضافة إلي تصميم إستبيانه تتضمن الجوانب الرئيسية لمحاور الدراسة.

4-2 مجتمع وعينة الدراسة:

يتمثل مجتمع الدراسة في المصارف العاملة في السودان وعددها اربعه وثلاثون مصرفاً، وإشتملت عينة الدراسة علي ثمانية مجموعات ممثلة في أعضاء مجلس الإدارة ومديري العموم، ومديري الشؤون المالية، ومديري إدارة المخاطر، ومديري المراجعة الداخلية، والمراجع الخارجي، والجهات ذات المصالح الأخري (المساهمون، الجهات الإشرافية، المودعون، الموظفون، والدائنون). بلغ عدد أفراد العينة 517 فرد، وتم تحديد حجم العينة وفقا لصيغة مبسطة اقترحها العالم Yamane, 1967

$$n = \frac{N}{1 + N(d)^2}$$

حيث: N : حجم المجتمع n .: حجم العينة . d:مستوي الدقة المطلوب.

بتطبيق المعادلة أعلاه وعند d= 0.05

$$n = \frac{517}{1 + 517 * 0.05^2}$$

بلغ حجم العينة 225 مفردة، حيث تم توزيع 225 إستمارة وبلغ العائد

من الإستمارات الموزعة 205 بنسبة فاقد بلغت 8% وتم استخدام اسلوب المعاينة الطبقية لتوزيع العينة علي الطبقات حسب حجم كل طبقة.

ومن اجل تحقيق أهداف الدراسة إعدت إستمارة إستبيان مخصصة لأغراض معالجة أسئلة الدراسة.

3-4 أساليب التحليل:

أعتُمد علي الحزم الإحصائية للعلوم الإجتماعية (spss) في عملية التحليل وإختبار الفرضيات، حيث أُستخدمت الوسائل الإحصائية التالية:

1 - إختبار كرومباخ الفا لمعرفة مدي ثبات أداة الدراسة ومدي مصداقية آراء العينة.

2 - التكرار والنسب المئوية لحساب تكرار ونسب البيانات العامة للمشاركين في العينة.

3 - مقياس ليكرت بغرض معرفة إتجاة آراء المستجيبين حول متغير معين.

4 - التقدير اللفظي لتفسير معني المتوسط ودرجة الموافقة.

5 - إختبار (T) للعينة الواحدة لإختبار فرضية ومحاور الدراسة.

4-4 تحليل بيانات فرضية ومحاور الدراسة:

تحتوي هذه الدراسة علي فرضية أساسية هي: أن تطبيق معايير حوكمة الشركات في المصارف السودانية يؤثر علي كفاءة أدارة رأس المال العامل في هذه المصارف. ونظراً لأن هذه الفرضية تحتوي علي خمسة محاور لذلك تم تناول كل محور علي حدا كالآتي:

جدول رقم (4 - 1)

المحور االأول: توفير مقومات حماية حقوق المساهمين والمستثمرين من خلال رأس المال العامل.

م	الفقرة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشده	الوسط الحسابي	الاتجاه العام

1	توجد سهولة في نقل وتحويل ملكية الأستثمارات قصيرة الأجل بين المساهمين.	33.2%	46.3%	15.6%	3.9%	1%	4.07	الموافقة
2	يحصل المساهمون على المعلومات المتعلقة بالإصول قصيرة الأجل فى المصارف بكل سهولة و بصفة دورية ومنظمة.	25.9%	54.1%	13.7%	5.4%	1%	3.99	الموافقة
3	يشارك المساهمون في إجراء أية تعديلات من شانها سداد الالتزامات في المصرف.	22%	49.8%	18.5%	8.8%	1%	3.83	الموافقة
4	يشارك المساهمون باتخاذ قرار بزيادة رأس مال المصرف عن طريق إصدار أسهم جديدة.	27.8%	54.1%	13.7%	4.4%	-	4.05	الموافقة
5	يحق للمساهمين الاطلاع على إجراءات الإفصاح عن عناصر النقديه والإستثمارات قصيرة الأجل بالمصرف	29.8%	55.1%	9.8%	4.9%	.5 %	4.09	الموافقة
6	يطلع المساهمون على اي عمليات غير عادية يمكن ان تؤثر على حسن إستغلال الموارد قصيرة الأجل .	20.5%	54.6%	16.6%	7.3%	1%	3.86	الموافقة
7	يطّلع المساهمون على جميع العمليات المؤثرة على عناصر الأصول المتداولة التي تقوم بها إدارة المصرف.	23.4%	47.8%	15.1%	11.7%	2%	3.79	الموافقة

المصدر: إعداد الباحث من واقع الدراسة الميدانية (2017م)

يتبين من خلال الجدول (4-1) أن المتوسطات الحسابية للمحور الأول تشير

إلـي أن الإتجـاة العـام لأفـراد عينـة الدراسـة هـو الموافقـة علـي أن المسـاهمين يتمتعـون بمجموعـة مـن الحقـوق والمزايـا لهـا أثـر علـي كفـاءة إدارة رأس المـال العامـل بالمصـارف السـودانية، وعلـي حسـب آرا المبحوثيـن جـاءت المرتبـة الأولـي أن المسـاهمين لهـم حـق الإطـلاع علـي إجـراءات الإفصـاح عـن عناصـر النقديـة والإسـتثمارات قصيـرة الأجـل بالمصـرف بمتوسـط بلـغ 4.09، تليهـا فـي المرتبـة الثانيـة وجـود سـهولة فـي نقـل وتحويـل ملكيـة الأسـهم قصيـرة الأجـل بيـن المسـاهمين بمتوسـط بلـغ 4.07، وجـاءت المرتبـة الثالثـة أن المسـاهمين لهـم حـق المشـاركة فـي إتخـاذ القـرار بزيـادة رأس مـال المصـرف عـن إصـدار الأسـهم الجديـدة بمتوسـط بلـغ 4.05، وايضـاً المرتبـة الرابعـة أن تكـون هنالـك سـهولة فـي أن يحصـل المسـاهمون علـي المعلومـات المتعلقـة بالإصـول قصيـرة الأجـل فـي المصـارف السـودانية بصفـة دوريـة ومنتظمـة بمتوسـط بلـغ 3.99، وفـي المرحلـة الخامسـة أن المسـاهمين لهـم حـق الإطـلاع علـي أي عمليـات غيـر عاديـة يمكـن أن تؤثـر علـي حسـن إسـتغلال المـوارد قصيـرة الأجـل بمتوسـط بلـغ 3.86، وفـي المرتبـة السادسـة أن المسـاهمين لهـم حـق المشـاركة فـي إجـراء أيـة تعديـلات مـن شـأنها سـداد الإلتزامـات فـي المصـرف بمتوسـط بلـغ 3.83، أمـا المرتبـة السـابعة أن المسـاهمين لهـم حـق الإطـلاع علـي جميـع العمليـات المؤثـرة علـي عناصـر الأصـول المتداولـة التـي تقـوم بهـا إدارة المصـرف بمتوسـط بلـغ 3.79.

جدول رقم (4-2)

المحـور الثانـي: توفيـر مقومـات معاملـة عادلـة و متسـاوية بيـن جميـع المسـاهمين تتعلـق بـرأس المـال العامـل.

م	الفقرة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشده	الوسط الحسابي	الاتجاه العام
1	تعتبر المساواة في معاملة جميع المساهمين من أهم ضوابط الحوكمة.	49.8%	37.1%	8.8%	3.9%	% .5	4.32	الموافقة بشدة
2	يوفر الجهاز المصرفي معاملة عادلة لجميع حملة الأسهم خاصة المنتميين إلى نفس الفئة للدفاع عن حقوقهم.	39%	49.8%	8.3%	2%	1%	4.24	الموافقة بشدة
3	يحق للمساهمين الحصول على معلومات حول حجم السيولة والمخزون السلعي والنقديه المتوفره من أجل سداد الألتزامات.	32.2%	50.7%	13.2%	2.4%	1.5%	4.10	الموافقة
4	يُقدم الجهاز المصرفي تفسير عن التعاملات التى تؤثر على عناصر الإصول قصيرة الأجل من جانب أي طرف.	26.8%	55.1%	13.2%	3.4%	1.5%	4.02	الموافقة

5	يضع الجهاز المصرفي وسائل لحمايةحقوق الأقلية من المساهمين ضد الممارسات الاستغلالية مع توفير وسائل تعويضية فعالة.	40.5%	44.4%	11.7%	2%	1.5%	4.20	الموافقة
6	تكفل اللوائح لجميع المساهمين حق الحصول علي أرباح بنسبة مساهمة كل منهم.	42%	46.8%	9.8%	1%	.5 %	4.29	الموافقة بشدة
7	يوفر الجهاز المصرفي وسائل لإزالة المعوقات الخاصة بحسن استغلال موارد المصرف قصيرة الأجل.	31.7%	50.2%	14.1%	2%	2%	4.08	الموافقة
8	تتوفر العداله في نظام الرواتب والإجور للعاملين في المصرف بالمقارنة بالمصارف والموسسات المنافسة.	27.8%	46.3%	14.1%	5.9%	5.9%	3.84	الموافقة
9	تسمح الإجراءات بإعطاء المعلومات الداخلية عن عناصر الإصول المتداولة لكل المساهمين.	23.9%	50.2%	18%	5.9%	2%	3.88	الموافقة

10	يلتزم الجهاز المصرفي بأن لا يكون جزأ من منظومة اقتصادية يتحكم فيه المساهمون المسيطرون على كبار الموردين و العملاء.	26.3%	48.3%	16.6%	5.4%	3.4%	3.89	الموافقة

المصدر: إعداد الباحث من واقع الدراسة الميدانية (2017م)

يتضح من خلال نتائج الجدول رقم (4-2) أن جميع المتوسطات الحسابية الخاصة بالمحور الثاني من المعايير المؤثرة علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف السودانية تشير إلي أن الإتجاة العام لأفراد عينة الدراسة هو الموافقة علي توفير معاملة عادلة ومتساوية بين المساهمين، حيث نجد أن المساواة في معاملة جميع المساهمين تعتبر من أهم ضوابط الحوكمة جاءت في المرتبة الأولي بمعدل بلغ 4.32، وأن اللوائح تكفل لجميع المساهمين حق الحصول علي أرباح بنسبة مشاركة كلٍ منهم جاءت في المرتبة الثانية بمتوسط بلغ 4.29، تليها في المرتبة الثالثة أن الجهاز المصرفي يوفر معاملة عادلة لجميع حملة الأسهم خاصةً المنتميين إلي نفس الفئة للدفاع عن حقوقهم بمتوسط بلغ 4.24، وفي المرتبة الرابعة أن الجهاز المصرفي يضع وسائل لحماية حقوق الأقلية من المساهمين ضد الممارسات الإستغلالية مع توفير وسائل تعويضية فعالة بمتوسط بلغ 4.20، وجاءت في المرتبة الخامسة أن المساهمين لهم الحق في الحصول علي معلومات عن حجم السيولة والمخزون السلعي والنقدية المتوفرة من أجل سداد الإلتزامات بمتوسط بلغ 4.10، تليها المرتبة السادسة أن الجهاز المصرفي يوفر وسائل لإزالة المعوقات الخاصة بحسن إستغلال موارد المصرف قصيرة الأجل بمتوسط بلغ 4.08، تليها المرتبة السابعة

أن الجهاز المصرفي يقدم تفسير عن التعاملات التي تؤثر علي عناصر الأصول قصيرة الأجل من جانب أي طرف من الأطراف التي لها علاقة بالمصرف بمتوسط بلغ 4.02، أما المرتبة الثامنة والتاسعة علي التوالي، أن الإجراءات تسمح بإعطاء المعلومات الداخلية عن عناصر الأصول المتداولة لكل المساهمين، وأن الجهاز المصرفي يلتزم بأن لايكون جزء من منظومة إقتصادية يتحكم فيها المساهمون المسيطرون علي كبار الموردين والعُملاء بمتوسطات بلغت 3.89، 3.88 علي التوالي، أما المرتبة العاشرة تتوفر العدالة في نظام الرواتب داخل المصرف بمتوسط بلغ 3.84.

جدول رقم (4-3)

المحور الثالث: دور أصحاب المصالح في ممارسة قواعد الحوكمة علي رأس المال العامل

م	الفقرة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشده	الوسط الحسابي	الاتجاه العام
1	يعمل الجهاز المصرفي على تسهيل مهام المودعين والدائنين والمستثمرين وأصحاب المصالح وفقاً لأحكام القانون.	46.8%	43.4%	8.3%	1.5%	-	4.34	الموافقة بشدة
2	يعمل الجهاز المصرفي على توفير اليات مشاركة جميع العاملين في تحسين الأداء بالمصرف.	43.4%	43.9%	8.8%	2.9%	1%	4.26	الموافقة بشدة
3	يتخذ الجهاز المصرفي إجراءات كافية لحماية حقوق المودعين بالمصارف.	44.4%	45.4%	8.3%	1.5%	.5 %	4.32	الموافقة بشدة
4	يتخذ الجهاز المصرفي إجراءات كافية لحماية حقوق الدائنين و أصحاب المصالح.	40%	48.3%	8.8%	2%	1%	4.24	الموافقة بشدة

5	يوفر الجهاز المصرفي هيكل فعال و كفْ للمصارف للحماية من الإعسار المالي ونقص السيولة.	33.7%	48.8%	11.2%	5.4%	1%	4.09	االموافقة
6	يتم الاتصال مع المودعين والعملاء لإيجاد طرق مختلفة لتأمين تدفق رأس المال الخارجي و الداخلي للمصارف.	26.8%	51.7%	14.6%	4.9%	2%	3.97	الموافقة
7	يتم الاتصال مع الدائنين و أصحاب المصالح الأخرى لإيجاد طرق مختلفة لتأمين تدفق رأس المال الخارجي و الداخلي للمصارف.	26.3%	51.7%	18%	2.4%	1.5%	3.97	الموافقة
8	يتم السماح للمستثمرين والدائنين وذوي المصالح بالاتصال بحرية بمجلس الإدارة للتعبير عن مخاوفهم تجاه التصرفات غير القانونية.	28.3%	43.4%	19%	5.9%	3.4%	3.87	الموافقة
9	يلتزم الجهاز المصرفي بتلبية متطلبات بنك السودان المركزي بالمصارف على أكمل وجه.	48.3%	41.5%	8.3%	2%	-	4.36	الموافقة بشدة
10	وجود أليه عمل فعالة بين أصحاب المصالح و مجلس الإدارة لتوفيرالسيولة واستمرارية المصرف.	39%	47.3%	12.2%	% .5	1%	4.23	الموافقة بشدة

المصدر: إعداد الباحث من واقع الدراسة الميدانية (2017م)

يشير الجدول رقم (4 - 3) أن جميع المتوساطات الحسابية الخاصة بالمحور الثالث من المعايير المؤثرة علي كفاءة لإدارة رأس المال العامل

بالمصارف السودانية توضح أن الإتجاة العام لأفراد عينة الدراسة هو الموافقة علي أن أصحاب المصالح الأُخري لهم دور في ممارسة قواعد ومعايير الحوكمة علي رأس المال العامل بالمصارف السودانية، وعبارة أن الجهاز المصرفي السوداني يلتزم بتلبية متطلبات بنك السودان المركزي علي أكمل وجه جاءت بالمرتبة الأُولي بمتوسط بلغ 4.36، تليها المرتية الثانية أن الجهاز المصرفي يعمل علي تسهيل مهام المؤدعين والدائنين والمستثمرين وأصحاب المصالح الأُخري وفقاً لأحكام القانون بمتوسط بلغ 4.43، ممايعني إنتظام العمل داخل المصارف وأنه يسير وفق خطة منظمة ومعلومة، وفي المرتبة الثالثة نجد الجهاز المصرفي يتخذ إجراءات كافية لحماية المؤدعين بالمصارف السودانية بمتوسط بلغ 4.32، تليها المرتبة الرابعة ايضاً أن الجهاز المصرفي السوداني يعمل علي توفير أليات مشاركة جميع العاملين في تحسين الأداء بالمصرف بمتوسط بلغ 4.26،ويعني ذلك تحسين الرضاء الوظيفي للعاملين داخل المصرف من خلال المشاركة في كل الأعمال، وفي المرتبة الخامسة نجد كذلك الجهاز المصرفي يتخذ إجراءات كافية لحماية حقوق الدائنين وأصحاب المصالح الأُخري بمتوسط بلغ 4.24، تليها المرتبة السادسة وجود ألية عمل فعالة بين أصحاب المصالح الأخري ومجلس الإدارة لتوفير السيولة وإستمرارية المصرف بمتوسط بلغ 4.23، تليها المرتبة السابعة يوفر الجهاز المصرفي هيكل فعال وكفء للمصارف للحماية من الإعسار المالي ونقص السيولة بمتوسط بلغ 4.09، أما المرتبة الثامنة فقد أشارت عينة الدراسة إلي أن هنالك وسائل إتصال بين المؤدعين والعملاء وبين الدائنين وأصحاب المصالح الأُخري لإيجاد طرق مختلفة لتأمين تدفق رأس المال الخارجي والداخلي للمصرف، كما أنة يتم الإتصال يتم الإتصال أيضاً مع الدائنين وأصحاب المصالح الأُخري لتأمين تدفق رأس المال العامل الخارجي والداخلي للمصرف بمتوسط بلغ 3.97، أما في المرتبة التاسعة فنجد أنة

يتم السماح للمستثمرين والدائنين وأصحاب المصالح الأُخري بالإتصال بحرية بمجلس الإدارة للتعبير عن مخاوفهم تجاه التصرفات غير القانونية بمتوسط بلغ 3.87.

مما تقدم يخلص الباحث إلي أصحاب المصالح الأخري لهم دور في ممارسة قواعد الحوكمة علي رأس المال العامل في المصارف السودانية من خلال الحقوق والمزايا التي يوفرها لهم الجهاز المصرفي السوداني، حيث نجد أن الجهاز المصرفي يلتزم بتلبية متطلبات بنك السودان المركزي علي أكم وجه، كما أنه يعمل علي تسهيل مهام المؤدعين والدائنين والمستثمرين وأصحاب المصالح الأخري وفقاً لأحكام القانون، كما أنه يتخذ إجراءات كافية لحماية حقوق الدائنين وأصحاب المصالح الأخري، وتوفير أليات مشاركة جميع العاملين في تحسين أداء المصرف، وكذلك توفير أليات عمل فعالة بين مجلس الإدارة وأصحاب المصالح الأُخري لتوفير السيولة وإستمرارية المصرف، وتوفير الحماية لحقوق الدائنين وأصحاب المصالح الأُخري ولإيجاد طرق لتأمين تدفق رأس المال الحارجي والداخلي للمصرف، وأيضاً يتم السماح للمستثمرين والدائنين بالإتصال بحرية بمجلس الإدارة للتعبير عن مخاوفهم تجاه التصرفات غير القانوتية. ويتفق ذلك مع ما ورد في الأدبيات حيث أورد عبد الرحيم (2014) «يجب أن ينطوي إطار حوكمة الشركات علي الإعتراف بحقوق أصحاب المصلحة كما يُرسيها القانون، وأن يعمل أيضاً علي تشجيع التعاون في مجال خلق الثروة وفرص العمل وتحقيق الإستمرارية للمشروعات القائمة علي أُسس مالية سليمة».

جدول رقم (4-4)

المحور الرابع: توفير مقومات الأفصاح والشفافية لعناصر رأس المال العامل .

م	الفقرة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشده	الوسط الحسابي	الاتجاه العام
1	يقوم الجهاز المصرفي بالإفصاح عن جميع بنود عناصر الإصول المتداولة بالقدر الكافي وبدون استثناء.	42.4%	42.9%	11.7%	1.5%	1.5%	4.23	الموافقة بشدة
2	يلتزم الجهاز المصرفي بالإفصاح عن ملكية الأسهم والأستثمارات قصيرة الأجل لجميع المساهمين بجميع فئات الأسهم.	34.6%	49.3%	10.2%	4.9%	1%	4.12	الموافقة
3	يؤدي الإفصاح والشفافية إلي إجتزاب رؤوس الأموال والحفاظ علي حقوق المساهمين	42%	42%	12.7%	2.4%	1%	4.21	الموافقة بشدة
4	تقوم إدارة المصرف بالإفصاح عن وجود أية ممارسات غير أخلاقيه متعلقة بعناصر الإصول المتداولة للمساهمين.	37.1%	39.5%	12.7%	8.3%	2.4%	4.00	الموافقة
5	يوفر الجهاز المصرفي قنوات لنشر المعلومات الكافية المتعلقة بالإستثمارات قصيرة الأجل والخصوم المتداولة في التوقيت المناسب وبطريقه عادله لجميع الأطراف ذات العلاقة.	31.2%	54.6%	9.3%	3.4%	1.5%	4.11	الموافقة

6	تحرص إدارة المصرف علي الإفصاح والشفافية عن حسابات الإستثمارات المقيده التي تعرض خارج الميزانيه	32.7%	49.3%	11.2%	4.4%	2.4%	4.05	الموافقة
7	يقوم الجهاز المصرفي بالإفصاح عن فاعلية نظام الرقابة الداخلية وإظهار فاعليته وقوته.	35.1%	51.2%	9.8%	2.9%	1%	4.17	الموافقة
8	يلتزم الجهاز المصرفي بتقييم إدارة النقدية والذمم بالمصارف.	34.1%	48.8%	14.1%	2.4%	.5 %	4.14	الموافقة
9	يوفر الجهاز المصرفي إليه للإفصاح عن أداء إدارة السيوله والمخزون بالمصارف.	36.1%	49.8%	10.2%	2.9%	1%	4.17	الموافقة
10	يعمل الجهاز المصرفي علي توفير وسائل تعمل علي إزالة الصعوبات التي تواجه المستثمرين والمودعين وأصحاب المصالح الأخري.	35.1%	54.1%	5.9%	3.4%	1.5%	4.18	الموافقة
11	يعمل الجهاز المصرفي علي رفع كفاءة إدارة النقدية عن طريق أعداد إعداد ميزانيه تقديريه لتوضيح العجز والفائض.	40%	49.3%	9.3%	1.5%	-	4.28	الموافقة بشدة
12	يوفر الجهاز المصرفي آليات تعمل علي تعجيل المتحصلات.	44.4%	45.4%	7.3%	2.9%	-	4.31	الموافقة بشدة
13	يقوم الجهاز المصرفي بوضع سقوف ائتمانية محدده تلتزم بها المصارف.	52.7%	33.2%	11.7%	2.4%	-	4.36	الموافقة بشدة

المصدر: إعداد الباحث من واقع الدراسة الميدانية (2017م)

يبين المحور الرابع من الجدول رقم (4-4) المتوسطات الحسابية لمقومات الإفصاح والشفافية لرأس المال العامل بالمصارف السودانية، ويتضح من خلال نتائج الجدول أن الإتجاه العام لأفراد العينة الموافقة علي أن الجهاز المصرفي السوداني يقوم بالإفصاح عن عناصر رأس المال العامل مما يؤثر علي كفاءة رأس المال العامل، وجاءت المرتبة الأولي أن الجهاز المصرفي يضع سقوف إئتمانية محدده تلتزم بها المصارف بمتوسط بلغ 4.36، تليه المرتبة الثانية والثالثة أن المصارف تعمل علي رفع كفاءة النقدية عن طريق إعداد ميزانية تقديرية لتوضيح العجز والفائض، وان المصارف توفر اليات تعمل علي تعجيل سداد المتحصلات بمتوسط بلغ 4.31، 4.28 علي التوالي، وفي المرتبة الرابعة الجهاز المصرفي يقوم بالإفصاح عن جميع بنود عناصر الأصول المتداولة بالقدر الكافي وبدون إستثناء بمتوسط بلغ 4.23، تليها المرتبة الخامسة أن الإفصاح والشفافية تؤدي إلي إجتزاب روؤس أموال والحفاظ علي حقوق المساهمين بمتوسط بلغ 4.21، وفي المرتبة السادسة نجد الجهاز المصرفي يعمل علي توفير وسائل وأليات تعمل علي إزالة الصعوبات تواجه المستثمرين والمؤدعين وأصحاب المصالح الأخري بمتوسط بلغ 4.18، ممايؤدي إلي جذب المزيد من الإستثمارات وتطوير العمل داخل المصرف، تليها المرتبة يقوم الجهاز المصرفي بالإفصاح عن فاعلية نظام الرقابة الداخلية وإظهار فاعليتة وقوتة، كما أنة يفصح عن أداء إدارة السيولة والمخزون السلعي بمتوسط بلغ 4.17، تليها المرتبة الثامنة ان الجهاز المصرفي يلتزم بتقييم إدارة النقدية والذمم بالمصارف بمتوسط بلغ 4.14، وكذلك يلتزم الجهاز المصرفي بالمصارف السودانية في المرتبة التاسعة بالإفصاح عن ملكية الأسهم والإستثمارات قصيرة الأجل لجميع المساهمين بجميع فئات الأسهم بمتوسط بلغ 4.12، وفي المرتبة العاشرة نجد الجهاز المصرفي يوفر قنوات لنشر المعلومات

الكافيــة المتعلقــة بالإســتثمارات قصيــرة الأجــل وبالخصــوم المتداولــة فــي التوقيت المناسب وبطريقة عادلة لجميع الأطراف ذات العلاقة بمتوسط بلغ 4.11، تليها المرتبة الحادية عشر أن إدارة المصرف تحرص علي الشفافية والإفصاح عن حسابات الإستثمارات المقيدة التي تُعرض خارج الميزانية بمتوسط بلغ 4.05، أما المرتبة الثانية عشر أن إدارة المصرف تفصح عن أي ممارسات غير أخلاقية متعلقة بعناصر الأصول المتداولة للمساهمين بمنوسط بلغ 4.00.

جدول رقم (4-5)

المحور الخامس: مقومات مسئوليات مجلس الإدارة لقواعد الحوكمة

م	الفقرة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشده	الوسط الحسابي	الاتجاه العام
1	يجب أن يعمل أعضاء مجلس الإدارة علي تحقيق مصالح المصرف والمساهمين.	53.7%	41%	2.9%	2%	.5	4.45	الموافقة بشدة
2	يتولي أعضاء مجلس الإداره مسئولية الإشراف علي الإنفاق الراسمالي وبيع الإصول.	31.7%	54.1%	6.3%	6.8%	1%	4.09	الموافقة
3	يقوم مجلس الإدارة بالإفصاح عن العمليات المالية للأطراف ذوي العلاقه مع المصرف.	29.8%	55.6%	6.3%	7.8%	% .5	4.06	الموافقة

4	يلتزم أعضاء مجلس الإدارة باللوائح والتعليمات التى يصدرها البنك المركزي بخصوص تمويل أعضاء مجلس الإدارة وذوي العلاقه مع البنك.	33.7%	52.7%	9.8%	2.9%	1%	4.15	الموافقة
5	تلتزم مجالس إدارة المصارف بالجهاز المصرفي بتشكيل اللجان من أعضاءها برئاسة عضو مستقل.	27.8%	48.8%	16.6%	3.4%	3.4%	3.94	الموافقة
6	يلتزم أعضاء مجلس الإدارة بعدم تعارض مصالحهم مع مصلحة المصرف عند أداء عملهم.	34.6%	41.5%	13.7%	8.3%	2%	3.99	الموافقة
7	تلتزم مجالس الإدارة بالجهاز المصرفي بتنفيذ وتقييم نظم إدارة المخاطر ووضع الضوابط اللازمة لمواجهتها.	34.6%	51.7%	8.8%	3.9%	1%	4.15	الموافقة
8	تلتزم مجالس الإدارة بالجهاز المصرفي بتحديد طرق مكافاءة الإدارة التنفيذية.	36.1%	46.3%	12.7%	3.9%	1%	4.13	الموافقة
9	يعمل المجلس ضمن خطة إستراتيجية شامله للإشراف والرقابة.	39%	47.8%	8.3%	2.4%	2.4%	4.19	الموافقة
10	يحرص أعضاء مجلس الأدارة على توفير معلومات كافيه وشفافة عن الإصول المتداولة والخصوم المتداولة بالمصرف.	42.4%	42.9%	10.7%	2.4%	1.5%	4.22	الموافقــة بشــدة

11	يحرص أعضاء مجلس الأدارة على توفير معلومات كافية وشفافة عن أهداف المصارف وخططها المستقبلية وعن المخاطر المنظورة.	40%	47.8%	6.3%	2.9%	2.9%	4.19	الموافقة
12	لا يستغل ذوي العلاقات بالمصرف علاقاتهم ومناصبهم في الحصول علي تمويلات ميسرة.	37.6%	33.7%	13.7%	10.2%	4.9%	3.89	الموافقة

المصدر: إعداد الباحث من واقع الدراسة الميدانية (2017م)

يبين المحور الخامس من الجدول (4 - 5) المتوسطات الحسابية الخاصة بمسئوليات مجلس الإدارة والتي لها تأثير علي كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف السودانية، ويتضح من خلال هذه المتوسطات أن الإتجاة العام لأفراد عينة الدراسة هو الموافقة علي أنة من ضمن مسئوليات مجلس الإدارة يجب أن يعمل أعضاءة علي تحقيق مصالح المصرف والمساهمين حيث جاءت هذة العبارة بالمرتبة الأولي بمتوسط بلغ 4.45، تليها في المرتبة الثانية يحرص أعضاء مجلس الإدارة علي توفير معلومات كافية وشفافة عن الأصول المتداولة والخصوم المتداولة بالمصرف بمتوسط بلغ 4.22، وفي المرتبة الثالثة أن مجلس الإدارة يعمل علي يعمل ضمن خطة إستراتيجية شاملة للإشراف والرقابة جاءت بمتوسط بلغ 4.19، أما في المرتبة الرابعة نجد أن أعضاء مجلس الإدارة يلتزمون بالوائح والتعليمات التي يصدرها بنك السودان المركزي بخصوص تمويل أعضاء مجلس الإدارة وذوي العلاقة مع البنك، كما يلتزمون بتقييم نظم إدارة المخاطر ووضع الضوابط اللأزمة لمواجهتها بمتوسط بلغ 4.15، تليها في المرتبة الخامسة أن أعضاء مجلس الإدارة يلتزمون أيضاً بتحديد طرق مكافاءة

الإدارة التنفيذية بمتوسط بلغ 4.13، وكذلك جاءت المرتبة السادسة أن أعضاء مجلس الإدارة يتولون مسئولية الإشراف علي الإنفاق الرأسمالي وبيع الإصول بمتوسط بلغ 4.09، وفي المرتبة السابعة نجد أن مجلس الإدارة يفوم بالإفصاح عن العمليات المالية للأطراف ذات العلاقة مع البنك بمتوسط بلغ 4.06، تليها المرتبة الثامنة أن أعضاء مجلس الإدارة يلتزمون بعدم تعارض مصالحهم مع مصلحة المصرف عند أداء عملهم بمتوسط بلغ 3.99، وفي المرتبة التاسعة أن أعضاء مجلس الإدارة يلتزمون بتشكيل اللجان من أعضائها برئاسة عضو مستقل جاءت بمتوسط بلغ 3.94، وفي المرتبة العاشرة أن ذوي العلاقات بالمصرف لا يستغلون علاقاتهم ومناصبهم للحصول علي تمويلات ميسرة بمتوسط بلغ 3.89.

5 - اختبار الفرضية: يؤثر تطبيق معايير حوكمة الشركات على كفاءة إدارة رأس المال العامل في المصارف السودانية:

لإختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار(t) للعينة الواحدة وذلك بمقارنة متوسطات محور تأثير معايير حوكمة الشركات على كفاءة إدارة رأس المال العامل بالمصارف السودانية مع المتوسط الفرضي (3). والجدول رقم (4-3-4) يوضح نتائج الاختبار:

جدول رقم (4-3-4) نتائج اختبار (t) للعينة الواحدة

الوسط الحسابي لعبارات المحور	قيمة (t)	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاستنتاج
4.12	52.24	55	0.000	دالة احصائية

المصدر: إعداد الباحث من واقع الدراسة الميدانية (2017م)

يتضح من الجدول رقم (4-3-4) وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى معنوية 1% بين المتوسط الكلي لعبارات محور تأثير معايير حوكمة الشركات على رأس المال العامل والوسط الفرضي 3 مما يدل على

أن تطبيق معايير الحوكمة في المصارف السودانية يؤثر على رأس المال العامل بالمصارف السودانية

المحور الخامس: النتائج التوصيات ومجالات البحث المستقبلية:

5-1: **النتائج:**

أظهر تحليل البيانات الواردة في هذه الدراسة مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في الأتي:

1 - تبين من خلال الدراسة أن المساهمين يحق لهم الإطلاع على إجراءات الإفصاح عن عناصر النقدية والإستثمارات قصيرة الأجل بالمصارف السودانية.

2 - خلصت الدراسة إلي أن المساهمين لهم حق الإطلاع علي أي عمليات مؤثرة علي عناصر الأصول المتداولة ويمكن أن تؤثر علي حسن إستغلال الموارد قصيرة الأجل. كما أن لهم حق المشاركة في إتخاذ القرار بزيادة رأس مال المصرف عن طريق إصدار أسهم جديدة.

3 - أثبتت الدراسة أن المساواة في معاملة جميع المساهمين تعتبر من أهم ضوابط الحوكمة.

4 - خلصت الدراسة إلي أن الجهاز المصرفي يوفر هيكل فعال وكفء للحماية من الإعسار المالي ونقص السيولة بالمصارف السودانية.

5 - أثبتت أن الإفصاح والشفافية يؤديان إلي إجتزاب رووس الأموال والحفاظ علي حقوق المساهمين.

6 - كشفت الدراسة أن الجهاز المصرفي يعمل على تسهيل مهام المؤدعين والدائنين والمستثمرين وأصحاب المصالح الأخري وفق أحكام القانون.

7 - أفادت الدراسة أن الجهاز المصرفي يتخذ إجراءات كافية لحماية حقوق الدائنين وأصحاب المصالح الأخري.

8 - أظهرت الدراسة أن إدارات المصارف السودانية تقوم بالإفصاح عن أئ ممارسات غير أخلاقية متعلقة بعناصر الأصول المتداولة للمساهمين.

9 - اتضح من خلال الدراسة أن أعضاء مجلس الإدارة يعملون علي تحقيق مصالح المصرف والمساهمين.

10 - تبين من خلال الدراسة أن أعضاء مجلس الإدارة يعملون ضمن خطة شاملة للإشراف والرقابة.

2-5 التوصيات:

بناءاً علي ماتم التوصل إلية من نتائج فإنة يمكن تلخيص أهم التوصيات التي يعتقد الباحث أنها ضرورية ويمكن الإستفادة منها في المجالات ذات الصلة بموضوع الدراسة، وهذة التوصيات مبوبة علي النحو التالي:

1 - العمل علي زيادة تحقيق التوازن والعدالة في المصالح لكافة الأطراف لتفعيل دور حوكمة الشركات.

2 - رفع مستوي الإهتمام بالحفاظ علي حقوق المساهمين.

3 - توفير مستوي عالي من الإفصاح والشفافية بالنسبة للبيانات المالية المنشورة خاصةً البيانات المتعلقة برأس المال العامل بالمصارف.

4 - العمل علي نشر مفهوم وثقافة الحوكمة لدي كافة الأطراف الداخلية والخارجية ذات العلاقة بالبنك، وبالأخص العاملين، وذلك من خلال إعطاء دورات تدريبية وإصدار النشرات والتعليمات التي تعكس دور وأهمية الحوكمة والإلتزام بمبادئها في المصارف.

3-5 مجالات البحث المستقبلية:

1 - تطبيق الحوكمة و أثرها في تقليل مخاطر التمويل المصرفي المتعثر.

2 - دور معايير حوكمة الشركات في تسهيل عملية منح التمويل.

3 - أثر الإفصاح والشفافية علي أخلاقيات العمل المصرفي في السودان.

4 - دور مسئولية أعضاء مجلس الإدارة في تحسين أداء المصارف السودانية.

المصادر العربية والأجنبية:

1 - الداعور، عابد، 2012م، مدي إلتزام المصارف العاملة في فلسطين بمتطلبات الحوكمة المتقدمة، دراسة ميدانية، جامعه الأزهر بغزه، سلسلة العلوم الأنسانية، المجلد الخامس عشر، العددالأول.

2 - الميداني، محمد أيمن عزت،2006م، الإدارة التمويلية في الشركات، الرياض، مكتب العبيكان.

3 - الشمري، عيد بن حامد، 2008م، حوكمة الشركات في المملكة العربية السعودية، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر العلمي الأول لكلية الأقتصاد جامعة دمشق « دور حوكمة الشركات في الإصلاح الأقتصادي»، الفترة من 15-16 تشرين، دمشق، سوريا، ص4-9.

4 - البساطي، محمد عبد الرحمن الحسن، 2004م، معيار كفاية رأس المال العامل بالمصارف السودانية (الملاءة المصرفية) حسب مقررات لجنة بازل، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، رسالة ماجستير غير منشورة، الخرطوم، السودان.

5 - التميمي، القيسي، راشد فؤاد، أحمد فارس،2012م أثر الأدوات الداخلية لحوكة الشركات علي رأس المال العامل وإنعكاسهما علي القيمة الأقتصادية المضافة ، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر بعنوان: (ذكاء الأعمال وأقتصاد المعرفة)، جامعة الزيتونة الاردنية، كلية الأقتصاد والعلوم الإدارية، عمان، الأردن.

6 - الفرا، عبد الشكور عبد الرحمن موسي، 2005م، أهمية البيانات والتقارير المحاسبية في ترشيد قرارات الإستثمار في الطاقات الإنتاجية، الخرطوم، جامعه السودان للعلوم والتكنولوجيا، رسالة دكتوراة غير منشورة.

7 - البنك الأهلي المصري، 2003م، إسلوب ممارسة سلطات الإدارة الرشيدة في الشركات: حوكمة الشركات، مصر، النشرة الأقتصادية، العدد الثاني، المجلد السادس والخمسون.

8 - بلعزوز، بن علي وعبد الرازق حبار، 2009م، الحوكمة في المؤسسات المالية والمصرفية: مدخل للوقاية من الأزمات المالية والمصرفية بالإشارة لحالة الجزائر، ورقة مقدمة في الملتقي العلمي بالجزائر حول: الأزمة المالية والأقتصادية الدولية العالمية، جامعة فرحات عباس، سطيف، ص14.

9 - بانقا، وليد معتصم البشير، 2011م، الحوكمة في المصارف السودانية التطبيق والمعوقات – دراسة ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزيرة، ودمدني، السودان.

10 - بابكر، الجيلي محمد الحسن، 2014م، تقوييم كفاءة رأس المال العامل وأثرة علي القرارات الإستثمارية والتمويلية قصيرة الأجل، دراسة تطبيقية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، السودان.

11 - تشاركهام، جوناتان، 2006م، إرشادات لأعضاء مجالس إدارة البنوك، المنتدي العالمي لحوكمة الشركات، ترجمة مركز المشروعات الدولية.

12 - عقل، مفلح، 1997م، السياسة الإئتمانية للمصرف التجاري، عمان، مجلة البنوك، العدد السابع، ص46.

13 - عبد الحليم، محمد فرح، 2007م، أثر حوكمة المصارف علي الإستثمار، دراسة تطبيقية علي السودان، ورقة عمل، جامعة النيلين- كلية التجارة، الخرطوم، ص16.

14 - سليمان، محمد مصطفي، 2006م، حوكمة الشركات ومعالجة الفساد المالي والإداري، الدار الجامعية للنشر، مصر.

15 - درغام، دريد، 1999م، أساسيات الإدارة المالية الحديثة، القاهرة، دار رضا للنشر والتوزيع.

16 - مركز المشروعات الدولية الخاصة، 2003م، قائمة بالمصطلحات المتعلقة بحوكمة الشركات.

17 - مطاوع، مطاوع السعيد السيد، 2009م، دور المراجعة في حوكمة الشركات، ورقة عمل، كلية التجارة جامعة الأزهر.

18 - مفتاح، يحيي أحمد حميد، 2010م، مفهوم حوكمة الشركات وإمكانية تطبيقة في الشركات المساهمة اليمنية، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، صنعاء، اليمن، رسالة ماجستير متوفرة علي الأنترنيت علي الموقع www.yemen.nic.info

19 - محمد، فيصل مزمل عبد الرحمن، 2012م، مدي تطبيق مبادئ الحوكمة ودورها في تعزيز ثقة الملاك وأصحاب المصالح الأُخري في المصارف السودانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزيرة، ود مدني، السودان.

20 - ويستون وبرجام، فريد ويوجين، 2000م، التمويل الإداري، الرياض، دار المريخ للنشر.

21 - هندي، منير إبراهيم، 2000م، الإدارة المالية- مدخل تحليلي معاصر، الأسكندرية،المكتب العربي الحديث.

22 - منتدي المحاسبين العرب (الأنترنت) www. Acc4 arab.com (google

23 - Bhima, A (2009) " Risk manement corporate governec &management Accounting emergining Terdeependenceies" management Accounting Research, march, vol2.

24 - Coronbach, L.1970. Essential of psychological testing. New yourk:Harper & Row puplishep, inc.

25 - Yamane, Taro.1967. Statistics, An introductory Analysis, 2 ndEd., New Yourk: Harper & Row